وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الجزء الاول

(من كتاب)

الدليل الصادق

على وجود الخالق وبطلان مذهب الفلاسفة

ومنكرى الخوارق

تأليف

الفقير الى ربه القدير عبد العزيز بن عبدالرحمن بن اله

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٦ هجرية)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QUR'ANIC THOUGHT

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لواجب الوجود * الذي استمد من بحر جوده كل موجود * وظهر في جميع الكائنات * ظهوراً مقدساً عن التأنس بالمحدثات * فسجد لجلال هيبته ما في الارض والسموات * وشهد بوحدانيته ماله في كل شيء من الايات * وبطن فلم تمتد العقول الى معرفة ذاته * وكلّ لسان البيان عن شرح حقيقة صفاته فهو الظاهر الذي شاهدته بصائر الاخيار * والباطن الذي لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار * فسبحانه من اله ظهر وبطن فى السر والعلن * ولا لغيره ظهر ولا عن نفسه بطن (أحمده) وما حمدى له الا عطية من عطاياه البهية * وأثني عليه بما أثنت به العوالم الملكوتية * ولست أحصى ثناء عليه هو كما أثني على نفسه * وانما هى أعراض تدل على كرمه وتوصل الي خطيره قدسه (وأشكره) ولن أقوى أن أقوم بواجب شكره * وانما هو امتثال لامره واستدرار لسحب بره (وأشهد) أن لا اله الا الله الواحد في ذاته * المتعالى عن المشاركة والمشاكلة فى أفعاله وصفاته (وأشهد) أن سيدنا محمداً عبده ورسوله * وصفيه وحبيبه وخليله * الذى اصطفاه الله تعالي لتجليات سبحاته * واختصه بتمام الظهور بمعجزات آياته * أول رسول أرسل في عالم الارواح * وآخر المظاهر الرحموتية في عالم الاشباح * امام جميع الانام * وواسطة عقد النظام * ونقطة دائرة الدوائر الكونيه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI FOR QUR'ANIC THOUGHT

* ثمرة شجرة السوالم العلوية والسفلية * وجبل طور التجليات الذي تفجرت
منه ينابيع الاسرار * وفاضت منه أنهار الانوار * فسالت أودية القلوب بقدرها
فاحتمل السيل زبد الباطل وتخلصت من أوضارها * ومكث الحق النافع في
أرضها * ونبتت بالرياضة أصول الحكمة في رياضها * اللهم صل وسلم وبارك على
هذا الرسول الكريم * والسيد السند العظيم ذي القلب الرحيم * سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه * وعترته وحزبه * صلاة وسلاما دائمين بدوام ذات الله الابدية * نسبح
بهما في سلسبيل الانوار المحمديه (أما بعد) فيقول العبد الفقير * ذو العجز
والتقصير * راجي رحمة المنان * عبد العزيز بن عبد الرحمن * السكندري مولداً *
المنسوب لذي فتي جواد اقامة ومحتدا * بلغه الله في الدارين ما يتمناه * وأعانه على
كل خير قصده ونواه * وقابل لؤمه بكرمه وذنوبه بالمغفرة * وكما سترها عليه
في الدنيا يسترها عليه في الآخره * (هذه) أنوار أزهار * تبتهج بها نفوس الاخيار
بل أنوار آيات بهية * اقتبستها من مشكاة مصابيح السنة المحمدية * ووضعتها في
رأس علم الحق الذي صار مشتبه الطرائق * لتكون دليلا هاديا الي حضرة
الخالق * فازالت والحمد لله ظلمات الشبه والاوهام * لما أشرقت في عالم العقول
والافهام * وكانت بحول الله شهابا خارقا في قلوب الفلاسفة ومنكري
الخوارق * وسهما نافذا في قلوب الدهريين ومنكرى الخالق * فمن أذعن لها
استنار لبه واهتدى * ومن عتا وجحدا حترق وتردى * ولم يكن هذا الوضع بقوتي
واقتدارى * وما كانت تلك المعاني من أبكار أفكارى * ومن لى أن أنظم الثريا
عقدا * أو أملك في نظام الكواكب حلا وعقداً * فلا أقسم بمواقع النجوم * لقد
كان منالها أبعد عني من النجوم * بيد أنه تعالى قدر فهدي * ووفقني لسلوك طريق
جمعت منه هذا الدر منضداً * والذى دعاني لهذا الوضع * وان لم يتعين وجوبه
علىّ في حكم الشرع * مع أني لست من فرسان هذا الميدان * ولا ممن لهم فيه كبير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

شاهد ما رأيته من ولوع الخاص والعام بالفلسفيات والطبيعيات * مع عدم تنبه كثير منهم لما فيها من الآفات * حتى خدعوا بتلك الترهات * وخمدت همتهم عن التفكر فى خلق الارض والسموات * فصموا عن سماع تلك الآيات وهى له تعالي بالوحدانية شاهدات * وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون * لانهم لهجوا بالطبيعة واغتروا بالاباطيل * واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل * فزعموا أن الاسباب تؤثر فى المسببات بقوتها الطبيعية * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأوهن قواهم العقلية * ولو يري الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب * اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب * وقد تطرف بعضهم الي اعتقاد تأثير الطبيعة فى ايجاد الكائنات * فسلب العقل والتحق بالعجماوات والجمادات أفرأيت من اتخذ الهه هواه * وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره * غشاوة فمن يهديه من بعد الله (ولما) زعموا أن الكون يستغنى فى وجوده عن الارادة والتقدير * وأن مادته لها قوة على الايجاد والتأثير * أرادوا أن يعرجوا فى العوالم العلوية * معتمدين على القوة الطبيعية * فركبوا متن العمياء * وطاروا بجنحة الوهم فى جوّ السماء * لعلهم يبلغون الاسباب أسباب السموات * فيطلعوا على أسرار الطبيعة فى الكائنات * فوجدوا لهم شهابا رصداً فهبطوا عن أوج الكبرياء مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء * قد طردوا عن طريق الهدى والتحقيق * ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح فى مكان سحيق * وضلوا عن طريق الصواب * كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب * الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم متمسكين بالتوهم والاغترار * كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كل قلب متكبر جبار * وكذلك زين لفرعون سوء عمله * فجحد ألوهية الله تعالى بجهله * ورجا أن يبلغ تلك الاسباب * فصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب * ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآيات الله كلها فأخذهم أخذ عزيز مقتدر * أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر * أم يقولون نحن جميع منتصر * أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب * جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب * أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثاراً فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن * ولقد أراهم الله تعالي من الآيات ما يشهد بأنه المنفرد بالابداع والخلق * كما قال تعالي سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق * ولكنهم صم فلا يسمعون آياته بكم فلا ينطقون بالصدق * وقد عموا فلم يبصروا دليلا * قال تعالي سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق * وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا * ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون * ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الاّ أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون * ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين لسلوكهم فى اعتقادهم مسلك الفلاسفة والطبيعيين * ترى كثيراً منهم يتولون

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته ثم ان الطبيعيين ينقسمون الى قسمين (القسم الأول منهم) قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوانات والنباتات وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ما اضطروا معه الى الاعتراف بقادر حكيم مطلع على غايات الامور ومقاصدها ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الاعضاء مطالع الا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان لاسيما بنية الانسان الا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوى الحيوان به فظنوا أن القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم اذا انعدم فلا يعقل اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا الي أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وانكروا الجنة والنار والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام وهؤلاء زنادقة لان أصل الايمان هو الايمان بالله واليوم والآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وان آمنوا بالله وبصفاته (القسم الثاني) الدهريون وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون أبدا والمتأخرون منهم هم المادیون وسيأتي ذكر مذهبهم في الطبيعيات قال الاستاذ السيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله ومقصد أرباب هذه الطريقة الدهرية محو الاديان ووضع أساس الاباحة والاشتراك في الاموال والأبضاع بين الناس عامة وقد كدحوا الاجراء مقصدهم هذا وبالغوا في السعي اليه وتلونوا

لذلك

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لذلك في ألوان مختلفة وتقلبوا في مظاهر متعددة فى الامم والاجيال المختلفة فتخالفت أسماؤهم فكانوا تارة يسمون أنفسهم بسمات الحكماء وينتحلون الحكيم لقباً لأفرادهم وأحيانا كانوا يتسمون بسمات دافع الظلم ورافع الجور وكثيرا ما تقدموا المسارح الأنظار تحت لباس عرّاف الاسرار، كشف الحقائق والرموز والواصلين من كل ظاهر الي باطنه ومن كل بارز الي كامنه وقد كانوا يظهرون في أوقات بدعوى السعى فى تطهير الاذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات وتارات يتمثلون فى صور محبي الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين وكثيرا ماتجرؤا على دعوى النبوة ولكن لا على سنن المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلا لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم التي ملخصا وسيأتى ذكر مفاسدهم في النبوات

(وأما الرياضيات) فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئات العالم وليس يتعلق شيء منها بالامور الدينية نفياً واثباتا بل هي أمور برهانية السبيل الي مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منها آفتان (احداهما) أن من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده فى الفلاسفة ويحسب أن جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم ماتداولته الالسن فيكفر بالتقليد المحض ويقول لو كان الدين حقاً لما خفي على هؤلاء مع تدقيقهم فى هذا العلم فاذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم فينزل على ان الحق هو الجحد والانكار للدين وكم ممن ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه واذا قيل له اذ ق فى صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقا فى كل صناعة فلا يلزم أن يكون الحاذق فى الفقه والكلام حاذقا في الطب ولا أن يكون الجاهل بالعقليات جاهلا بالنحو بل لكل صناعة أهل تلقوا فيها البراعة والسبق وان كان الحق والجهل قد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يلزمهم في غيرها فكلام الفلاسفة في الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني لا يعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا قرر على هذا الذي كفر بالتقليد لم يتبع منه وقع القبول بل تحمله غلبة الهوى وشهوة البطالة وحب التكايس على أن يصير من تحسين الظن بهم في العلوم كلها (الآفة الثانية) نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن أن الدين ينبغي أن ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فأنكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر بعض المسائل الفلكية الحسابية وزعم أن ما قالوه مخالف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف تلك المسائل بالبرهان اطلع على ذلك في برهانه لكن اعتقد أن الاسلام مبني على الجهل وانكار البرهان القاطع فازداد الفلسفة حبا والاسلام بغضا ولقد أعظم على الدين جناية من ظن أن الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي ولا بالاثبات ولا في هذه العلوم تعرض للامور الدينية فهذه حكمة الرياضيات وآفتها (وأما المنطقيات) فلا يتعلق شيء منها بالدين نفيا واثباتا بل هو النظر في طرق الادراك والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وأن العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان فليس في هذا ما ينبغي أن ينكر بل ومن جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الادلة وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات وأي تعلق لشيء من هذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر فاذا أنكر لم يخل إما في انكاره عند أهل المنطق الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم وأنه بمرقوف على مثل هذا الانكار نعم لهم نوع من الظلم في هذا الا أنهم يجهلون البرهان شرط وطريق أنها نورث اليقين لا محالة لكنهم عند انتهاء في مقاصد دينية يمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر في المنطق أيضا من يستحسنه ويراه واضحا فيظن أن ما يفضل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عنهم من الكفريات مؤيد بمثل تلك البراهين فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية

(وأما الالهيات) فقيها أكثر أغاليطهم لانهم لم يقدروا الى الوفاء بالبراهين على ماشرطوا في المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها والذي قرّب ارسطاطاليس مذهبه فيها من مذاهب الاسلاميين على مانقله الفارابي وابن سينا والالهيون هم حكماء اليونان الذين ظهروا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح عليه السلام منهم سقراط وهو أستاذ أفلاطون وأفلاطون أستاذ ارسطاطاليس وارسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق وهذب العلوم وخمرلهم مالم يكن مخمرا من قبل وأنضج لهم ماكان نيئا من علومهم وبهج لهم ردوا على الدهريين والطبيعيين وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما غفوا به غيرهم ثم رد ارسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الالهيين ردا لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعه الا أنه استبقى من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للانزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبوعهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا والفارابي وغيرهما كذا قال الامام حجة الاسلام قال على أنه لم يقم بنقل علم ارسطاطاليس أحد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخليط وتخبيط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لايفهم وجميع ماغلط فيه الفلاسفة الالهيون من المسائل لايجب تكفيرهم به الا في ثلاث منها (احداها) قولهم ان الاجساد لاتحشر وانما المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة والعقوبات روحانية لاجسمانية ولقد صدقوا في اثبات الروحانية فانها كائنة أيضاً ولكن كذبوا في انكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به (ثانيتها) قولهم ان الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات فهو أيضاً كفر صريح بل الحق [illegible]

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ذرة في السموات ولا في الارض (وثالثها) قولهم بقدم العالم وأزليته فقد خالفوا في هذه المسائل الثلاث كافة المسلمين فانه لم يذهب أحد من المسلمين الى شيء منها * أما ماوراء ذلك من المسائل فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة في شيء من مذهبهم على المعتمد بل يجب تبديعهم وتفسيقهم * وقد زاد بعضهم على تلك المسائل التي يجب فيها تكفير الفلاسفة مسئلتين يجب فيهما تكفيرهم أيضاً (احداهما) قولهم ان الله تعالى موجد للعالم بالعلة والايجاب لا بالقدرة والاختيار وهذا تابع للقول بقدم العالم (وثانيتهما) قولهم ان النبوة مكتسبة وهذا يختص ببعض المتفلسفة الاسلاميين (وأما السياسيات) فمجموع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور الدنيوية السلطانية وانما أخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف الاولياء (وأما الخلقية) فجميع كلامهم فيها يرجع الى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما أخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في مجاهدتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ماصرحوا به فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل بها الى ترويج باطلهم فتولد من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية بكتبهم آفتان آفة في حق القائل وآفة في حق الراد (أما آفته) في حق من رده فعظيمة إذ ظنت طائفة من الضعفاء أن ذلك الكلام اذ كان مدونا في كتبهم وممزوجا بباطلهم ينبغي أن يهجر ولا يذكر بل ينكر على من يذكره لأنهم اذا لم يسمعوه أولا لانهم سبق الى عقولهم الضعيفة أنه باطل لأن قائله مبطل كالذي يسمع من النصراني قول لااله الاالله عيسى رسول الله فينكره

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويقول هذا كلام النصراني ولا يتوقف ريثما يتأمل أن المكلف هل يكفر باعتبار هذا القول أو باعتبار انكار نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فان لم يكفر الا باعتبار انكاره فلا ينبغي أن يخالف في غيره مما هو حق في نفسه وهذه عادة ضعيفي العقول يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق والعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله عنه حيث قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول فان كان حقا قبله سواء كان قائله محقا أو مبطلا بل ربما يحرص على انتزاع الحق من تضاعيف كلام أهل الضلال عالما بأن معدن الذهب الرغام ولا بأس على الصراف ان أدخل يده في كيس القلاب وانتزع الابريز الخالص من لزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته فانما يدحر عن معاملة القلاب القروي دون الصيرفي ويمنع من ساحل البحر الأخرق دون السباح الحاذق ويصد عن مس الحية الصبي دون الحكيم البارع ولعمري لما غلب على اكثر الخلق ظنهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة وكمال العقل في تمييز الحق عن الباطل والهدى عن الضلالة وجب حسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضلالة ما أمكن اذ لا يسلمون من الآفة الثانية التي سنذكرها وان سلموا من هذه الآفة التي ذكرناها * والحاصل أن الكلام اذا كان معقولا في نفسه مؤيدا بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة فلا ينبغي أن يهجر وينكر ولو فتحنا هذا الباب وفطرفنا الى أن نهجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل للزمنا أن نهجر كثيرا من الحق ولزمنا أن نهجر جملة من آيات القرآن وأخبار الرسول وحكايات السلف وكلمات الحكماء والصوفية لان بعض المبطلين يوردها في كلامه مستشهدا بها ومتدرجا بواسطتها الى باطله ويتداعي ذلك الى أن يستخرج المبطلون الحق من أيدينا بايداعهم اياها كتبهم وأقل درجات العالم أن يتميز عن العامي الغمر فلا يعاف العسل وان وجده في محجمة الحجام ويحقق أن المحجمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا تغير ذات العسل وأن نفرة الطبع منه مبنية على جهل عامي منشؤه أن المحجمة انما صنعت للدم المستقذر فيظن أن الدم مستقذر لكونه في المحجمة ولا يدري أنه مستقذر بصفة في ذاته فاذا عدمت هذه الصفة في العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة فلا ينبغي أن يوجب له الاستقذار وهذا وهم باطل وهو غالب على أكثر الخلق فمهما نسبت الكلام وأسندته الى قائل حسن فيه اعتقادهم فيلوه وان كان باطلا وان أسندته الى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا فأبدا يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق وهو غاية الضلال هذه آفة الرد { الآفة الثانية } آفة القبول فان من نظر في كتب الفلاسفة فرأى فيها ما استحسنه وقبله وحسن اعتقاده فيه فانه يسارع الى قبول باطلهم الممزوج به بحسن ظن حصل مما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج الى الباطل ولاجل هذه الآفة يجب زجر من يطالع كتبهم ويخوض في علومهم وان كانت تحتوي على ما لم يتعلق بأمر الدين لما فيها من الغرر والخطر وكذا يجب الزجر عما هو من مبادىء علومهم فانه يسري اليه شرهم وشؤمهم فقل من يخوض فيها الا ويخلع من الدين ويخل عن رأسه لجام التقوى وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات يجب صون الاسماع عن مخالط تلك الكلمات وكما يجب على الحكيم أن لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل اذا علم أنه سيقتدي به ويظن أنه مثله بل يجب عليه أن يحذره منه بأن يحذر هو في نفسه بين يديه فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله وكما أن الحكيم الحاذق اذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم فاستخرج منها الترياق وأبطل السم فليس له أن يشح بالترياق على المحتاج اليه وكذلك الصراف الناقد البصير اذا أدخل يده في كيس القلاب وأخرج منه الابريز الخالص وطرح زيف والبهرج

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فليس له أن يشح بالجيد المرضي على من يحتاج اليه كذلك العالم وكما أن المحتاج الى الترياق اذا اشمأزت نفسه عنه حيث علم أنه مستخرج من الحية التي هي مركز السم والفقير المضطر الي المال اذا نفر عن قبول الذهب المستخرج من كيس القلاب وجب تنبيهه على أن نفرته جهل محض هو سبب حرمانه من الفائدة التي هي مطلبه ويتحتم تعريفه على أن قرب الجوار بين الزيف والجيد لايجعل الجيد زيفاً كما لايجعل الزيف جيداً فكذلك قرب الجوار بين الحق والباطل لايجعل الباطل حقاً * وأما ايراد شبهات الفلاسفة أو غيرهم من أهل الضلال وتقرير حجتهم فقد أنكره بعض العلماء وهذا الانكار من وجه حق فلقد أنكر الامام أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة فرض فقال الامام أحمد نعم ولكن حكيت شبههم أولا ثم أجبت عنها فلم يؤمن أن يطالع الشبهة من تعلق بفهمه ولا يلتفت الى الجواب عنها أو ينظر الى الجواب ولا يفهم كنهه وما ذكره الامام أحمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر أما اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية نعم ينبغي أن لايتكلف لهم شبهة

(المطلب الثاني في أسباب اشتغال الامة الاسلامية بالفلسفة)

(وفي حالهم من قبل ومن بعد)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن مسعود وهذا الكلام منه عليه الصلاة والسلام في القرون المذكورة يعني في غالب الحال منهم ماذكر والا فقد كان منهم قوم لايقتدى بهم وانما عنى أهل العلم والرئاسة وانظر الي حكمة الشارع صلوات الله وسلامه عليه وكيف خص هذه القرون بالفضيلة دون غيرهم وان كان غيرهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من القرون فى كثير منهم البركة والخير ولكن اختصت هذه القرون بمزية لا يوازيهم فيها غيرهم وهي أن الله تعالي خصصهم لاقامة دينه واعلاء كلمته والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام قرنى أهل قرنى أي عصرى من الاقتران فى الامر الذي يجمعهم يعنى أصحابي ومن رآنى أو كان حياً في عهدى ومدتهم من البعثة مائة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل على الخلاف في وفاة أبي الطفيل آخر من مات من الصحابة وقد خصهم الله تعالي بخصوصية لا سبيل لاحد أن يلحق غبار أحدهم فيها فضلا عن علمه لان الله تعالى قد خصهم برؤية نبيه صلى الله عليه وسلم ومشاهدته ونزول القرآن عليه غضاً طريا وبحفظهم آي القرآن الذي كان ينزل نجوما نجوما فأهلهم لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد فجمعوه ويسروه لمن بعدهم وحفظوا أحاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام في صدورهم وأثبتوها على ما ينبغى من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة . وقد كان الامام مالك رحمه الله تعالى اذا شك فى الحديث تركه ألبتة فلا يحدث به وهو ليس من قرنهم بل من القرن الثانى فما بالك بهم وهم الخيار ووصفهم فى الحفظ والضبط لا يمكن الاحاطة به ولا يصل اليه أحد فجزاهم الله عن أمة نبيه خيرا لقد أخلصوا لله تعالي فى الدعوة وذبوا عن دينه بالحجة . قال ابن مسعود رضي الله عنه من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلي الله عليه وسلم فانهم كانوا أبر هذه الامة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا اختارهم الله تعالي لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه فاعرفوا فضلهم واتبعوهم فى آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم اه وحالهم رضي الله عنهم فى العلم وكمال المعرفة مما لا يدركهم فيه أحد من العالمين وذكر ذلك على سبيل الاستيفاء يطول فلنذكر البعض ليتبين به المراد (فمن ذلك) ماحكي عن على رضي الله عنه أنه قال لو أذن لي رسول الله صلي الله عليه وسلم أن أضع على الفاتحة وقر سبعين بعيرا لفعلت

وقال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها وقد نقل عنه رضى الله عنه في كل علم العجب العجاب حتى افتتنت به طوائف من المبتدعة وادعى بعضهم فيه ما ادعته النصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام . ومن عجيب أمره رضي الله عنه أن معضلات المسائل التى لا يتوصل الي جوابها الا بالانظار الدقيقة فى السنين المتطاولة اذا سئل هو عنها أجاب عنها بديهة من غير تأمل ولا تعظيم لشأنها كأنها عنده من الأمور الضرورية ككون الاثنين مثلا أكثر من الواحد وقضاياه فى ذلك مشهورة وفى الكتب مسطورة وتأمل جوابه رضي الله عنه في الفريضة المنبرية وهى زوجة وابنتان وأبوان وكان على المنبر يخطب قائلا الحمد لله الذى يحكم بالحق قطعاً ويجزى كل نفس بما تسعى واليه المآب والرجعى فسئل حينئذ فقال صار ثمن المرأة تسعا فتأمل قوله ذلك على البديهة بلا تأمل ولا تأخر فى ذلك الموقف الصعب ثم اعرض على عقول أكثر الناس ذلك وانظر أين هم من ذلك وكذلك فتواه فى رجلين لأحدهما ثلاثة أرغفة وللآخر خمسة هجم عليها ثالث فقدما له ما معهما واستوعبوا ثلاثتهم ذلك أكلا فلما قام عنهما جازاهما بثمانية دراهم فقال صاحب الثلاثة هى بيننا نصفين وقال الآخر بل على عدد أرغفة كل واحد فحلف الأول أن لا يأخذ الا ما أعطاه صميم الحق فرفعه الى على رضى الله عنه فقال خذ ما أعطاك فقال ان كان بصميم الحق فقال على بديهة اذاً ليس لك الا درهم واحد فقال كيف فقال أكلتم ثلاثتكم ثمانية أرغفة وقد رمأ أكل كل منكم غير معلوم فتحملون على الواء وثمانية على ثلاثتكم تباينها فتضرب فيها فتصير أربعة وعشرين فتضرب أرغفة كل منكم فيما ضربت فيه الثمانية فلك ثلاثة تضرب فى الثلاثة التي ضربت فيها الثمانية فذلك تسعة أكلت منها ثمانية وبقي لك واحد ولصاحبك خمسة تضرب له فى الثلاثة فذلك خمسة عشر أكل منها ثمانية وبقي له سبعة فقد أكل لك الوارد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جزأ ولصاحبك سبعة وانما وهبكما لذلك فاقسما مامنحكما على قدرما منحتماه .
وقد روى أنه جاءته امرأة تشكو له قالت مات أخي وخلف ستمائة درهم ولم
يعطوني الا درهما واحدا فقال لها رضي الله عنه على الفور لعل أخاك خلف من
الورثة كذا وكذا وفي رواية أنه قال لعل أخاك خلف سواك زوجة وأما وابنتين
واثني عشر أخا فقالت نعم فقال ذلك حقك لم يظلموك . وأمثال هذه مما روى
عنه خارج الحصر فانظر هذا الادراك القدسي الفائق الذي صارت العلوم
النظرية الصعبة ضرورية عنده كيف يكون ادراكه لما كثرت عليه الشواهد
وامتلأ القرآن والحديث بأدلته وبه ولع وعليه ربي من لدن إثغاره وذلك
معرفة المولى جل وعز ثم هو مع ذلك كله كان يقول في عمر رضى الله عنه لما مات
مات أعرفنا بالله تعالى . وقال سعيد بن المسيب رضى الله عنه ما رأيت أعرف من
عمر وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم رأى أنه شرب لبنا حتى كاد الري يخرج
من أظفاره وأعطى فضلة ذلك لعمر وأول صلى الله عليه وسلم تلك الرؤيا بالعلم
وكان عمر رضي الله عنه مكاشفا لا يقدر بذهنه شيأ الا كان ذلك فاذا كان يرسم
في مرآة ذهنه الصافية ما الادليل عليه ولا أمارة فكيف يكون ذهنه بمعرفة
من الكائنات كلها مطبقة على واضح الدلالة عليه جل وعز . وانظر قوله رضي
الله لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بفتنة القبر وسؤال الملكين أيكون معي
عقلي فقال نعم فقال اذا أكفيكهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عمر لموفق مصدق
فانظر الى وثوقه رضى الله عنه بنظر عقله وعدم اكتراثه بمناظرة من علمه مترق من علم
اليقين الى عين اليقين وهم الملائكة ولم يخف أن يشغل فكره هول منظرهما ولا فظاعة
القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة وهل تصدر هذه المقالة الا ممن مزجت
معرفة الله تعالى بلحمه ودمه حتى تلاشى عنده كل ماسواه ولم يخف غيره وانظر
قول النبي صلى الله عليه وسلم ان عمر لموفق وهو الصادق المصدوق وما ينطق عن

الهوي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الهوي . وقال عليه الصلاة والسلام فى عثمان رضي الله عنه انه لتستحيي منه ملائكة السماء . وروى أنه لم يكن يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وذلك ثمرة المراقبة التى هى ثمرة كمال المعرفة ورسوخ اليقين حتي كانه يعاينه كما قال تعالي انما يخشى الله من عباده العلماء . وقال صلى الله عليه وسلم في أبى بكر رضى الله عنه لو كشف الغطاء عن أبى بكر ما ازداد يقينا وقال ما فضلكم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام وانما فضلكم بشيء وقر في قلبه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام عن فضائل عمر رضي الله عنه فقال لو لبثت فيكم ما لبث نوح في قومه ألف سنة الا خمسين عاما ما وفيت بفضائل عمر وانه لحسنة من حسنات أبي بكر وما عسي أن أعد من مآثر الصحابة ومحاسنهم ويكفي في رسوخ معارفهم وقوة ايمانهم قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها فانظر هذه الشهادة العظمي فى حقهم الصادرة من ملك الملوك العالم بخفيات الضمائر ويكفى فى امامتهم لجميع الخلق ولا يكون كذلك الا من بلغ المرتبة العليا فى الاجتهاد قوله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ولقد كانوا رضى الله عنهم متعرضين لدعاء جميع الخلق الي الله تعالى وإقامة حجة الله تعالي عليهم واليهم المرجع في أزمنتهم في المسائل المعضلة وجميع الحوادث النازلة فلما مضوا طاهرين عقبهم التابعون لهم رضي الله عنهم وهم المرادون بقوله صلي الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم ثم الذين يلونهم أى القرن الذى بعد قرنه ومدتهم نحو سبعين أو ثمانين سنة ان اعتبر من سنة مائة وقد جمعوا ما كان من الاحاديث متفرقا وكان أحدهم يرحل فى طلب الحديث الواحد وفى المسألة الواحدة الشهر والشهرين وضبطوا أمر الشريعة أتم ضبط ونقلوا الاحكام والتفسير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقد ذكرنا حال الصحابة في العلم وكمال المعرفة فمن لقي مثل هؤلاء كيف يكون

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

علمه وكيف يكون حاله وعمله فحصل للقرن الثاني نصيب وافر أيضا في إقامة الدين ورؤية من رأي بعيني رأسه صاحب الشريعة صلوات الله تعالى عليه وسلامه فلذلك كانوا خيرا من الذين بعدهم ثم عقبهم التابعون لهم وهم المرادون بقوله في الحديث أخيرا ثم الذين يلونهم وهم أتباع التابعين نحوا من الخمسين الي حدود العشرين ومائتين وفيهم حدث الفقهاء المقلدون المرجوع اليهم في النوازل الكاشفون الكروب فوجدوا القرآن والحمد لله تعالى مجموعا ميسرا ووجدوا الاحاديث قد ضبطت وأحرزت فجمعوا ما كان متفرقا وتفقهوا في القرآن والاحاديث على مقتضى قواعد الشريعة واستخرجوا فوائد القرآن والاحاديث واستنبطوا منها فوائد وأحكاما وبينوها على مقتضى قواعد المنقول والمعقول ودونوا الدواوين ويسروا على الناس وبينوا المشكلات باستخراج الفروع من الاصول ورد الفرع الى أصله وبينوا الفرع من أصله فانتظم الحال واستقر من الدين لامة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسببهم الخير العظيم فحصلت لهم في اقامة هذا الدين خصوصية أيضا بلقائهم من رأى من رأى صاحب العصمة صلوات الله تعالي عليه وسلامه ومع ذلك لم يبقوا لمن بعدهم شيئا يحتاج أن يقوم به فكل من أتى بعدهم انما هو مقلد لهم في الغالب وتابع لهم فاذا ظهر لاحدهم فقه من غير فقههم أو فائدة من غير فائدتهم فمردود كل ذلك عليه أعني بذلك أن يزيد في حكم من الاحكام التي تقررت أو ينقص منها فذلك مردود بالاجماع * وأما ما استخرجه من بعدهم من الفوائد غير المتعلقه بالاحكام فمقبول لقوله عليه الصلاة والسلام في القرآن لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة التردد يعني التكرار فعجائب القرآن والحديث لا تنقضى الى يوم القيامه وكل قرن لا بد له أن يأخذ منه فوائد جمة خصه الله تعالى بها وضمها اليه لتكون بركة هذه الامة مستمرة الي قيام الساعة . قال عليه الصلاة والسلام أمتي مثل المطر لا يدري

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أيه أنفع أوله أو آخره أو كما قال عليه الصلاة والسلام يعني في البركة والخير والدعوة الى الله تعالى وتبيين الاحكام لا أنهم يحدثون حكما من الاحكام اللهم الا ما ندر وقوعه مما لم يقع في زمان من تقدم ذكرهم لا بالفعل ولا بالقول ولا بالبيان فيجب اذذاك أن ينظر في ذلك الحكم على مقتضي قواعدهم في الاحكام الثابتة عنهم المبينة الصريحة فاذا كان ذلك الحكم على مقتضي أصولهم قبلناه * فلما مضوا طاهرين ثم أتي من جاء بعدهم فلم يجد في هذا الدين وظيفة يقوم بها ويختص بها بل وجد الامر على أكمل الحالات لم يبق له الا أن يحفظ ما دونوه وا تنطبوه واستخرجوه وأفادوه فاختصت اقامة هذا الدين بالقرون المذكورة في الحديث ليس الا فلأجل ذلك كانوا خيرا ممن أتى بعدهم ولا يحصل لمن يأتي بعد هذه القرون المشهود لهم بالخير خير الا باتباع من شهد له صاحب العصمة صلوات الله تعالى عليه وسلامه بالخير فصار كل من يأتي بعدهم في ميزانهم ومن بعض حسناتهم فبان ما قال عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم * واتفق أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش الي حدود العشرين ومائتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاحشاً وأطلقت المعتزله ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وتغيرت الاحوال تغيرا شديدا وظهر قوله صلي الله عليه وسلم في آخر الحديث المتقدم كما في بعض الروايات ثم يفشو الكذب ظهورا بينا حتى يشمل الاقوال والافعال والمعتقدات وانجر الاستطلاع الي الكتب القديمة من تاريخ وحكمة وفلسفة فتملقت نفوسهم بترجمتها للوقوف على العلوم المحتجبة بحجاب اللغات الاجنبية فافترقوا فرقا شتى تضارت أفكارهم وتعارضت أقوالهم وتكثرت مباحثهم وطال الاختلاف بينهم واشتد تعصب كل فريق لفكره وظهر قوله صلي الله عليه وسلم تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان أمتي ستفترق على اثنين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وسبعين فرقة فتهلك احدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة واحدة فقد أخبر صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى أن الامة ستفترق ومتى افترقت خالف بعضها بعضا ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج وناظر كل فرقة من يخالفها فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد الي ترجيح قوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة منهما قال تعالي وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون .قال صاحب الكشاف الامة الملة وهو اشارة الى ملة الاسلام أى أن ملة الاسلام هي ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها يشار اليها بملة واحدة غير مختلفة وأنا الهكم اله واحد فاعبدون أما قوله تعالي وتقطعوا أمرهم بينهم والاصل وتقطعتم الا أن الكلام صرف الي الغيبة على طريق الالتفات كانه ينقل عنهم ماأفسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا ترون الي عظيم ماارتكبه هؤلاء والمعني جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما تتوزع الجماعة الشيء ويقسمونه فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى أما قوله تعالى كل الينا راجعون فقد توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم *وقد كان الاوائل من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي عليه الصلاة والسلام وقرب العهد بزمانه ولقلة الوقائع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة الى الثقات مستغنين عن تدوين العلوم وترتيبها أبوابا وفصولا وتقرير مباحثها فروعا وأصولا الي أن حدثت الفتن بين المسلمين وغلب البغي على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل الى البدع والأهواء وكثرت الفتاوى والواقعات والرجوع الى العلماء في المهمات فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والاصول وترتيب الابواب والفصول وتكثير المسائل بأدلتها وايراد الشبه بأجوبتها وتعيين الاوضاع

والاصطلاحات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والاصطلاحات وتبيين المذاهب والاختلافات وسموا معرفة الاحكام العملية عن أدلتها التفصيلية بالفقه ومعرفة أحوال الادلة اجمالا فى افادتها الاحكام بأصول الفقه ومعرفة العقائد عن أدلتها بالكلام وكان يقتصر فيه على افادة العقائد المبنية على الادلة القطعية المؤيد أكثرها بالادلة السمعية من غير خلط الفلسفيات وهذا هو كلام القدماء وكان معظم خلافياته مع الفرق الاسلامية خصوصاً المعتزلة لانهم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرى عليه جماعة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى باب العقائد . وذلك أن رئيسهم واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصرى رحمه الله يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر و يثبت المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن قد اعتزل عنا واصل فسموا المعتزلة وهم سموا أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصي على الله تعالى ونفي الصفات القديمة عنه سبحانه وتعالى ثم انهم توغلوا فى علم الكلام وتشبثوا بأذيال الفلاسفة في كثير من الاصول اذ كان نقل وعرب كثير من كتبها فان يحيي بن خالد البرمكي عرب من كتب الفرس كثيرا مثل كليلة ودمنه وعرب لاجله كتاب المجسطي من كتب اليونان والمشهور أن أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيمياء ولم يزل مذهب الاعتزال يبدو شيأ فشيأ الي أيام الرشيد وظهور بشر المريسي واظهار الامام الشافعى رضي الله عنه مقيدا في الحديد وسؤال بشر له اذ قال ماتقول ياقرشي في القرآن فقال اياى تعنى قال نعم قال مخلوق فخلي عنه فأحس الامام الشافعى رضى الله عنه بالشر وأن الفتنة تشتد فى اظهار القول بخلق القرآن فهرب من بغداد الى مصر ولم يقل الرشيد بخلق القرآن وكان الامر بين أخذ وترك الى أن ولي المأمون وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخري فى دعوة الناس الى ذلك الى أن قوى عزمه في السنة التى مات فيها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وطلب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأخبر في الطريق أنه قد توفي فبقي الامام أحمد محبوساً في الرقة حتى بويع المعتصم * حكي أن المأمون لما هادن بعض ملوك النصاري قال العلامة الصفدي وأظنه صاحب جزيرة قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليها أحد فجمع الملك خواصه من ذوى الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشاروا عليه بعدم تجهيزها الا مطرانا واحدا فانه قال له جهزها اليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها فلما أخذها المأمون نقلها وعربها فزاد الشر شرا والضر ضرا وقويت بها حجج المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الاهواء ومخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها في مباحثهم وفرجوا بها مضايق جدالهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على الراقع وكاد منار الحق يشتبه بالثلاث الاثافي والرسوم البلاقع على ان السنة الشريفة مرفوعة المنار مأمونة الشرار خافقة الاعلام راسخة الاحكام باهرة السنا ساطعه غضة الجنى يانعه

ويزيدها مر الليالي جدة * وتتادم الايام حسن شباب

وأهل السنة فتح لهم السلف الصالح مغلق أبوابها وذللوا بالشواهد الصادقة الصادعة ماجمح من صعابها وأطلعوا نيرها الاعظم فطمسوا من البدع تألق شهابها وأجنوا من اتبع هداهم ثمر اليقين متحد النوع وان كان متشابهاً وجاسوا خلال الحق فميزوه وأهل مكة أخبر بشعابها

ومن قال ان الشهب أكبرها السها * بغير دليل كذبته ذكاء

ولما بويع المعتصم أحضر الامام أحمد رحمه الله تعالى الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحاق والقاضي أحمد بن أبي داؤد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام ثم أمر به فضرب بالسياط الى أن أغمي عليه ونخسه عجيف

بالسيف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالسيف ورمى على الارض وديس عليه وهو مغشي عليه ثم حمل الى منزله ولم يقل بخلق القرآن وكانت مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهراً ولم يزل بعد ذلك يحضر الجمعة والجماعة ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال للامام أحمد لا تجمعن اليك أحداً ولا تساكني في بلد أنا فيه فاختفى الامام أحمد وصار لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل * وهناك حكاية تدل على أن الواثق رجع عن الاعتقاد والامتحان بخلق القرآن وهي على ما لخصته من الروايات المتعددة أن الواثق أتى له بشيخ مصفود مقيد فأحضر له أحمد ابن أبي داؤد للمناظرة فأقبل الشيخ على ابن أبي داؤد فقال الا م دعوت الناس ودعوتني اليه فقال الي أن تقول القرآن مخلوق فقال الشيخ أخبرني عن مقالتك هذه أواجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت قال نعم قال الشيخ أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله عز وجل هل سترشيأ مما أمره الله به في دينه قال لا قال الشيخ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى مقالتك هذه فسكت ابن أبي داؤد فقال الشيخ أخبرني عن آخر ما أنزل الله تعالى من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال الشيخ أكان الله تبارك وتعالى الصادق في اكمال دينه أم أنت الصادق في نقصانه فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه فسكت ابن أبي دؤاد فقال الشيخ أخبرني عن هذا الامر الذي تدعو الناس اليه أشيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أم شيء لم يعلموه ليس يخلو من أن تقول علموه أو جهلوه فان قلت جهلوه وعلمته أنت فيا سبحان الله يجهل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم شيأ وتعلمه أنت وأصحابك وان قلت علموه فأخبرني عنه أشيء دعا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لا قال فشيء دعا اليه أبو بكر رضي الله عنه قال لا قال فشيء دعا اليه عمر رضى الله عنه بعدهما قال لا قال فشيء دعا اليه عثمان رضي الله عنه بعدهم قال لا قال فشيء دعا اليه على رضى الله عنه بعدهم قال لا قال الشيخ فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعمت فلم يطالب أمته به واتسع لابى بكر رضى الله عنه وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فلم يدعوا الناس اليه أفلا وسعك ماوسعهم فوثب الواثق قائماً ودخل الحجرة وجعل ثوبه فى فيه وهو يضحك ثم جعل يقول صدق ليس يخلو من أن يقول علموه أو جهلوه فان قال علموه وسكتوا عنه وسعنا من السكوت ماوسع القوم وان قلنا جهلوه وعلمته أنت فيالكع ابن لكع يجهل النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه شيأ وتعلمه أنت وأصحابك ثم أمر برفع القيود عن الشيخ واعطائه أربعمائة دينار وأذن له فى الرجوع الى أهله وسقط من عينه ابن أبى داؤد ولم يمتحن بعد ذلك أحدا * ولما ولى المتوكل أحضر الامام أحمد وأكرمه وأطلق له مالا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده فى كل شهر أربعة آلاف درهم وفي أيام المتوكل ظهرت السنة وكتب الي الآفاق برفع المحنة واظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم وتكلم في مجلسه بالسنة ولم يزل المعتزلة فى قوة ونماء الى أيام المتوكل فخمدوا ولم يكن في هذه الامة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم . قال العلامة الصفدي ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار علم قدر ما كانوا عليه من العدد والعدد قال أبو بكر الصيرفي الفقيه الشافعي الاصولى كان المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى أظهر الله أبا الحسن الاشعرى فحجزهم في اقماع السمسم {وحكى} أن أبا الحسن الاشعرى رحمه الله تعالي كان تلميذا لابى على الجبائى قرأ عليه وتمذهب بمذهبه لان الجبائى كان زوج أم الامام أبى الحسن فاتفق أن جرت بينهما مناظرة فى وجوب الصلاح والاصلح على الله تعالى وهى على ما لخصته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من الروايات المتعددة ان الامام أبا الحسن رحمه الله تعالى قال للجبائى أتوجب الصلاح على الله تعالي فى حق عباده فقال نعم فقال مانقول في ثلاثة صبية اخترم الله تعالي منهم أحدهم قبل البلوغ وبقي اثنان فأسلم أحدهما ومات مطيعاً وكفر الآخر ومات عاصيافقال ان أحدهما وهو المسلم يثاب بالجنة والثانى وهو الكافر يعاقب بالنار والثالث وهو الصغير لايثاب ولا يعاقب قال الامام أبو الحسن ماالعلة في اخترام الصغير ان سأل ربه تعالي فقال لم اخترمتنى دون أخوىّ ولم أمتنى صغيرا وما أبقيتنى الي أن أكبر فأومن بك رأطيعك فأدخل الجنة ماذا يقول الرب تعالي فقال له الجبائى انه لو عاش لكفر فكان الاصلح اخترامه فيقول الرب انى كنت أعلم أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الاصلح لك أن تموت صغيراً فقال الامام أبو الحسن رحمه الله تعالي فقد أحيا أحدهما وكفر فهلا اخترمه قبل ذلك عملا بالاصلح له فان قال يارب لم لم تمتني صغيرا لئلا أعصي فلا أدخل النار فماذا يقول الرب فقال له الجبائى انما أحياه ليعرّضه لأعلى المراتب فهو الاصلح له فقال له الامام أبو الحسن فهلا أحيا الذى اخترمه ليعرضه لاعلى المراتب كما فعل بأخيه اذقلت انه الاصلح له فبهت الجبائى وانقطع ولم يحر جوابافقال الامام أبو الحسن وقف حمار الشيخ على العقبة ثم قال تعالي ذو الجلال أن توزن أحكامه بميزان الاعتزال ثم فارقه الامام أبو الحسن وترك مذهبه واشتغل هو ومن تبعه بابطال رأى المعتزلة واثبات ماوردت به السنة ومضي عليه الجماعة فسموا أهل السنة والجماعة * ثم لما نقلت الفلسفة الى العربية وخاض فيها الاسلاميون كما تقدم حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ليتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من ابطالها وهلم جرا الى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والالهيات وخاضوا فى الرياضيات حتى كاد لايتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات وهذا هو كلام المتأخرين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وما كان المقصود الا أن يبينوا للناس ما كان عليه السلف الصالح وزادوا بأن حصنوه بالبراهين العقلية التي تنتهي الي ضرورة العقل بحيث يخرج من أنكرها من ديوان العقلاء وبالادلة النقلية والقطعية فيما تقبل فيه منهم رضي الله عنهم فهم جعلوا على حرز دين الاسلام أسوارا لما قدمت جيوش المبتدعة التي لا تحصى كثرة تريد استلاب ذلك الدين وابداله بجهالات يهلك بها من اتبعها ثم لما أتت المبتدعة بمحاول الشبهات لتهدم بها أسوار الادلة وبسلاليم الاوهام والتخيلات لتتجاوز بها الي حرز الدين بالغت العلماء رضي الله عنهم في الاحتياط للدين ونظرت بعين الرحمة لجميع المسلمين فأفسدت عليهم تلك الشبهات ونسخت لهم تلك الاوهام والتخيلات بأجوبة قاطعة لا يجد العاقل عن الاذعان اليها سبيلا وأنفقوا رضى الله عنهم في جميع ذلك الذخائر التي حصلت لهم من الكتاب والسنة وآثار أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم الذين هم قدوة هذه الامة * ولقد كان حرز الدين محفوظا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتجاسر عليه أحد يروم الاختلاس منه وانما تجاسر من تجاسر عند غيبته صلى الله عليه وسلم لكنه صلي الله عليه وسلم لم يمت حتى ورث علماء أمته وأهل سنته من المعارف ما يدفعون به كل عدو يريد الاختلاس من دينه

أحل أمته في حرز ملته * كالليث حل مع الاشبال في أجم

فحين قام الاعداء بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لهدم حصن الدين أنفقوا في تحصينه أعظم تحصين تلك الذخائر التي ورثوها واستعملوا آلة عقولهم في وجوه انفاقها ولم تزل أرباح تلك الذخائر من زيادة تلك المعارف تتوالى عليهم وينفقونها عند الاحتياج اليها فهذا حال علماء أهل السنة الذين تكلموا في علم التوحيد وألفوا فيه التآليف جزاهم الله أفضل جزاء (روى) أن الاستاذ أبا اسحاق الاسفرايني رضى الله عنه صعد في زمن هيجان المبتدعة الي جبل لبنان وكان متعبدا لاولياء الله تعالى وخلوة لهم من الناس فوجدهم هنالك يتعبدون فقال لهم يا أكلة الحشيش هربتم

الى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الي هذا الموضع تتعبدون وتركتم أمة النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي المبتدعة فقالوا له يا أيها الاستاذ لا قدرة لنا على مخالطة الخلق وأنت الذي أقدرك الله على ذلك فأنت أهله فرجع رضى الله عنه واشتغل بالرد على المبتدعة وألف كتابه الجامع بين الجلي والخفي . وممن كبح جماح الفلاسفة الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالى فقد كان رحمه الله تعالي تاجا في هامة الليالي وعقدا فى لبة المعالي وقد أبدأ وأعاد وأفاد وأجاد فى رد محال الفلاسفة وزخرف باطلهم حتي عظمت فى الاسلام منته وظهرت على العلماء نعمته . قال ابن عربى رحمه الله تعالي فى العواصم والقواصم بعد أن ذكر الفلاسفة ومذاهبهم المخالفة للاسلام وقد جاء الله بطائفة عاصمة تجردت لهم وانتدبت بتسخير الله تعالي وتأييده للرد عليهم وعلى اخوانهم من المبتدعة بما ذكر الله فى كتابه وعلمه لنا على لسان رسوله فلما لم يفهموا تلك الاغراض بما استولى على عقولهم من صدإ الباطل وطفقوا يستهزؤن من تلك العبارات ويطعنون في تلك الدلالات وينسبون قائلها الى الجهالات ويضحكون مع أقرانهم في الخلوات فانتدب للرد عليهم بلغتهم ومكالمتهم بسلاحهم والنقض عليهم بأدلتهم أبو حامد الغزالى رحمه الله فأجاد فيما أفاد وأبدع فى ذلك كما أراده الله وأراد وبلغ من فضيحتهم المراد فأفسد قولهم من قولهم وذبحهم بمداهم فكان من جيد ما أتاه ومن أحسن ما رواه ورآه وأفرد عليهم فيما يختصون به دون مشاركة أهل البدع كتابا سماه تهافت الفلاسفة ظهرت فيه منته ووضحت فى درج المعارف مرتبته وأبدع فى استخراج الادلة من القرآن على رسم الترتيب فى الوزن الذى شرطوه على قوانين خمسة بديعة في كتاب سماه القسطاس ماشاء وأخذ فى معيار العلم عليهم طريق المنطق فزينه بالامثلة الفقهية والكلامية حتى محا فيه رسم الفلاسفة ولم يترك لهم مثالا ولا ممثلا وأخرجه خالصاً من دسائسهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الثاني في الحكمة والحكم وفيه مطلبان

المطلب الاول في معنى الحكمة والحكم

تطلق الحكمة على كل ماتطلق عليه الفلسفة مما تقدم وهي في اللغة العلم مع العمل وتطلق على العدل والحكم ووضع الشيء في موضعه وصواب الامر وسداده وأفعال الله كذلك لانه يتصرف بمقتضي الملك فيفعل مايشاء وافق غرض العباد أم لا وتطلق الحكمة أيضا على القرآن قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني القرآن وعلى النبوة قال تعالي فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة يعنى النبوة وعلى السنة قال تعالي ويعلمهم الكتاب والحكمة أى السنة ذكره قتادة قال العلامة أبو البقاء في الكليات ووجه المناسبة أن الحكمة تنتظم العلم والعمل كما أن السنة تنتظم القول والفعل وتطلق على مواعظ القرآن قال تعالى وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعني مواعظ القرآن وعلى الفهم والعلم قال تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعنى الفهم والعلم وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم وقيل الحكمة تستفاد منها ماهو الحق في نفس الامر بحسب طاقة الانسان وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وقيل الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو والحكمة في عرف العلماء هي استعمال النفس الانسانية لاقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة الحاثة على الافعال الفاضلة قدر طاقتها . وقال بعضهم الحكمة هي معرفة حقائق الاشياء على ماهي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة مالها وما عليها المشار اليه بقوله تعالي ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وافراطها الجربزة وهي استعمال الفكر فيما لاينبغى كالمتشابهات وعلى وجه لاينبغى كمخالفة الشرائع وتفريطها الغباوة التي هي تعطيل القوة الفكرية والوقوف عن اكتساب العلم وهذه الحكمة غير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحكمة التى هى العلم بالامور التي وجودها من أفعالنا بل هي ملكة تصدر عنها أفعال متوسطة بين أفعال الجربزة والبلاهة كما قررنا ونعني بهذا المعنى هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الجربزة التى هي افراط هذه القوة والبلادة التي هي تفريطها والحكمة الالهية علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة التى ليست بقدرتنا واختيارنا والحكمة المنطوى بها هي علوم الشريعة والطريقة والحكمة المسكوت عنها هى اسرار الحقيقة التى لم يطلع عليها علماء الرسوم والعوام على ماينبغي فيضرهم أو يهلكهم * والحكم فى اللغة الصرف والمنع للاصلاح ومنه حكمة الفرس وهى الحديدة التى تمنع عن الجموح ومنه الحكيم لانه يمنع نفسه ويصرفها عن هواها والاحكام والاتقان أيضا ومنه قوله تعالى أحكمت آياته أى منعت وحفظت عن الغلط والكذب والباطل والخطأ والتناقض ومنه اسم الحكيم أى العالم صاحب الحكمة والمتقن للامور ومعني الحكيم اذا أطلق على الله تعالى بخلاف معناه اذا وصف به غيره ومن هذا الوجه قال تعالي أليس الله بأحكم الحاكمين . والحكم أيضا الفصل والبت والقطع على الاطلاق وآيات محكمات معناه أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال أو محكمات مشددة أي ذوات حكمة لاشتمالها على الحكم أو حاكمات أي منقادة لاحكامها أو متقنات لتحكيم نظمها وبلوغ بلاغتها الغاية القصوي أو ممنوعات من التحريف أو موضحات لوضوح معاني الآيات كلها ولا يشترط الوضوح لكل أحد والا لكان المحكم غير محكم بالنسبة الي الاعجمي وحكم بينهم وله وعليه أى قضى والحكم أعم من الحكمة وكل حكمة حكم وليس كل حكم حكمة والحكم فى العرف اسناد أمر الي آخر ايجابا أو سلبا وعند المناطقة ادراك وقوع النسبة أو لا وقوعها وذلك أنك اذا قلت زيد قائم مثلا فهذا التركيب يسمي قضية وقد اشتمل على محكوم عليه وهو زيد وعلى محكوم

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

به وهو القيام وعلى نسبة وهي ثبوت القيام لزيد وادراك كل من هذه الثلاثة يسمى تصورا وادراك أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة يسمي تصديقا وحكما . وعرف المتكلمون الحكم بأنه اثبات أمر أو نفيه والمعني اثبات أمر لامر أو نفى أمر عن أمر فاثبات أمر لآخر كقولك زيد قائم والقدرة واجبة لله ونفى أمر عن آخر كقولك زيد ليس بقائم وشريك الله غير موجود فخرج قولك زيد وقولك لازيد فلايسمي واحد منهما حكما لان الاول وان كان اثبات أمر لكن ليس لامر آخر والثاني وان كان نفيا لامر لكن ليس عن آخر والمراد بقولهم اثبات أمر أو نفيه ادراك الثبوت أو إدراك الانتفاء فرجع الأمر لقول المناطقة انه ادراك أن النسبة واقعة أى مطابقة للواقع أوليست بواقعة أى أوليست مطابقة للواقع (واعلم) أنه لافرق في الاثبات بين أن يكون على جهة الحمل أي الاخبار كما فى الحمليات نحو العالم حادث أو على جهة الصحبة واللزوم كما فى الشرطيات المتصلة كقولك كلما كان العالم متغيراً كان حادثا أو على جهة العناد كما في الشرطيات المنفصلة كقولك الموجود اما قديم أو حادث وكذا يقال في النفي نحو العالم ليس بقديم أو ليس كلما كان العالم متغيرا كان القدم وصفا له أي لا تلازم بينهما أوليس الموجود اما حادث أو ممكن أى لاعناد ولا تنافي بينهما

(المطلب الثاني فى أقسام الحكم)

تقدم أن الحكم هو اثبات أمر أو نفيه واذا علمت ذلك فاعلم أن الحاكم بذلك الامر المثبت لغيره اما الشرع واما العادة واما العقل فلذلك انقسم الحكم الي ثلاثة أقسام شرعى وعادي وعقلي . أما الحكم الشرعى فهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الاباحة أو الوضع لهما فالخطاب فى الاصل توجيه الكلام نحو حاضر والمراد به هنا المخاطب به

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من اطلاق المصدر على اسم المفعول أي كلامه تعالى الازلي الذى خاطب به عباده كقوله تعالى أقيموا الصلاة ولا تقربوا الزنا وكلوا واشربوا والحج أشهر معلومات فالاول أمر والثانى نهي والثالث اباحة والرابع وضع وكل منها وان كان من قبيل الانشاء لكنه يتضمن الخبر مثلا أقيموا الصلاة يستلزم قولنا الصلاة واجبة وهو مشتمل على اثبات الوجوب للصلاة فسمى الخطاب المذكور حكما باعتبار ماذكر أو باعتبار أن قولنا الصلاة واجبة مشتمل على وجوب الصلاة وهذا الوجوب ثبت جبراً لا اختيار للعبد فيه كما قال تعالي وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم وخرج بقولنا خطاب الله تعالى خطاب غيره كالملوك والآباء والامهات والمشائخ وغيرهم من الانس والجن والملائكة فلا يسمي خطابهم حكما شرعياً وانما سمى خطاب الرسل عليهم السلام بالتكاليف حكما شرعياً لانهم مبلغون عن الله تعالي معصومون فى تبليغهم عن الكذب عمداً وسهواً والحكم الثابت بنحو القياس أو السنة أو الاجماع يسمي حكما شرعياً لان نحو القياس كاشف عن خطابه تعالى ومعرف له وهو معني كونه دليل الحكم. وقولنا المتعلق بأفعال المكلفين أى تعلق دلالة لا تعلق تأثير ولا تعلق انكشاف وهو صفة كاشفة للخطاب ليست للاحتراز عن شيء لان كلامه تعالى لا يكون الا متعلقاً اما تعلقاً تنجيزيا بالنسبة للامر والنهي أوماهو أعم من التعلق التنجيزى بالنسبة لغير الامر والنهى وخرج بأفعال المكلفين خطاب الله تعالى المتعلق بذواتهم وصفاتهم والمتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله وبالجمادات وبقية الحيوانات فلا يسمي ذلك حكما شرعياً والتعبير بالمكلفين نظرا للغالب من تعلق الخطاب بهم فان خطاب التكليف خاص بهم وخطاب الوضع مشترك بينهم وبين غيرهم فانه يتعلق بالصبي والمجنون بدليل أنهما يضمنان متلفاتهما والمراد بالفعل مايشمل فعل اللسان والقلب كالقول والنية والاعتقاد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وخرج بقولنا بالطلب قصص أفعال المكلفين والأخبار المتعلقة بأفعالهم وقولنا بالطلب متعلق بخطاب وانما تعلق به مع كونه مصدراً موصوفا لانه بمعني اسم المفعول كما تقدم والباء للملابسة من ملابسة الجنس لانواعه الاعتبارية وذلك أن كلامه تعالي واحد من حيث ذاته لكنه يتنوع الي أنواع من حيث دلالته وتعلقه فمن حيث دلالته على طلب الفعل طلباً جازما يسمى ايجابا ومن حيث دلالته على طلب الفعل طلبا غيرجازم يسمى ندبا ومن حيث دلالته على طلب الكف عن الفعل طلبا جازما يسمى تحريما ومن حيث دلالته على طلب الكف عن الفعل طلبا غيرجازم يسمى كراهة فدخل تحت الطلب والاباحة خمسة أحكام الايجاب والندب والتحريم والكراهة والطلب فى الاولين يسمى أمراً وفي الاخيرين يسمي نهياً والخامس الاباحة وتسمي الخمسة المذكورة أحكاما تكليفية والمراد بقولنا أو الوضع لهما أى للطلب والاباحة خطاب الله أي كلامه من حيث تعلقه بجعل الشيء سبباً أو شرطا أو مانعاً لأحد الاحكام الخمسة المذكورة فدخل تحت قولنا أو الوضع لهما الاحكام الخمسة الوضعية وهى السبب والشرط والمانع والصحة والفساد أى اثبات الصحة أو الفساد والمراد بهذا الاثبات كلام الله تعالى من حيث دلالته على أن الشيء صحيح أى ان استوفي الامور المعتبرة فيه أو فاسد أى ان لم يستوفها *وأما السبب فهو ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود بالنظر الى ذاته كالزوال مثلا فان الشارع وضعه سببا لايجاب الظهر أي جعله علامة فيلزم من وجوده ايجاب الظهر ومن عدمه عدم ايجابها أى أنه يلزم من العلم بالعلامة العلم بالحكم ومن عدم العلم بها عدم العلم بالحكم من حيث الحكم بها وهذا لا ينافى وجود الحكم فى نفس الأمر وخرج بقولنا مايلزم من عدمه العدم الدليل على الحكم فان الدليل وان لزم من وجوده الوجود لكنه لا يلزم من عدمه العدم وقولنا

بالنظر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالنظر الي ذاته راجع للجملتين أي مايلزم من عدمه العدم لذاته ومن وجوده الوجود لذاته أما رجوعه للجملة الثانية فللاحتراز عن خروج السبب الذي اقترن به مانع أو انتفى منه شرط كالحيض والجنون عند دخول الوقت فانه لم يلزم من وجود السبب وجود المسبب لكن لا لذاته بل لما ذكر من اقتران المانع وانتفاء الشرط ولو نظر الي ذاته مع قطع النظر عن موجب التخلف لكان وجوده مقتضياً لوجود المسبب وأما رجوعه للجملة الأولى فللاحتراز أيضاً عن خروج سبب الشيء الذي له سبب آخر يخلفه عند عدمه كالشمس فانها سبب في الضوء مع أن له سبباً آخر وهو النار فاذا انعدمت الشمس ووجد الضوء بالسبب الآخر لم يلزم من عدمها العدم لكن لا بالنظر لذاتها وترجيع قولنا لذاته للجملة الأولي للاحتراز عن خروج ماذكر اذا لوحظ فرد معين من أفراد السبب أما اذا أريد جنس السبب المتحقق في كل فرد من أفراده وقطع النظر عن سبب بعينه فلا يحتاج لترجيع قولنا لذاته للجملة الاولي للاحتراز عن خروج ماذكر لان السبب من حيث هو أي جنسه وماهيته المتحققة في أي فرد كان يلزم من عدمه العدم وتعريف السبب بماذكر تعريف بالاعم ان جعلت ما في قولنا ما يلزم الخ واقعة على شيء لصدق التعريف حينئذ بالسبب العقلي والعادي والشرعي وصدقه بأحد الامرين المتساويين كالانسان والناطق وباللازم المساوي لملزومه كالناطق والمتعجب فان كلا منهما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود لذاته والتعريف بالأعم جائز عند المتقدمين من المناطقة وان جعلت ما واقعة على موضوع شرعي أي موضوع شرعي يلزم الخ أي شيء جعل الشارع وجوده علامة على وجود غيره وجعل عدمه علامة على عدم غيره كان المعرف به أخص مطلقاً وبالاعم وخرجت هذه المذكورات *واعلم أن التحقيق أن كلا من السبب العقلي والعادي جعل الله وجودهما علامة على وجود غيرهما وهو المسبب لما تبين من أن الموجد

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للاسباب والمسببات هو الله تعالي لكن لما كان السبب الشرعي لا يمكن أن يستفاد العلم به الا من الشرع وكل من السبب العقلي والعادي يستفاد العلم به من العقل أو العادة سميا بالعقلي والعادي وسمي الاول بالشرعي (وأما الشرط) فهو مايلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته كالطهارة للصلاة وقولنا لذاته راجع للجملة الثانية بجزئيها أي ولا يلزم من وجوده الوجود بالنظر لذاته أي وأما بالنظر لغيره فقد يلزم عند وجوده الوجود كما لو وجدت الاسباب وانتفت الموانع عند وجود الشرط فانه يلزم حينئذ وجود المشروط لكن لا بالنظر لوجود الشرط بل بالنظر لغيره وهو وجود الاسباب وانتفاء الموانع ولا يلزم من وجوده العدم بالنظر لذاته وأما بالنظر لغيره فقد يلزم عند وجوده العدم كما لو انتفت الاسباب أو وجد المانع عند وجود الشرط فانه يلزم حينئذ عدم المشروط لكن لا بالنظر لوجود الشرط بل بالنظر لغيره وهو وجود المانع أو انتفاء الاسباب ويصح أن يجعل قولنا لذاته راجعاً للجملة الاولى أيضاً أعني قولنا مايلزم من عدمه العدم أي وقد لا يلزم من عدمه العدم لعارض كفاقد الطهورين. والتعريف المذكور تعريف بالاعم ان جعلت ما في قولنا مايلزم الخ واقعة على شيء لصدق التعريف حينئذ بجزء العلة وكذا جزء المركب فانه يلزم من عدمه عدمه ولا يلزم من وجوده وجوده وكذا اللازم الأعم من ملزومه كلزوم الضوء للشمس فانه يلزم من عدمه عدم ملزومه ولا يلزم من وجوده وجود ملزومه ولا عدم وجوده وان جعلت ما واقعة على موضوع شرعي خرج ماذكر كما تقدم (وأما المانع) فهو مايلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته كالحيض فانه يلزم من وجوده عدم وجوب الصلاة مثلا ولا يلزم من عدمه وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها التوقف وجوبها على أسباب قد تحصل عند عدم الحيض فيحصل الوجوب وقد لا تحصل فلا يحصل الوجوب وقولنا لذاته

راجع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

راجع للجملة الثانية بجزئيها أي ولا يلزم من عدمه الوجود بالنظر لذاته وقد يلزم من عدمه الوجود بالنسبة لغيره بأن وجدت الاسباب والشروط عند انتفائه ولا يلزم من عدمه العدم بالنظر لذاته وقد يلزم من عدمه العدم بالنسبة لغيره بأن انتفت الاسباب والشروط مع كونه منتفياً هذا هو المشهور في تقرير التعاريف الثلاثة والتحقيق أن قيد لذاته فيها مستغنى عنه بمن في قولنا من وجوده ومن عدمه لانها للابتداء والسببية فتفيد أن اللزوم من ذات السبب مثلا فان وجد بعد ذلك تخلف لم يكن من ذات السبب أو الشرط أو المانع بل من غيره فالضوء مثلا عند فقد الشمس ليس ناشئا من فقدها بل من النار وهكذا ففي الكلام ما يغني عن القيد المذكور نعم ان جعلت من بمعنى عند كان ذلك القيد محتاجا اليه . وقد تحصل مما تقدم أن السبب يؤثر بطرفيه أعني طرفي وجوده وعدمه فيؤثر بطرف وجوده في وجود المسبب ويؤثر بطرف عدمه في عدم المسبب والشرط يؤثر بطرف عدمه فقط في العدم فقط أي في عدم المشروط والمانع يؤثر بطرف وجوده فقط في العدم فقط والمراد بالتأثير الاقتران لا الايجاد والاختراع لان المؤثر في المسببات والمشروطات والممنوعات انما هو الله سبحانه وتعالى لكن جرت عادته تعالى بأن ايجاده للمسبب مصاحب لوجود السبب واعدامه للمسبب مصاحب لعدم السبب وهكذا يقال في الباقي . وقد علم مما تقدم أيضا أن الاحكام التكليفية خمسة وكل واحد منها له أسباب وشروط وموانع فالايجاب كطلب صلاة الظهر سببه دخول وقتها وهو الزوال وشرطه البلوغ والعقل ومانعه الحيض والاغماء والندب كطلب صلاة الضحى سببه دخول وقتها وهو ارتفاع الشمس قدر رمح وشرطه العقل ومانعه الحيض أو وقت المنع والتحريم كطلب الكف عن اكل الميتة سببه خبثها وشرطه عدم الاضطرار ومانعه الاضطرار والكراهة كطلب الكف عن الصيد سببه اللهو وشرطه عدم الاحتياج ومانعه الاحتياج

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والاباحة كالتخيير في البيع سببه احتياج البائع الى الثمن واحتياج المشتري الي المبيع وشرطه الانتفاع بالمبيع مثلا ومانعه وقوع البيع وقت نداء الجمعة ومحل استيفاء مايتعلق بمباحث الحكم الشرعي في الاصول (وأما الحكم العادي) فحقيقته اثبات الربط بين أمر وأمر وجودا أوعدما بواسطة التكرر على الحس والمراد بالاثبات في الاصل ادراك الثبوت والمراد بالثبوت النسبة كما تقدم في تعريف الحكم لكن المراد بالاثبات هنا مجرد الادراك فيجرد عن بعض معناه لان الربط هو التعلق والارتباط والمراد به النسبة الحكمية فيكون متعلق الاثبات فيما تقدم في المعنى موافقا لمتعلقه هنا .وبين ظرف في محل نصب على الحال والمراد بالأمرين الموضوع والمحمول في نحو الاكل مشبع فالاكل هو الموضوع ومشبع هو المحمول فمتى أريد بأحدهما أحدهما أريد بالآخر الآخر وقوله وجودا أوعدما تمييزان للربط بالمعني المذكور وحينئذ فالمعنى فحقيقة الحكم العادي ادراك النسبة الحكمية الكائنة بين المحمول والموضوع أي التصديق بها من جهة وقوعها فتكون القضية موجبة كقولنا الاكل مشبع فالنسبة فيه وهي ثبوت الاشباع للاكل مصدق بها من جهة وقوعها أومن جهة عدم وقوعها فتكون القضية سالبة كقولنا ليس عدم الاكل مشبعا فالنسبة فيه وهي ثبوت الاشباع لعدم الاكل مصدق بها من جهة عدم وقوعها فالنسبة في كل من الموجبة والسالبة واحدة على التحقيق وهي الثبوت لكنها في الموجبة مصدق بها من جهة وقوعها وفي السالبة مصدق بها من جهة عدم وقوعها . ويصح أن يكون وجودا أوعدما تمييزين من أمر وأمر على البدل أي اثبات الربط بين أمر من جهة وجوده أو عدمه وبين أمر آخر من جهة وجوده أو عدمه وعليه ففيه حذف من الاول لدلالة الثاني بناء على جواز حذف التمييز لدليل أوراجعتين لهما معا لا على البدلية ولا حذف أي من جهة وجودهما أوعدمهما . ودخل تحت هذا الكلام

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أقسام الربط الاربعة وهي ربط وجود بوجود كربط وجود الشبع بوجود الاكل في قولنا الاكل مشبع وربط عدم بعدم كربط عدم الشبع بعدم الأكل في قولنا عدم الاكل ليس مشبعا وربط وجود بعدم كربط وجود البرد بعدم الستر كما في قولنا عدم الستر موجب للبرد وربط عدم بوجود كربط عدم الاحراق بوجود النار مع وجود الماء كما في قولنا النار مع وجود الماء على الحطب مثلا ليست محرقة وقولنا بواسطة التكرر متعلق باثبات أي انما جاء هذا الاثبات بواسطة وهي التكرر فالاضافة للبيان وأقل ما يحصل به التكرر وقوع الشيء مرتين فان لم يقع الا مرة واحدة فليس بعادي وانما هو داخل في الحكم العقلي الجائز وكون التكرر مستندا لحكم أعم من أن يكون على الحاكم نفسه أو على غيره ممن يقلده في ذلك الحكم كحكم الواحد منا بأن شرب السكنجبين مسكن للصفراء تقليدا للاطباء في ذلك لتكرره عليهم وقولنا على الحس متعلق بتكرر والمراد بالحس ما يشمل الظاهري والباطني فربط الاحراق بالنار يتكرر على الحس الظاهري وربط الجوع بعدم الاكل يتكرر على الحس الباطني وهو المسمى بالوجدان فادراك الربط اي ثبوت الاحراق للنار مثلا حكم عادي لان ادراك ثبوت الاحراق للنار انما حصل بواسطة تكرر الاحراق على الحس عند وجود النار ومقارنتها للاجسام مع كون تخلف ذلك الاحراق جائزا عقلا فيصح عقلا تأخر الاحراق عن النار وان وجد شرطه العادي وهو مقارنة النار للجسم وانتفى مانعه عادة وهو البلل مثلا وليس معنى هذا الحكم ادراك ثبوت الاحراق للنار على أنها هي التي أثرت في الاحراق لما مسته مثلا أو في تسخينه اذ هذا المعنى لا دلالة للعادة عليه أصلا وانما غاية ما تفيده العادة حصول الاحراق والنار معا عند وجود المقارنة وانتفاء البلل مثلا ولم تفد العادة تأثير النار أو غيرها فيه فتعين المؤثر في الاحراق ليس للعادة فيه مدخل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولامنها يتلقي علم ذلك وسيأتي توضيح هذا المقام زيادة على ماهنا في المبحث الاول من الطبيعيات وقس على ماذكرنا سائر الاحكام العادية كادراك ثبوت الشبع للاكل والري للماء والاضاءة للشمس ونحو ذلك مما لاينحصر فان العلم بفاعل هذه الآثار المقارنة لهذه الاشياء لم يستفد من العادة وانما يتلقي العلم به من الدليل العقلي والنقلي وقد أطبقت الادلة العقلية والنقلية على انفراد المولى جل وعز باختراع جميع الكائنات عموما وانه لاأثر لما سواه تعالى في أثر ما جملة وتفصيلا ﴿ واعلم ﴾ أن العقلاء على أربعة أقسام فمنهم من اعتقد أن الاسباب العادية تؤثر في مسبباتها بطبعها وذاتها والتلازم بينهما عقلي فلا يصح التخلف وهذا الاعتقاد فاسد وناشيء من عدم التمييز والنظر في العقليات وصاحب هذا الاعتقاد كافر وحكى بعضهم الاجماع على كفره ومنهم من اعتقد أن الاسباب العادية تؤثر في مسبباتها بقوة أودعها الله فيها والتلازم بينهما عادي فيصح التخلف وهذا في كفره قولان والصحيح عدم كفره لكنه مبتدع وفاسق ومنهم من يعتقد أن المؤثر في المسببات العادية كالاحراق والري والشبع هو الله وحده الا أنه يعتقد أن الملازمة بين الاسباب والمسببات عقلية لايمكن تخلفها فمتى وجدت النار وجد الاحراق ومتى وجد الاكل وجد الشبع وهذا غير كافر اجماعا الا أن هذا الاعتقاد جهل يؤل به الى الكفر لانه يلزمه انكار ماخالف العادة كمعجزات الرسل واحياء الموتى الا أن لازم المذهب ليس بمذهب ومنهم من يعتقد أن المؤثر في المسببات العادية هو الله وحده وأن الملازمة والمقارنة بين الاسباب والمسببات عادية يمكن تخلفها بأن يوجد السبب دون المسبب وهذا الاعتقاد هو الحق وهو المنجي عند الله (وأما الحكم العقلي) فهو اثبات أمر لامر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع نخرج بقولنا من غير توقف على تكرار الحكم العادي وخرج بقولنا ولا وضع

واضع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واضع الحكم الشرعي كذا قيل وقد يقال لاحاجة في اخراج الحكم الشرعي الى ماذكر لانه كما تقدم كلام الله الخ وهو خارج من قولنا اثبات أمر لامر أو نفيه فان كلام الله ليس اثباتا بمعنى ادراك الثبوت ولانفياً بمعنى ادراك الانتفاء (واعلم) أن اثبات أمر لامر أو نفيه اما أن يكون على جهة الوجوب أو الجواز أو الاستحالة فالحكم العقلي لايخرج عن أحد هذه الثلاثة وحينئذ فلا بد من تعريفها الا أنهم استغنوا بتعريف الواجب والجائز والمستحيل عن تعريف الوجوب وأخويه لان الواجب وأخويه مشتق من الوجوب وأخويه ومعرفة المشتق تستلزم معرفة المشتق منه *فالواجب قد عرفوه بأنه مالايتصور فى العقل عدمه أى الامر الذى لايتصور أعم من أن يكون ذلك الامر ذاتا أوصفة أو نسبة كذات الله تعالي وصفاته وثبوت كل صفة من تلك الصفات له وأما الحكم بمعنى ادراك تلك النسبة فليس بواجب بل هو جائز .ومعنى لايتصور عدمه أى انتفاؤه بحيث يثبت نقيضه لا أن المراد بعدمه أنه أمر عدمي وحينئذ فيدخل في التعريف صفاته تعالي السلبية لانها وان كانت أمورا عدمية لايتصور انتفاؤها بحيث يثبت نقيضها .ويتصور اما بفتح الياء مبنياً للفاعل وفى بمعنى عند وعدمه فاعل أي مالايمكن عند العقل عدمه واما بضم الياء مبنياً لما لم يسم فاعله وفي بمعني باء السببية وعدمه نائب الفاعل أى مالا تدرك النفس بسبب العقل عدمه وذلك لان يتصور يستعمل لازما ومتعديا يقال تصور الشيء أمكن وتصورت الشيء عقلته وأدركته وعلي هذا المعني الثاني فالمراد بالتصور التصديق أى الاعتقاد لان النفس قد تدرك عدم الواجب فان المحال قد يتصور أي يدرك كما لو قيل لوانتفت قدرة الله تعالي لم يوجد شيء من العالم فان قائل ذلك متصور عدم القدرة أي مخطر له ببالله من غير تصديق ولا يحتاج فى اطلاق التصور علي التصديق الى قرينة لانه اشتهر حتى صار

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حقيقة عرفية أو كاد وكثيراً مايقال عقلي لايتصور هذا الكلام أي لايقبله ونحو هذا . وأل في العقل اما للعهد والمعهود الفرد الكامل واما للاستغراق فيشمل كل عقل لكن بقطع النظر عن العلائق المانعة من عدم التصديق كالشبه التي تقوم بعقل الفرق الضالة وعلى تفسير التصور بالتصديق فمعنى الواجب هو الذي لايصدق العقل بوقوع عدمه أي لايقبله ولا يثبته يعني اما ابتداء بلا احتياج الى سبق نظر واستدلال ويسمى الواجب الضروري كالتحيز مثلا للجرم وهو كل ماملأ فراغا كالشجر والحجر فان العقل ابتداء لايدرك انفكاك الجرم عن التحيز وأخذه قدر ذاته من الحيز اي الفراغ واما بعد سبق النظر والاستدلال ويسمى الواجب النظري كقدرة الله تعالى فان العقل انما يدرك وجوبها له تعالى اذا فكر ونظر في الدليل . فقد عرفت بهذا انقسام الواجب الى ضروري ونظري وينقسم أيضا الي ذاتي وعرضي وينقسم الذاتي الى مطلق ومقيد . فالواجب الذاتي المطلق كذات الله تعالى سمي بذلك لانه واجب لذاته بمعنى أن وجوبه ليس بالنظر لغيره ووجوبه غير مقيد بشيء والواجب الذاتي المقيد كالتحيز للجرم لانه واجب لذاته بالمعني المذكور ووجوبه مقيد بدوام الجرم بمعني أنه لايقبل الانتفاء مادام الجرم باقياً والواجب العرضي كوجود الممكن في الوقت الذي تعلق علم الله بوقوعه فيه سمي بذلك لان وجوبه ليس لذاته فانه بالنظر لذاته جائز لاستواء وجوده في ذلك الوقت وعدم وجوده فيه بل وجوبه بالنظر لغيره فانه عرض له من تعلق علم الله تعالى بوقوعه لا بعدمه في ذلك الوقت * والمستحيل مالا يتصور في العقل وجوده أي الامر الذي لا يتصور أعم من أن يكون ذاتا كالشريك أو صفة كالعجز أو نسبة كثبوت العجز لله تعالى كما تقدم نظيره في الواجب ويتصور اما بضم الياء أو فتحها على ماتقدم والمراد بالوجود الثبوت والتحقق في نفس الامر فخرجت الامور الاعتبارية والاحوال

على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على القول بها فانها وان كانت لا تتصف بالوجود في خارج الاعيان لكنها تتصف بالوجود في خارج الاذهان أي الثبوت والتحقق في نفس الامر بقطع النظر عن اعتبار المعتبر وفرض الفارض وخرج أيضاً عدم العوالم في الازل وصفات السلوب كالقدم فانه وان كان مفهومها عدمياً لكن لهما وجود أي تحقق في نفس الامر وذلك لان كلا منهما واجب وكل واجب يصدق العقل بوجوده في نفس الامر فقولنا في تعريف المستحيل مالا يتصور في العقل وجوده أي لا يصدق العقل بثبوته وتحققه في نفس الامر يعني أيضاً اما ابتداء أو بعد سبق النظر فمثال الاول عرو الجرم عن الحركة والسكون أي تجرده عنهما معا في آن واحد بحيث لا يوجد فيه واحد منهما فان العقل ابتداء لا يتصور ثبوت هذا المعنى للجرم ومثال الثاني الشريك لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فان استحالة الشريك لله تعالى انما يدركها العقل بعد أن يسبق له النظر في دليل الوحدانية فقد عرفت أيضا بهذا انقسام المستحيل الى ضروري ونظري وينقسم أيضا الى ذاتي وعرضي وينقسم الذاتي الى مطلق ومقيد فالمستحيل الذاتي المطلق كالشريك والذاتي المقيد كعدم التحيز للجرم والعرض كوجود جبل من ذهب وبحر من زئبق ومنارة من ماء فانه وان كان جائز الوجود لصحة تصوره في العقل لكنه عرض له الاستحالة من تعلق علم الله بعدم وقوعه . والجائز ما يصح في العقل وجوده وعدمه أي معلوم أو مفهوم يدرك العقل ثبوته وتحققه تارة وعدمه أخرى يعني أيضا اما ضرورة واما بعد سبق النظر فمثال الاول اتصاف الجرم بخصوص الحركة مثلا فان العقل يدرك ابتداء صحة وجودها للجرم وصحة عدمها له ومثال الثاني تعذيب المطيع الذي لم يعص الله قط طرفة عين فان العقل انما يحكم بجواز هذا التعذيب في حق المطيع بعد أن ينظر في برهان الوحدانية له تعالى ويعرف أنه ليس في ذلك ظلم لان الظلم عليه تعالى مستحيل أما الشرع فقد بين أن الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تعالى اختار بمحض فضله للمؤمن المطيع أحد الأمرين الجائزين فى حقه تعالي وهو الثواب والنعيم المقيم كما اختار تعالي بعدله للكافر الجائز الآخر وهو النار والعذاب الأليم هذا هو المشهور فى تعريف الاقسام الثلاثة* ويرد على ربطه بالعقل أن الواجب واجب فى نفسه وجد عقل أولم يوجد وكذا المستحيل والجائز فالاولى أن يقال الواجب مالا يقبل الانتفاء والمستحيل مالا يقبل الثبوت والجائز مايقبلهما . ويصح أن يمثل للاقسام الثلاثة بالحركة والسكون فالواجب العقلى ثبوت أحدهما لابعينه للجرم أو نفى أحدهما لابعينه عنه والمستحيل ثبوتهما معاً للجرم أو نفيهما معا والجائز ثبوت أحدهما بالخصوص للجرم أو نفي أحدهما بالخصوص عنه* واعلم أن معرفة هذه الاقسام الثلاثة وتكريرها تأنيسا للقلب بأمثلتها حتى لايحتاج الفكر فى استحضار معانيها الى كلفة أصلا مما هو ضروري على كل عاقل يريد الفوز بمعرفة الله تعالي ورسله عليهم الصلاة والسلام بل قال امام الحرمين وجماعة ان معرفة هذه الاقسام الثلاثة هى نفس العقل فمن لم يعرف معانيها فليس بعاقل والله الموفق

المقصد الاول فى الالهيات* وفيه مقدمة وثلاثة مباحث

المقدمة في المعرفة وذكر الصفات وأضدادها وأنواع المنافاة

(وفيها ثلاثة مطالب* المطلب الاول فى معني المعرفة)

اعلم أن المطلوب فى عقائد الايمان المعرفة وحقيقتها الجزم المطابق للواقع عن دليل أى الجزم المطابق لما في نفس الامر وهو علم الله تعالى والجزم معناه الادراك الجازم والمعني الادراك الجازم المطابق متعلقه وهو النسبة المعتقدة للنسبة التى في علم الله وخرج بالجزم الظن وهو ادراك أحد المتقابلين براجحية والوهم وهو ادراك أحدهما بمرجوحية والشك وهو ادراك كل منهما على السواء فان المتصف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بواحد من هذه الثلاثة في شيء من العقائد كافر وخرج بالمطابق غيره كالجزم بأن الله تعالى ثالث ثلاثة فانه لا يسمى معرفة بل هو جهل مركب لتركبه من جهلين جهل صاحبه بما في الواقع وجهله بأنه جاهل لزعمه أنه عالم وقولنا عن دليل أي ولو اجماليا وهو المعجوز عن تقريره وحل شبهه كأن تعجز عن كيفية دلالة العالم على وجوده تعالى من أنها هل هي من جهة حدوث العالم أو امكانه أو هما معا أو نحو ذلك ثم تعجز عن جعل تلك الجهة حداً وسطاً بين المستدل به والمستدل عليه ليتوصل بذلك الى المطلوب فتقرير الدليل هو تركيبه بأن تذكر مقدمتين صغرى وكبرى على الوجه المطلوب وهو أن يكون الدليل محتويا على شروط الانتاج كأن تقول العالم حادث وكل حادث له صانع فتكون النتيجة العالم له صانع وهو المطلوب والمراد بحل شبهه دفعها كأن يورد الخصم على الدليل المذكور شبهة فيقول لا نسلم الكبرى وهي كون الحادث له صانع ما المانع من أن يكون حدث بنفسه أي خلق نفسه فنرد عليه بأنه لو خلق نفسه لزم أن يكون موجودا معدوما لأن خلقه لنفسه يقتضي وجوده أولا ونفس الخلق يقتضي عدمه اذ لو كان موجودا ما تعلق به خلق وذلك باطل فخرج بقولنا عن دليل التقليد وهو الأخذ بقول الغير من غير أن يعرف دليله والمراد بالأخذ الاعتقاد أي اعتقاد مضمون قول الغير والمراد بالقول ما يشمل الفعل والتقرير أيضا ومثل الجزم المطابق للواقع عن دليل الجزم المطابق للواقع عن ضرورة فانه يسمى معرفة في الكلام حذف أو مع ما عطفت أي عن دليل أو عن ضرورة كادراك أن الواحد نصف الاثنين أو التقييد بالدليل نظرا لخصوص المقام اذ معرفة صفاته تعالى وصفات رسله لا تحصل الا عن دليل فلا ينافي أن المعرفة قد تكون عن ضرورة أو المراد بالدليل المرشد الذي لا يحتمل النقيض بوجه فيتناول الضرورة ويخرج بقولنا

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا يحتمل النقيض التقليد فان قول الغير سبب في تحصيل الاعتقاد لكنه يحتمل النقيض فان جزم المقلد بما أخذه من أحكام التوحيد عن غيره بلا دليل عليه لم يخل عن قبول التردد والتحير بل هو مصحوب به بالقوة القريبة من الفعل عادة بخلاف العارف فان قبوله للتردد بانطماس عين معرفته والعياذ بالله تعالى أمر مخالف للعادة بل ان كثيرا من المقلدين اعتقاده كفر قال العلامة السنوسي ونحن قد شاهدنا كثيرا ممن لم يأخذ في هذا العلم وله نجابة في غيره من العلوم لا يحسنون العقائد تقليدا فضلا عن أن يحسنوها بالنظر بل وشاهدنا كذلك بعض من أخذ في هذا العلم ولم يتقنه أما العامة فاكثرهم ممن لا يعتني بحضور مجالس العلماء ومخالطة أهل الخير يتحقق منهم اعتقاد التجسيم والجهة وتأثير الطبيعة وكون أفعال الله تعالى معللة لغرض وكون كلامه جل وعلا حرفا وصوتا ومرة يتكلم ومرت يسكت كسائر البشر ونحو ذلك من اعتقادات أهل الباطل وبعض اعتقاداتهم أجمع العلماء على كفر معتقدها وبعضها اختلفوا فيه وكثير من أهل البادية ينكر البعث ولقد أخبرني بعض من أثق به أنه سمع ذلك صريحا منهم قال وبعضهم ممن يحفظ القرآن ولقد حكي لي بعض أصحابنا مثل ذلك عمن لا يظن به ذلك ممن يتعاطى العلم بتلمسان وله أصل في رئاسة العلم قال وصرح لي بأن رأيه وعقيدته والعياذ بالله منه ومن عقيدته نفي المعاد البدني كرأي الفلاسفة أبعدهم الله تعالى وأخلى منهم الارض قال وجادلته في ذلك مرارا فطبع على قلبه ولم يقبل وأظن المصيبة جاءت الرجل من مطالعته بعض كتب الفلاسفة قبل اتقان علم التوحيد على شيخ عارف وهذا شأن المتشدقين الخائضين فيما لا يعنيهم قبل اتقان ما يعنيهم وزادوا على العامة بالجدال في الباطل والتكبر على الانصاف للحق ومن ثم حرموا . سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق. اللهم أدخلنا في زمرة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المفلحين فى الدنيا والآخرة ولاتهلكنا مع الهالكين ياأرحم الراحمين . وبعض المقلدين ينطق بكلمتى الشهادة من غير أن يعرف معناهما ولا أن يميز الرسول من المرسل وفى مثله وقعت أجوبة علماء بجايه وغيرهم من المحققين أن مثل هذا لا يضرب له فى الاسلام بنصيب والعاقل فى الحقيقة من أنصف من نفسه فوالله لولا فضله تعالى وتوفيقه لمخالطة العلم وأهله لما كنا نحسن عقائد الايمان بمجرد التقليد فضلا عن النظر ولكنا فى أودية من اعتقادات أهل الباطل نهيم فيا عجبا لعاقل يجهل الضروريات حتى لم يشعر بحال نفسه قبل مخالطة العلم ولا أشعر بحال العوام ومن أعرض عن النظر جملة . وبالجملة فأهل النظر لم يصلوا كلهم الى الحق وانما وصل القليل فكيف من لم ينظر وما ذاك الا لما علم أن أحكام الوهم ورسوخ العوائد والمألوفات تزاحم النظر الصحيح في هذا العلم مزاحمة لا ينفك الحق عنها الا بعسر ليس فوقه عسر ولولا التوفيق الالهى والتأييد الربانى لما أدرك الخلق شيأ من معرفة من لا تكيفه العقول ولا تحده الأوهام ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا اه كلام العلامة السنوسى مع بعض اختصار واذا علمت أن المطلوب في عقائد الايمان هو المعرفة وعلمت معنى المعرفة فاعلم أن المراد بالمعرفة المطلوبة معرفة الله تعالي ومعرفة وجوب وجوده تعالى ومعرفة وحدته وصانعيته للعالم ومعرفة صفاته وسائر أحكام الالوهية بقدر الطاقة البشرية فما قامت الادلة العقلية أو النقلية على عينه تفصيلا كالعشرين صفة الآتية يجب معرفته تفصيلا ومالم تنصب الادلة على عينه تفصيلا وهو سائر الكمالات يجب معرفته اجمالا فيجب معرفة وجوب اتصافه تعالى بكمالات لا نهاية لها واستحالة اتصافه تعالى بشيء من النقائص {واعلم} أن العقائد على ثلاثة أقسام * القسم الاول مايتوقف عليه وجود الفعل الممكن الذى من جملته المعجزة الدالة على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صدق الرسل وذلك كالوجود والقدرة والارادة والعلم والحياة ونحوها فالفعل متوقف على هذه الصفات اذلا يتأتي الامن كان متصفاً بها فلا يصح الاستدلال عليها الا بالدليل العقلي اذ لو استدل عليها بالدليل السمعي لصارت تلك الصفات المستدل عليها متوقفة على الدليل السمعي والدليل السمعي متوقف على ثبوت الرسالة وثبوت الرسالة متوقف على المعجزة والغرض أن المعجزة متوقفة كسائر الافعال على هذه الصفات فلزم من الاستدلال بالدليل السمعي توقف ثبوت الصفات على المعجزة المتوقفة على تلك الصفات وهذا دور ،وفيه أن الجهة منفكة لان توقف الصفات على المعجزة توقف علم بمعني أن الصفات لا تعلم الامن الادلة السمعية الموقوفة على ثبوت الرسالة الموقوف على المعجزة وتوقف المعجزة على الصفات توقف وجود بمعني أن المعجزة لا توجد الامن اتصف بتلك الصفات ولا تتوقف على معرفتها ألا ترى أنها تقوم حجة على كل منكر وجاهل محض ومتى انفكت الجهة فلا دور *والقسم الثاني من العقائد مايرجع لوقوع جائز مثل أحوال القيامة من الجنة والنار والصراط والميزان والحشر والنشر ونحو ذلك فهذا يستدل على وقوعه بالدليل السمعي ويستدل على جواز وقوعه بالدليل العقلي وانما كان يستدل على وقوعه بالدليل السمعي لانه بعد ماثبت لدينا استحالة كذب الرسول بدلالة المعجزة كما سنوضحه في النبوات وجب تصديقه في كل ما أخبر به وقد أخبرنا بأن ماذكر مما يستدل على جواز وقوعه بالعقل لابد من وقوعه بالفعل فوجب تصديقه *والقسم الثالث من العقائد مالا تتوقف عليه المعجزة ولا يرجع لوقوع جائز كالسمع والبصر والكلام فهذه يصح الاستدلال عليها بالامرين والانجح منهما السمعي ولا يرد أن الاستدلال بالسمع على الكلام دور أي استدلال على الشيء بنفسه فأنت خبير بأن المدلول الصفة القائمة بالذات والدليل من الكلام اللفظي وأما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الوحدانية ففيها خلاف فقيل انه لايستدل عليها الا بالعقل لتوقف المعجزة على الوحدانية اذ التعدد مؤد للعجز وعدم وجود شيء ومن جملته المعجزة وقيل يصح الاستدلال عليها بالسمع كالعقل والتحقيق أن أساس العقائد الاسلامية هو الكتاب والسنة وسواء فى ذلك ما كان العقل كافيا فى اثباته من العقائد ولا يتوقف اثباته على الشرع كمباحث اثبات الصانع وعلمه وقدرته ونحو ذلك ومالا يكون كافيا فى اثباته كمباحث حشر الاجساد ونحوها فهذه المباحث وان لم تتوقف من حيث ذاتها على الكتاب والسنة ولكنها تتوقف عليهما من حيث الاعتداد بها وذلك لان هذه المباحث اذا لم يعتبر مطابقتها للكتاب والسنة كانت بمنزلة مباحث الحكمة الالهية العقلية الصرفة التى لاتصلح للاعتداد وحينئذ لا عبرة بها اذ كثيرا مايحكم العقل بمقتضيات الوهم التى يجب تنزيه الله تعالى عنها لان الوهم يغلب كثيرا على العقل ماقادك شيء مثل الوهم وبسبب الوهم وقع أكثر الناس في أنواع البدع والضلالات حتى وقفوا مع المعتادات واشتغلوا بالاكوان عن مكونها فاعتقدوا نافعا ماليس بنافع وضارا ماليس بضار فأشركوا مع الله تعالى غيره وأثبتوا الوسائط بينه وبين خلقه واعتقدوا تأثير من ليس له تأثير وتوكلوا على من ليس له حول ولا قوة ولا تدبير ولا تقدير ولم يعلموا أن الممكنات كلها خيالات تنادي بلسان الحال الذى هو أفصح من لسان المقال من يقف عندها انظر المقصد أمامك انما نحن فتنة فلا تكفر

المطلب الثاني فى وجوب المعرفة

{ اعلم} أن أول واجب على كل مكلف عاقل انما هو معرفة الله تعالى ولكن لما كانت المعرفة متوقفة على النظر المرصل اليها كان النظر أول واجب وسيلة قريبة ولما كان النظر متوقفاً على القصد الي النظر كان القصد أول واجب وسيلة بعيدة والمراد بالقصد الي النظر توجيه القلب اليه بقطع العلائق المنافية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

له ومنها الكبر والحسد والبغض للعلماء الداعين الي الله سبحانه وتعالى وتطهير القلب من هذه الاخلاق أول هداية الله تعالي للعبد ومعني النظر لغة الابصار والفكر أي انه مشترك بين عمل البصر وعمل القلب والفكر حركة النفس فى المعقولات وحركتها فى المحسوسات تخييل ومعني النظر عرفا ترتيب أمور معلومة ليتوصل بها أى بترتيبها الي مجهول أي الى علمه كترتيب الصغري مع الكبرى فى قولنا العالم متغير وكل متغير حادث فالصغرى قولنا العالم متغير والكبرى قولنا وكل متغير حادث فهذا الترتيب موصل للعلم بحدوث العالم المجهول حدوثه قبل ذلك الترتيب وعرف شيخ الاسلام النظر بأنه فكر يؤدي الى علم أواعتقاد أوظن والعلم هو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع عن دليل والاعتقاد هو الحكم الجازم القابل للتغير ويكون صحيحاً ان طابق الواقع وفاسدا ان لم يطابقه والظن هو ادراك أحد المتقابلين براجحية كما تقدم (واعلم) أن معرفة الله تعالي انما وجبت بالشرع لكن بشرط العقل اذ لاحكم قبل الشرع لا أصليا ولا فرعيا ولو لم تبعث رسل لم تثبت لان عقولنا لا تدركها استقلالا وانما تدركها تبعا وهذا هو مذهب الاشاعرة وهو الجادة يعني الطريق الواضح المستقيم فعندهم لا يستقل العقل بشيء أصلا ومذهب الماتريدية أن وجوب المعرفة ثبت بالعقل دون سائر الاحكام بمعنى أنه لو لم يرد به الشرع لأدركه العقل استقلالا لوضوحه فالعقل مبين له كالرسول كما قاله النسفي فى بحر الكلام فمعنى ما نقل عنهم أن ايجاب المعرفة من الله تعالى بمحض اختياره غير أن هذا الحكم لو لم يرد به شرع أمكن العقل أن يفهمه عن الله تعالى لوضوحه لا بناء على تحسين ذاته بل هو تابع لايجاب الله فالموجب عندهم هو الله تعالى والعقل معرف بايجابه وذهب المعتزلة الى أن المعرفة وكذلك سائر الاحكام كلها ثبتت بالعقل فالعقل عندهم هو المدرك للاحكام وان لم يرد الشرع ويبنون كلامهم على

التحسين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التحسين والتقبيح العقليين فيجعلون ذات العقل تستقل بالاحكام في المصالح بناء على ذلك وانما جاء الشرع مذكرا ومقويا للعقل فبالجملة يجعلون الشرع تابعاً للعقل لا أنهم ينفون استفادة الاحكام من الشرع ويضيفونها للعقل والا لكفروا قطعاً واعترضوا على مذهب الاشاعرة بأن قالوا لولم تجب المعرفة بالعقل لزم افحام الرسل وبيان الملازمة أن المرسل اليه يقول لا أنظر الا اذا ثبت عندي وجوب النظر علي ولا يثبت الا بالنظر فيما تدعوني اليه فأنا لا أنظر أصلا وجوابه كما في المواقف والمقاصد أن وجوب الامتثال لا يتوقف على علمه بثبوت الوجوب بل على ثبوت الوجوب في الواقع فقوله الا اذا ثبت عندي العنديه ممنوعة بل متى تقرر الحكم الشرعي في الواقع وتعلق بوجوب النظر عليه وجب الامتثال بمجرد اخبار الرسول فان قال من أين صحة رسالته قلنا دليله معجزة مقارنة لا يقبل الاعراض عنها تمسكا بهذا الهذيان فان مثال ذلك كما قال حجة الاسلام الغزالي مثال من أتاه شخص وقال انج بنفسك فهذا أسد خلفك وان التفت رأيته فهل يليق أن يقول أنا لا أعتني بكلامك ولا أ لتفت الا اذا علمت صدقك ولا أعلم صدقك الا اذا التفت ويستمر واقفا حتى يأكله السبع فكذلك الرسول يقول اتبعوني في كل ما أقول فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وان نظرتم في معجزتي علمتم صدقي وها هي المعجزة أفيصح الاعراض حينئذ بل هو عين الحمق والعناد الذي لا يعذر فاعله ولا يفحم المرشد الناصح على أن هذا البحث لو سلم ورد عليهم فان وجوب المعرفة غير ضروري عندهم لتوقفه على مقدمات تفتقر الى أنظار دقيقة فيقال لهم لا ينظر النظر الموصل لوجوب المعرفة الا اذا علم وجوبها عليه ولا يعلم الا بالنظر وهو لا ينظر قال العلامة السنوسي والحق أن النظر لا يتوقف على العلم بالوجوب لا عادة ولا شرعا أما عادة فلأن الله تعالى أجرى عادته وطرد سنته بعدم تواطيء العقلاء

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على الاعراض عن النظر في عجائب الكائنات وغرائب المصنوعات ومن أعظم ذلك ماتأتى به الرسل من خوارق العادات وأما شرعا فلأن النظر وجوبه متوقف على التمكن من العلم لا على العلم اه وقد وقع الخلاف في وجوب معرفته تعالى بالدليل التفصيلي ووجوب معرفته تعالى بالدليل الاجمالي أما وجوب معرفته تعالى بالدليل التفصيلي وهو ماقدر على تقرير مقدماته وحل شبهه فاختلف فيه على أقوال. القول الاول أن ذلك واجب على كل أحد وجوب الاصول لكون الايمان متوقفا عليه ونسب ذلك لأبي اسحاق الاسفرايني فالدليل التفصيلي على هذا واجب على الاعيان وجوبا أصوليا بمعني أنه ان لم يعرفه المكلف لم يكن مؤمنا وهذا فيه افراط وحرج شديد كما قاله صلاح الدين العلائي ونقله عنه الحافظ ابن حجر وكما نص عليه الامام الغزالي حيث قال أسرفت طائفة فكفروا عوام المسلمين وزعموا أن من لم يعرف العقائد بالادلة التي حرروها فهو كافر فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بطائفة يسيرة من المتكلمين . القول الثاني أن ذلك واجب على الاعيان وجوب الفروع بمعنى أن المكلف يعصى بتركه لا بمعني أن ايمانه متوقف عليه وفي ذلك حرج أيضاً اذ من المستحيل عادة أن يقدر كل أحد عليه ولذلك قال الفهري لانزاع بين المتكلمين في عدم وجوب المعرفة بالدليل التفصيلي على الاعيان . القول الثالث أن ذلك مندوب اليه وهو ظاهر قول ابن رشد في نوازله وعلى هذا الفرض فاذا أتي الدليل التفصيلي وقع واجباً بمعني أنه يثاب عليه ثواب الواجب كما قاله يس . القول الرابع أنه واجب كفائي وهذا هو المعتمد فيجب على أهل كل قطر أن يكون فيهم واحد يقوم برد الشبه على قائلها بالدليل التفصيلي قال العارف الشرقاوي واعلم أن معرفة الدليل التفصيلي واجبة على أهل كل قطر على سبيل فرض الكفاية فاذا قام بها واحد منهم سقط الحرج عن الباقين فيجب أن

يكون

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يكون في كل مسافة قصر عالم بذلك وببقية الاحكام الشرعية اه *وأما معرفته تعالى بالدليل الاجمالي فاختلف فيه أيضا على أقوال. القول الاول أن ذلك واجب وجوب الأصول وعلى هذا فالتقليد غير كاف في الايمان فالمتصف به كافر وكونه كافرا على هذا القول انما هو بالنظر لاحوال الآخرة بمعني أنه يحكم بأنه مخلد في النار أما بالنسبة للدنيا فيحكم له بحكم المسلمين فتجرى عليه أحكام الاسلام . القول الثاني أن ذلك واجب على المكلف وجوب الفروع وان لم يكن فيه أهلية النظر وعلى هذا فالتقليد كاف في الايمان لكن مع العصيان مطلقا (واعترض) على هذا القول بأنه يلزم عليه التكليف بما لا يطاق وهو غير جائز (ورد) بأنا لانسلم عدم جوازه بل هو جائز عند أهل السنة نعم يلزم أنه واقع مع أن أهل السنة على أنه غير واقع وان كان جائزاً وأجيب بأنه لا يلزم على هذا القول التكليف بما لا يطاق لان صاحبه يرى أن الاهلية حاصلة لكل أحد لان المطلوب الدليلي الجملي الذي تحصل معه الطمأنينة بحيث لا يقول العارف به سمعت الناس يقولون شيأ فقلته والدليل الجملي متيسر لكل أحد .القول الثالث أن ذلك واجب وجوب الفروع أيضا ان كان فيه أهلية للنظر وعلى هذا فالتقليد كاف في الايمان لكن مع العصيان ان كان فيه أهلية للنظر والا فلا عصيان قال العارف الشرقاوي هذا هو المعتمد وان كان معترضاً بأن المطلوب المعرفة بالدليل الجملي وهو متيسر من كل أحد (وأورد) عليهم أيضاً أنهم عرفوا الايمان بأنه حديث النفس التابع للمعرفة أي اذعان النفس وقولها آمنت وصدقت والمعرفة لا تكون الا عن دليل (وأجيب) بأن هذا تعريف للايمان الكامل وأما أصل الايمان فهو حديث النفس التابع للاعتقاد الجازم سواء كان ذلك الاعتقاد ناشئا عن دليل وهو المعرفة أو عن قول الغير مثلا وهو التقليد .القول الرابع أن ذلك ليس بواجب أصلا بل هو شرط للكمال فقط وعلى هذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالمقلد مؤمن غير عاص مطلقا وقال بعضهم ان من قلد القرآن والسنة القطعية صح ايمانه لاتباعه القطعي ومن قلد غير ذلك لم يصح ايمانه لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم ورد عليه العلامة السنوسي بأن حجيتهما لاتعرف الا بالنظر العقلي فان عرف حقيقة ذلك فليس مقلداً والا فقد وقعت فيهما ظواهر من اعتقدها على ظاهرها فقد كفر عند جماعة وابتدع ولا يحسن تأويلها الا الراسخ فى علوم النظر المرتاض في علمى اللسان والبلاغة قال العلامة الامير يختار الاول والمقلد من لادليل عنده وان عرف حقيقة المعنى ويفرض ذلك فى العقائد التى التعويل فيها على الدليل العقلي ان قلت ماوجه صحة ايمانه دون غيره مع هذا الفرض قلت لانه استند للدليل السمعي وان لم يكن معولا عليه في تلك العقائد فهو دليل فى الجملة كما اكتفوا فى الخروج من التقليد بالدليل الجملي على أن السمع على ماأسلفناه يصلح دليلا فيخرج عن حقيقة التقليد لكن لا يلاحظ السنوسي في اعتراضه بقى أن قطعية القرآن والسنة المتواترة انما هى بالنسبة لمتنه والتقليد فى المدلولات فيجب فرض هذا في معني الدلالة عليه قطعية لاظنية كالوحدانية من قل هو الله أحد فتأمل انتهى

وذم بعضهم علم الكلام وقال بحرمة النظر فيه فان حمل كلام هؤلاء على أن مرادهم علم الكلام المخلوط والمحشو بالسفة بالنسبة للقاصرين الذين لا يصلون الى فهمه وذلك ككتب الامام فخر الدين فى علم الكلام وطوالع البيضاوى ومن حذا حذوهما كالارموي والعلامة السعد والعضد وابن عرفة فليس قولهم بفاسد بل صحيح وعلى هذا يحمل مانقل عن الامام الشافعي رضي الله عنه من قوله لأن يلقي العبد ربه بكل ذنب ماعدا الشرك أحسن من أن يلقاه بعلم الكلام وكذا ان حمل كلامهم على النظر فى الدليل التفصيلى لمن يقصر عن التخلص من الشبه ويخشى عليه من الخوض فيه الوقوع فى البدع والضلال

اعتقاده

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اعتقاده وأما أن أبقي كلامهم على ظاهره فهو في غاية من الضعف بل لا يشك عاقل في فساده قال العلامة اليوسي وأما مايخلطون به من أن الصحابة رضي الله عنهم لم يتكلموا فيه فكذب وافتراء بل تكلم عمر بن الخطاب فيه وابنه وأطال في رده وقد قيل للقاضي أبي الطيب ان قوما يذمون علم الكلام فأنشد

عاب الكلام أناس لا خلاق لهم * وما عليه اذا عابوه من ضرر
ماضر شمس الضحى في الأفق طالعة * أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

ونسب العلامة السنوسي هذا القول الى بعض المبتدعة حيث قال وما يحكي عن بعض المبتدعة كالأشوية وغيرهم من أن النظر في علم التوحيد حرام فلا يخفى فساده وضلال معتقده لكل عاقل اذ هو مصادم للكتاب والسنة واجماع المسلمين الذين يعتد بهم ويلزم هذا القائل أن يجعل الاوامر التي في الكتاب والسنة بالنظر والاعتبار منسوخة اذ علم الكلام انما هو شرح لها والاجماع على بطلان ذلك بل يلزمه أشنع من هذا وهو أن يحرم قراءة القرآن اذ هو مملوء بالحجج والبراهين والرد على فرق الكفرة بعد حكاية أقوالهم وشبهها وذكر مناظرة الانبياء مع أممهم ولم يزد علماء الكلام من أهل السنة في كتبهم الكلامية شيئا على نهج القرآن من حكاية الاقوال الفاسدة وشبهها ثم ذكر البراهين القطعية لابطالها وقصارى الامر انهم أحدثوا اصطلاحات تليق بضبط العلم لاهل الزمان ولا حجر اجماعا في الاوضاع والعبارات والتصرف فيها بحسب مايليق بمصالح الاقضية النازلات نعم لو أراد هذا القائل أن النظر في دقائق الشبه التي لا يتخلص منها الا بغرض عظيم يحرم على من هو بليد الطبع جامد القريحة بحيث يخشى أن يرسخ منها شيء في نفسه ويعجز عن دفعه لقرب إذ ليس ذلك من فروض الاعيان عندنا بل هو من فروض الكفاية وانما فرض العين في حق كل مكلف أن يعرف كل عقد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من عقود الايمان ببرهان ما وذلك سهل على كل موفق اه * واحتج بعضهم ممن يميل الى أن النظر ليس بواجب مطلقا ومن يرى رجحان التقليد على درجة الاجتهاد والنظر فى علم التوحيد بأوجه * أحدها أنا نقطع أن أبا بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ماتوا ولم يعرفوا الجوهر والعرض ونقل عن الاستاذ ابن فورك أنه قال لو لم يدخل الجنة الا من عرضها السموات والارض الا من يعرف الجوهر والعرض لبقيت خالية * الثانى أنه حكي عن بعض السلف أنه قال عليكم بدين العجائز وحكى عن الامام الفخر رحمه الله أنه قال عند موته اللهم ايمان العجائز وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجل سأله عن الاهواء عليك بدين الصبي الذى فى الكتاب ودين الاعرابي ودع ماسواهما * الثالث أنا نجد بعض المقلدين أقوى ايمانا وأرسخ اعتقادا ممن نظر فى علم التوحيد والجواب كما قاله العلامة السنوسي هو أن ماتمسك به من رجحان ايمان بعض المقلدين على ايمان من نظر من المسادرة عن المطلوب لان جمهور الأئمة يرون وجوب النظر وتحريم الاقتصار على التقليد وبعضهم يري أن لا ايمان للمقلد أصلا فكيف يدعى رجحانه وأيضاً فمما لا يدخل تحت فهم عاقل أن الجزم المستند الي مجرد التقليد ومن لازمه قبول احتمال النقيض يكون مساويا للجزم الذى أنتجته البراهين بحيث لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه ولعله أراد بعض من لم ينظر من أولياء الله تعالى وخرقت في حقه العادة ووهب له من المعارف مالا يتوصل اليه بالنظر حتى صارت علوم الناظرين بالنسبة الى ما أعطي من العلوم كلا شيء واذا أراد هذا فليس هو من محل النزاع لأن نزاعنا فى المقلد وهذا الذي ذكر ليس بمقلد بل هو كالناظر في أن الحاصل له علم لا اعتقاد وتوقف العلم غير الضرورى على النظر انما هو بحسب العادة ويجوز فى قدرة الله تعالى أن يجعل العلوم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النظرية لمن شاء ضرورية بحيث لا يفتقر فى تحصيلها الى نظر الا أن تجويز مثل هـذا الخارق الذى لم يعط الا للنادر من الاولياء لا يسقط وجوب النظر في حق من لم يحصل له هذا المقام والذى جرت به العادة وأمر به الشرع تحصيل العلوم من طرقها المألوفة والاجتهاد فى النظر والتعلم من العلماء والتزام التعب فى الدرس والرحلة فى طلب الفوائد وقـد روى فى الحديث لا يستطاع العلم براحة الجسم واطلبوا العلم ولو بالصين وورد انما العلم بالتعلم وقال الله تعـالى لنبيه يحي عليه السـلام يايحي خذ الـكتاب بقوة وقال لكليمه موسي عليـه السلام وكتبنا له فى الالواح الى قوله فخذها بقوة وقال جل وعلا فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الآية وكان السلف الصالح يرحل أحدهم لطلب الفائدة الواحدة مسيرة شهر ولقد سافر كليم الله موسي عليه السلام مع ما أعطى من علم كل شيء للقاء الخضر عليه السلام حتى مسه التعب فى ذلك وقال لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا .وان أراد بالايمـان ماينشأ عنه من أعمال البر وأن بعض المقلدين يتحفظ من المعاصي ويلـتزم من القيام بالاوامر مالا يوجد فى كثير من العلماء فمسلم لان الانتفاع بالعلم انمـا هو بيد الله تعالي وليس بين العلم والعمل ربط عقلى الا أن هذا لا يقدح فى وجوب العلم ولا فى شرفه وليس العلم هو الذى حمل العالم على المخالفـة حتى يقدح فى شرفه ولا التقليـد هو الذى حمل المقلد على الموافقة حتى يدعي شرفه بل انمـا يحمل العلم في الحقيقـة لوصاحبه التوفيق على الموافقة . ثم ان هـذا العالم المخالف بالجوارح هو أحسن حالا من المقلد المخالف لان المقلد غير مأمون عليه من الوقوع فى الكفر بل كثيرا مايكون ذلك فلا يكون له عمل ولقليل العمل مع العـلم أفضل من كثير العمل بلا علم بل لا أثر للعـمل الخالى عن العـلم أصلا وقد شـدد رهبان النصارى ومن فى معناهم علي أنفسهم فى الدنيا تشديدا عظيما ومع ذلك لا ينفعهم شيأ فى الآخرة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم لو جئنا نعد المحاسن والاعمال التي اتصف بها أكثر العلماء من أئمة المسلمين الذين هم قدوة للمتقين ومالهم من العلوم ثم بثها تعليما وتأليفاً وجهادا لكل مبطل حتي انقطع من كل جاهل ومبتدع التشوف الى الاختلاس من الدين لغاب فى أدنى مكرمة لهم جميع أعمال عامة المسلمين لكن مشاهدة هؤلاء المتشبهين بأهل العلم وليسوا منهم وعزة وجود أهل العلم على الحقيقة هي التي جسرت الجاهل بمناقب من مضى من أئمة المسلمين علي ذكر مثرهبي العامة في معرض ذكر العلماء الراسخين رضي الله عنهم ونفعنا بهم وحشرنا فى زمرتهم (وأما ما حكاه) عن بعض السلف من قوله عليكم بدين العجائز فلا دليل فيه أيضاً على طلب التقليد لان مراد هذا القائل الامر بالتمسك بما اجتمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين حتي وصل علمه الى من ليس أهلا للنظر كالعجائز والصبيان فى الكتاب والاعراب أهل البدو وترك ما أحدثته المبتدعة من القدرية والمرجئة والروافض وغيرهم ممن لا وجود له فى أعصار السلف الصالح خاصهم وعامهم ويدل قطعاً على هذا التأويل الذى ذكرناه اتيان عمر بن عبد العزيز بمثل هذا جوابا للسائل عن الاهواء فكانه قال له عليك في الدين بما كان عليه السلف الصالح وتلقاه منهم الخلف ودع ما يناقض ذلك مما أحدثه المبتدعة بل تقول هذه الالفاظ التى اغتر بها من مال الي التقليد وحذر من النظر في التوحيد هي فى الحقيقة حجة عليه لا له لان علماء السنة رضى الله عنهم انما ألفوا فى التوحيد ليبينوا للناس ما كان عليه السلف الصالح وصار لشهرته ووضوحه قبل ظهور البدع دينا لعجائزهم واميهم وأهل بدوهم وصبيان كتابهم وزادوا بأن حصنوه بالبراهين العقلية التى تنتهي الي ضرورة العقل وبالادلة النقلية والقطعية ثم لما أتت المبتدعة بالشبهات والارهام والتخيلات بالغت العلماء رضي الله عنهم فى الاحتياط للدين فأفسدت عليهم تلك الشبهات ونسخت لهم تلك

الاوهام

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاوهام والتخيلات بأجوبة قاطعة لا يجد العاقل عن الاذعان لها سبيلا فبالله من كان يقف لرد أهل البدع حين خاضوا مع كثرتهم وعظيم احتيالهم في شبهاتهم ولهم المنزلة في الدنيا بحيث يتمكنون بها من سوق الناس الى أغراضهم لولا ما نهض رجال الله من العلماء الراسخين وأي دين يبقى لعجوز أو صبي أو مقلد لولا بركة أولئك العلماء وأى جهاد يوازي جهاد هؤلاء وأي رباط يماثل رباطهم وعكوفهم على استعمال العقول وتحبيسها مدة الحياة على الجولان فيما يحفظ دين المسلمين فهما لاح لهم مختلس يريد شيأ من الدين قابلوه بشهاب من نيران البراهين فردوه خاسئاً لم ينقلب الا بأعظم فضيحة وأين هذا الجهاد والرباط من جهاد السيوف ورباط الثغور الذي غايته حفظ نفس أو مال لا بد في الدنيا من فراقهما وهذا حفظ دين لو ذهب لهلك الناس في عذاب جهنم أبد الآبدين (فان قلت) اذا كان مراد عمر بن العزيز ومن ذكر معه ما تأولت عنهم فما بال اللفظ عدل به عن صريح المراد وذلك أن يقال في جواب السائل مثلا عليك بما كان عليه الصحابة والسلف الصالح الى أن قال عليك بدين العجائز وعليك بدين الصبي الي آخره (قلت) سبب ذلك والله أعلم أن تلك المقالة صدرت منه في زمن هيجان البدع ويدل على ذلك سؤال الرجل عمر بن عبد العزيز عن الاهواء وكان الزمان اذذاك لم يخل عن بقية السلف الصالح المعتنين بالدين وبتعليمه للاهل والولد والامة والعبد حتى كان الجميع يعرفون ما يخصهم في دينهم أكمل معرفة امتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وليت أكابر علماء زماننا كانوا في معرفة السنن مثل إماء علماء السلف الصالح ونسائهم أو صبيانهم . فلما هاجت البدع وخيف على من هو ضعيف النظر أن يخرج الى شيء منها قيل له عليك بدين العجائز والصبيان لانهم انما اكتسبوه من تربية الصحابة والتابعين لهم باحسان والابتداع من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قبلهم مأمون وأهل البدع لا يقصدونهم بالمخالطة فأمنوا من التلوث بأقذار البدع على عقائدهم التي أتقنوها بما يحتاج اليه من البراهين على حسب ما أخذوه من السلف الصالح وفهموه من الكتاب والسنة لسهولة ذلك عليهم اذ هم عرب لم تستول على ألسنتهم العجمة ولا صعد على قلوبهم ران الجمود ولا ظلمة الغباوة فعقائدهم أسلم شيء وأحسنه فلهذا أمر ضعيف النظر أن ينتمي الى حرز دينهم المأمون لعدم المخالطة لاهل البدع ولوقوف أئمة زمانهم المتسعين في الانظار ولهم القوة العظمى في الذهن واللسان رضي الله عنهم أمام حرز دينهم يدفعون عنه كل مبتدع وضال وتحملوا في ذلك رضي الله عنهم من مشاق النظر والاذاية في الانفس والاموال ما يعظم الله به أجورهم ولو قيل لضعيف النظر الذي حيرته الاهواء عليك بما عليه الصحابة رضي الله عنهم لكان احالة على جهالة اذ كل من أهل البدع يدعي أن ما ينتحله هو مذهب الصحابة رضي الله عنهم فكان من الحزم والصواب ما أمر به علماء السلف من الانتماء الى الحرز المأمون الذي وقفت أبطال العلماء لمناضلة أعداء الدين أمامه والضعيف اذا لم يدخل الحرز ووقف موقف الابطال خيف عليه أن يهلكه العدو لضعفه ولهذا مال الفخر في موطن الموت لحرز الضعفاء ودعابه لانه موطن يتشتت فيه الفكر لعظم هوله فيخشى ان أقبلت فيه واردات الشبه أن يضعف العقل عن دفعها وأقل ما فيها تكدر العقل بظلمتها والزمان والفكر ضاقا في ذلك الموطن الهائل عن حمل ذلك فدعا بصفاء المعرفة والحفظ مما يكدرها كما هو شأن عجائز تلك الازمنة وضعفتهم لانهم عرفوا العقائد بما لابد منه من أدلتها ولم يبحثوا عن الزائد ولا انتصبوا لمناظرة أهل البدع فصفت عقائدهم حتى ماتوا على ذلك هذا مراده والله أعلم. وأما حمله على طلب الاعتقاد التقليدي فهو دعاء بسلب المعرفة والعياذ بالله والانتقال الى ما هو أدنى وفي ايمان صاحبه

من

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من الخلاف .اعلم والدعاء بمثله لايرضاه عاقل ولوسلمنا أنه أراد العجائز المقلدات لوجب أن يحمل دعاؤه على طلب لازم اعتقادهن وهو عدم خطور الشبهات بالبال مضموما الى كمال معرفته هو لتكون عقيدته اذ ذاك صافية عن كل مكدر .وقد يحتمل أن يكون سبب دعائه بهذا ماعلم من حاله من الولوع بحفظ آراء الفلاسفة وأصحاب الاهواء وتكثير الشبه لهم وتقوية ايرادها فلعله رحمه الله تعالي حضر له عندالموت من الشبه ماحمله الخوف منه أن تمنى أن يكون فى درجة الاعتقاد التقليدي وقد روى عنه أنه أنشد عندالموت شعرا

نهاية إقدام العقول عقال * وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذي ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوي أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من رجال قد رأينا ودولة * فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قدعلت شرفاتها * رجال فماتوا والجبال جبال

فعلي هذا الاحتمال يكون الفخر تمني لعظم الخوف الدخول فى حرز المقلدين حقيقة أو على معني التلهف والندم على ماقات ويحتمل أن يكون مع هذا أراد بالعجائز العجائز المقتصرات على القدر الضروري فى تصحيح العقائد اذ هو حال عجائز ذلك الزمان وما قبله من الازمنة الفاضلة كما قدمنا . وبهذا تعرف أن هذا الحرز في زماننا ليس بمأمون اذ لااتقان فيه للعقائد ولا بالتقليد فلا مدخل له فى ذلك الامر لعدم الاعتناء بتعليم العقائد الدينية لاسيما النساء والصبيان فكانهم حيوان بهيمي فلا يقصدون بتعليم أصلا ولهذا تجد الجهل بكثير من العقائد فى كثير ممن يتعاطي العلم من أهل زماننا فكيف بالعامة فكيف بالنساء والصبيان وأما أهل البادية ومن بعد عن سماع مطلق العلم فلا تسأل عن حالهم وتجد أذهانا كثر أهل هذا الزمان جامدة صعبة الانقياد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لتفهم مائلة أبدا الى مالا يعنى ان نصحت لم تقبل وان علمت لم تتعلم وان فهمت لم تفهم وان فهمت تفلت منها فهمها عن قرب وان بقي شيء منه بطرت وجعلته سلما للدنيا ولصحبة أبنائها والتقرب اليهم الا من عصمه الله تعالى بفضله وما أندر وجوده اليوم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبالجملة فهذا الزمان هو الذي هول أمره في الاحاديث وحذر منه السلف الصالح وخافوا أن يدركوه على غزارة علمهم وقوة دينهم وها نحن أدركناه مع شدة ضعفنا علما ودينا والله المستعان (فأما قوله) مات أبو بكر وعمر رضي الله عنهم ولم يعرفوا الجوهر والعرض وكذلك سائر الصحابة رضوان الله عليهم فمن العجب أن يذكر مثل هذا دليلا على طلب التقليد من له أدنى تمييز فأي مدخل للالفاظ المصطلح عليها في شيء من أدلة العقائد حتى يلزم من الجهل بشيء منها الجهل بشيء من الادلة وما أشبه هذا بقول من يقول ان الصحابة رضوان الله عليهم كانت تجهل المقصود من علم العربية لانهم ماتوا ولم يعرفوا حقيقة الفاعل ولا المفعول ولا الحال ولا التمييز المصطلح عليها عند علماء العربية أو كانوا يجهلون المقصود من فن البلاغة لانهم كانوا يجهلون ألفاظا فيها أحدثها من بعدهم اصطلاحا وهل هذه الاقوال تصدر من عاقل وانما يصح له الاستدلال لو ثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم ماتوا ولم يعرفوا الله الا بمجرد التقليد وأعرضوا عن النظر الذي حض الله تعالى عليه في آي من كتابه وأن أدلة العقائد التي لا تحصى كثرة في القرآن كانت تمر عليهم ولا يفهمون وجه دلالتها وصحة هذا عنهم مما يأباه كل مؤمن وما أحوج من تعرض بمثل هذه النقيصة في علي مناصبهم التي لا تلحق لعظيم الادب ولقد نقطع ان أكابر علماء زماننا لم يحصل لهم من العلم بالدين وسننه ما حصل لادنى أمة من إماء الصحابة رضي الله عنهم ولا صبي مميز من صبيانهم وكذا التابعون وتابعهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

باحسان ولقد أدرك على رضي الله عنه زمن المبتدعة وألجمهم بما لم يقدروا أن يجيبوا معه جوابا وكأن مقالته هذه مقالة من توهم أن العقائد انما تعرف باصطلاحات أحدثها المتأخرون وصور تركيبات الادلة على نهج أصول المنطق لم يعتن بها المتقدمون لان المقصود انما هو معرفة الحق بما يستلزمه قطعاً فكيفما حصل بلفظ أو بغير لفظ بتركيب مخصوص أو غيره حصل المقصود والنفوس الزكية القدسية غنية فى أنظارها عن تلك القوانين المصطلح عليها كلها بل عقل من استنبطها بالنسبة الي تلك النفوس كنقطة من بحار الدنيا كلها وانما أحدث المتأخرون من الاصطلاحات ما أحدثوه لتخف المؤنة عليهم في التعلم والتعليم لا لان معرفة الحق موقوفة عليها والى هذا المعني أشار أبو بكر بن فورك رحمه الله بقوله لو لم يدخل الجنة الا من عرف الجوهر والعرض لبقيت خالية فليس في قول ابن فورك مايدل على طلب التقليد ولا في عدم اطلاع الصحابة على اصطلاحات أحدثها المتأخرون مايدل على أنهم كانوا مقلدين ومن ظن بالصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا مقلدين فقد أعظم عليهم الفرية وجهل قدرهم الاعظم وقد كان سائر الكفرة من الاعاجم يذبون عن دينهم ودين آبائهم بالسيف وبغيره ويرضون بالموت وسبي النساء والذرية دونه فما رجعوا الا بعد ظهور الحق وقيام علم الصدق فكيف بالعرب المعروفين بأعظم حمية لدينهم ولقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس الى دين الله بالحكمة والموعظة وجادل العلماء من أهل الكتابين بما أعطاه الله تعالي من العلم فأظهر لهم ماقامت به الحجة عليهم كما أمره الله تعالي بقوله ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن وكان أول من دعا من الناس العرب ولقد كانوا يفهمون الكلام العربى فهماً وافياً بالمعانى حاويا لمقاصد الخطاب والقرآن العظيم مملوء بالحجج والبراهين التى لاتحصي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كثرة ولقد أقام بينهم المعلم الاكبر المبعوث لسياسة الخلق أفصح الخلق والمعطى جوامع الكلم والشفقة التامة على عباد الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة من غير قتال يوضح الادلة ويقيم الحجة الي أن ظهر الحق ظهورا لم يبق معه الا المعاندة وبالنزر اليسير من هذه المدة يحصل بتعليم الالكن وذى العيّ وقصور العقل من المعلمين للابله والبليد من المتعلمين مايخرج به عن التقليد في عقائده خروجاً تاما فكيف ترى حال من تلقى العلم مباشرة ممن عم نوره البسيطة كلها بل من نوره أصل الانوار كلها على مارواه وهب بن منبه ولقد كان أجلف العرب يسلم ويشاهد طلعته العلية فيفيض من حينئذ بحقائق العلوم الجمة وغرائب الحكم الفاخرة ويرق طبعه وتهذب أخلاقه من نوره ولهذا قال جمهور الاصوليين والمحدثين ان الصحابي هو من اجتمع مؤمناً مع النبي صلي الله عليه وسلم وان لم يروعنه وان لم تطل صحبته له مع أن هذا القدر لايحصل الصحبة في حق غيره لغة ولا عرفا وما ذاك الا لما عرفت من أن اللحظة من مشاهدته صلي الله عليه وسلم يحصل بها من الانوار والبركات مالا يقدر على حصره ويغيب في نور تلك اللحظة أنوار العلماء كلهم غاية الامر أن القوم الذين شاهدوه رضي الله عنهم لما أن أشرقت عليهم أنوار النبوة وتلاشت معها ظلمات الجهل والوساوس وخمدت عندها نيران شياطين الجن والانس لم ينبهوا صريحاً على دقائق الشبه وخفيات الامراض التى ابتلى بها من بعدهم لانها لم تطرق منيع ساحتهم ولا حلت برفيع جوارهم ولا لاح قزعها في صفاء شمسهم وارتفاع نهارهم وانما الناس فى ذلك الزمان أحد رجلين مؤمن تقى أوكافر شقى وأما أزمنتنا هذه فالسنة فيها بين البدع كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود فمن لم يجاهد اليوم نفسه في تعلم العلم وأخذه من العلماء الراسخين وما أندر اليوم وجودهم وأعز لقاءهم لاسيما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فى هذا العلم مات على أنواع من البدع والكفريات وهو لايشعروآ كثر الناس اليوم ليس فى درجة الاعتقاد التقليدى المطابق بل فى درجة الاعتقاد الفاسد والجهل المركب وماذاك الالقرب هجوم أشراط الساعة الكبري وقلة العلماء العاملين العارفين وانعدام المتعلمين الصادقين الفطنين وكثرة أبناء الدنيا المعجبين بآرائهم الضالين المضلين وتعرض الدجاجلة لقطع طريق السنة بحبائل نصبوها من خرفة من حبائل مردة الشياطين نسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة بفضله وكرمه آمين

﴿المطلب الثالث فى ذكر الصفات الواجبة له تعالي وأضدادها من المستحيلات وذكر أنواع المنافاة﴾

(اعلم) أنه يجب له تعالي عشرون صفة ويستحيل عليه تعالى أضدادها وتلك الصفات العشرون هى التي قامت البراهين القطعية عليها تفصيلا فيجب معرفتها تفصيلا وهى تنقسم الى نفسية وسلبية ومعان ومعنوية *فالنفسية هى الوجود وضده العدم والسلبية هي القدم وضده الحدوث والبقاء وضده الفناء ومخالفته تعالي للحوادث وضدها مماثلته تعالي للحوادث وقيامه تعالي بنفسه وضده احتياجه تعالي الى محل والوحدانية وضدها التعدد *والمعانى هي القدرة وضدها العجز والارادة وضدها الكراهة والعلم وضده الجهل ومافى معناه والحياة وضدها الموت والسمع وضده الصمم والبصر وضده العمي والكلام وضده البكم * والمعنوية هى كونه تعالي قادرا وضده كونه تعالي عاجزاً وكونه تعالى مريداً وضده كونه تعالى كارهاً لما يوجده وكونه عالماً وضده كونه تعالي جاهلا وكونه حياً وضده كونه تعالي ميتاً وكونه سميعاً وضده كونه تعالى أصم وكونه بصيرا وضده كونه تعالي أعمى وكونه متكلما وضده كونه تعالى أبكم والمراد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالضد هنا اللغوي وهو كل مناف سواء كان وجوديا أوعدميا لان التقابل بين كل صفة من الصفات الواجبة له تعالي والمستحيلة عليه تعالى قد يكون من تقابل الضدين وقد يكون من تقابل الشيء ونقيضه أوالمساوى لنقيضه أو الاخص من النقيض فان أنواع المنافاة على ماتقرر فى علم المنطق أربعة تنافي النقيضين وتنافي العدم والملكة وتنافي الضدين وتنافي المتضايفين فكل نوع من هذه الانواع الاربعة لايمكن الاجتماع فيه بين الطرفين . أما النقيضان فهما ثبوت أمر أو نفيه نحو حركة ولا حركة وزيد موجود وزيد ليس بموجود وأما العدم والملكة فهما ثبوت أمر أونفيه عما من شأنه أن يتصف به كالبصر والعمى مثلا فالبصر وجودي وهى الملكة والعمى نفيه عما من شأنه أن يتصف بالبصر ولهذا لايقال فى الحائط أعمي لانه ليس من شأنه أن يتصف بالبصر عادة وبهذا القيد وهو قولنا عما من شأنه أن يتصف به فارق هذا النوع وهو العدم والملكة النقيضين فان كلا من النوعين وان كان هو ثبوت أمر أو نفيه لكن النفي فى تقابل العدم والملكة مقيد بنفي الملكة عما من شأنه أن يتصف بها والنقيضان لايتقيدان بالشأنية المذكورة بل يتقيدان بعدمها فالنقيض المنفي يشترط فى كونه نقيضا أن لايكون شأنه الثبوت والمعتبر في تقابل العدم والملكة أن يكون محل العدم قابلا للملكة وقت انتفائها ولا يكفى كون محل العدم قابلا لها باعتبار شخصه أو نوعه أو جنسه القريب أو البعيد من غير أن يكون قابلا لها وقت انتفائها فانتفاء اللحية عن الكوسج أى من جاء أوان انبات لحيته ولم تنبت من قبيل عدم الملكة لانه قد انتفت اللحية عن محل من شأنه أن يتصف بها وقت انتفائها بخلاف انتفاء اللحية عن لامرد كابن عشر سنين فانه ليس من قبيل عدم الملكة لأنه ليس شأنه أن يتصف بها وقت انتفائها عنه وان كان قابلا لها بحسب الشخص وهو الذكر

وكذا

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكذا نفى اللحية عن المرأة لانها لا تقبلها بحسب الوقت والشخص وان قبلتها بحسب النوع وهو الانسان وكذا نفيها عن الفرس لانها لا تقبلها بحسب الوقت ولا بحسب الشخص ولا بحسب النوع وان قبلتها بحسب الجنس وهو الحيوان وكذا نفى اللحية عن الشجر لانه لا يقبلها بحسب الوقت ولا بحسب الشخص ولا بحسب النوع وان قبلها بحسب جنسه القريب وهو الجسم النامى وكذا نفي اللحية عن الحائط لانها لا تقبلها بحسب الوقت ولا بحسب الشخص ولا بحسب النوع وان قبلتها بحسب الجنس أيضاً وهو الجسم وهو جنس للشجر والحائط لكنه بعيد بالنسبة للشجر وكذا نفى البصر عن الاكمه أو العقرب لان كلا منهما انما يقبل البصر بحسب الجنس وهو الحيوان فانه جنس لهما وكذا انتفاء الحركة الارادية عن الجبل لانه انما يقبلها باعتبار جنسه وهو الجسم فالنفى فى كل واحد مما ذكر ليس من قبيل عدم الملكة لانه ليس شأنه أن يتصف بها وقت انتفائها عنه * وأما الضدان فهما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف عند تواردهما على موضوع واحد ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر كالبياض والسواد والمراد بغاية الخلاف التنافي بينهما بحيث لا يصح اجتماعهما فخرج بذلك البياض مع الحركة مثلا فانهما وان كانا أمرين وجوديين مختلفين في الحقيقة لكن ليس بينهما غاية الخلاف التى هى التنافى لصحة اجتماعهما اذ يمكن أن يكون الجسم الواحد متحركا أبيض فليس البياض والحركة بمتضادين بل متخالفين وخرج بقولنا عند تواردهما على موضوع واحد أى ذات واحدة المعنى القديم والحادث كعلم الله تعالى وعلم زيد فانهما أمران وجوديان بينهما غاية الخلاف لكن بالنسبة لموضوعين مختلفين فان موضوع القديم قديم لا يوصف بالحادث وموضوع الحادث حادث لا يوصف بالقديم وكذا البياض والسواد لا يقال لهما ضدان الا اذا اعتبرتهما بالنسبة لمحل واحد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا بالنسبة لمحلين ويعتبر في الضدين أن يكون عدم اجتماعهما باعتبار ذاتهما فخرج علمك بحركة زيد وعلمك بسكونه فان هذين العلمين لا يمكن اجتماعهما لكن باعتبار متعلقهما وهو الحركة والسكون أما باعتبار ذاتهما فيمكن اجتماعهما فلا يقال لهما ضدان ويعتبر في الضدين أيضاً أن لا يكون المانع من اجتماعهما كون الشيء مضاداً لغيره وغير مضاد له من جهتين نخرج السواد والحلاوة فانهما لا يجتمعان بحيث تكون الحلاوة عين السواد وبالعكس لكن لا يقال ان الحلاوة ضد للسواد لان المانع من اجتماعها معه ماذكر من كون الشيء الواحد يكون مضادا لغيره وغير مضاد له وذلك لان الحلاوة لا تضاد البياض والسواد يضاده فلو كانت الحلاوة عين السواد للزم كونها مضادة للبياض من جهة كونها سوادا غير مضادة له من جهة كونها حلاوة فتجتمع المضادة وعدمها وهو محال وهذا يطرد في الحادث كما مثلنا وفي القديم فيمتنع أن تكون القدرة مثلا علما وذلك لان القدرة خاصيتها التأثير في متعلقاتها والعلم خاصيته انكشاف المتعلق به فلو كانت القدرة علما لكانت بالخاصية الاولى وهي التأثير تضاد العجز وباعتبار الخاصية الثانية وهي الانكشاف لا تضاده وانما تضاد الجهل فيلزم أن القدرة مضادة للعجز غير مضادة له وهذا باطل . ومن هنا يعلم بطلان قول الالهيين من الفلاسفة انه تعالى عليم بذاته قادر بذاته الخ فانه يلزم على ذلك كون الشيء الواحد علما قدرة وهو باطل كما علمت . وأما المتضايفان فهما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف ويتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر كالأبوة والبنوة وهذا التعريف مبني على كلام الحكماء حيث ذهبوا الى أن الامور النسبية كالاضافيات وغيرها أعراض موجودة وأما المتكلمون فالمراد بالوجود في المتضايفين عندهم أن كلا منهما ليس معناه عدم كذا لا أنهما موجودان في الخارج اذ

من

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من المعلوم عند المحققين أن الابوة والبنوة أمران اعتباريان لاوجود لهما فى الخارج عن الذهن كبقية الامور النسبية اذ لوكانت موجودة لكانت حالة فى محل والحلول فى المحل أمر إضافي فهوموجود أيضاً فيكون حالا فى محل وهذا الحلول كذلك وهكذا فيلزم التسلسل فى الموجودات وهو محال فثبت أن الاضافيات أمور اعتبارية وقد علمت من تعريف هذه الانواع الاربعة أن كل نوع منها لايمكن الاجتماع فيه بين الطرفين * واذا علت ذلك فاعلم أنه لايمكن أيضاً ارتفاع الطرفين بالنسبة للنقيضين وأما بالنسبة لغيرهما فيمكن ارتفاعهما فالاربعة أنواع انما تشترك في امتناع الاجتماع وان كانت تلك الانواع مختلفة في التنافي بين الطرفين شدة وضعفاً وأقواها النقيضان لأن تنافيهما ضرورى لايحتاج الى دليل لأن النفى والاثبات لايجتمعان بالضرورة بخلاف تنافي الضدين كالسواد والبياض فانه نظرى يحتاج لدليل والدليل عليه أنهما لو اجتمعا للزم عليه اجتماع النقيضين بيانه أن صدق سواد مثلا يلزمه صدق لابياض وصدق بياض يلزمه صدق لاسواد فلو اجتمع السواد والبياض لزم عليه اجتماع السواد ولا سواد الذى هو البياض والبياض ولا بياض الذى هو السواد فيلزم اجتماع النقيضين وهو باطل بالضرورة كما علمت فالمنافاة بين الضدين ليست ذاتية بل لما يلزم على اجتماعها من اجتماع النقيضين كما تقرر بخلاف المنافاة بين النقيضين فانها ذاتية فتنافيهما أقوي من تنافى الضدين لما ذكر ومثل ماذكر فى الضدين يلزم فى المتضايفين وفى العدم والملكة (فاذا قيل) لك ماالمانع من اجتماع الضدين كالبياض والسواد ومن اجتماع المتضايفين كالابوة والبنوة ومن اجتماع العدم والملكة كالعمي والبصر (فقل) لواجتمع الضدان أوالمتضايفان أوالعدم والملكة للزم اجتماع النقيضين وهو محال بالبداهة وذلك لأن كلا من الضدين مستلزم لنقيض ضده والمتضايفان

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كل منهما مستلزم لنقيض الآخر وكذلك العدم والملكة

﴿ المبحث الاول في الصفة النفسية * وفيه مطلبان ﴾

﴿ المطلب الاول في معنى الصفة النفسية ﴾

الصفة النفسية هي التي لا تتعقل النفس أي الذات بدونها أي لا تتصور الذات بالعقل وتدرك الا بصفتها النفسية كالتحيز للجرم فانك ان تصورته وأدركته أدركت أنه متحيز . والمراد بالتعقل الوجود الخارجي لان الذات قد تتعقل بدون الوجود الذي هو صفة نفسية لها وبالعكس بمعنى أن العقل قد يلاحظ الماهية بدون وجودها والوجود بدونها اذ كثيراً ما تعقل الماهية ثم يشك في وجودها فيقام الدليل عليه وذلك كما تعقل الملائكة بأنهم أجسام لطيفة ثم يشك في وجودهم فيقام الدليل عليه بأنهم لو لم يكونوا موجودين للزم عليه الكذب في إخباره تعالى الدال على وجودهم والمراد بالصفة النفسية صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات أي تحققها وثبوتها ومعناه أنها لا تدل على شيء زائد على الذات فقولنا دون معنى زائد عليها تفسير مراد لقولنا على نفس الذات ويخرج بذلك المعاني لانها تدل على معنى زائد على الذات وكذلك المعنوية فانها تستلزم المعاني فهي تدل على معنى زائد على الذات لاستلزامها المعاني وعرف بعضهم الصفة النفسية بأنها الحال الواجبة للذات مادامت الذات حال كون تلك الحال غير معللة بعلة كالتحيز مثلا للجرم فانه واجب للجرم مادام الجرم وليس ثبوته له معللا بعلة فخرج بالحال صفات المعاني والسلبية قال العلامة الشرقاوي وجعل المعاني والسلبية غير حال مجرد اصطلاح ولا مشاحة فيه وقوله الواجبة للذات أي الثابتة للذات على طريق الوجوب بحيث لا يمكن انفكاكها عن الذات ولما كان هذا يوهم قصر التعريف على الصفة النفسية

القديمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القديمة وعدم شمول له النفسية الحادثة أتي بقوله مادامت الذات دفعاً لذلك الايهام وتحقيقاً لدخول الحادثة فى التعريف أى الحال التي لا تقبل الا نفكاك عن الذات مادامت الذات وهذا لا ينافي أنها قد تكون حادثة وتنعدم بانعدام الذات والمراد بالذات مطلق الشيء فيشمل ماقام بنفسه كالجوهر وما قام بغيره كالعرض ألا ترى أن اللون كالبياض والسواد عرض قائم بغيره ومع ذلك يتصف بالوجود واللونية وقيامه بالغير وكل هذه صفات نفسية له لا يمكن انفكاكها عنه مادام موجودا وانما كان هذا التعريف للصفة النفسية مطلقاً قديمة أوحادثة والحال انهما حقيقتان متخالفتان والحقائق المختلفة لا تجمع فى تعريف واحد لان التعريف المذكور رسم للصفة النفسية بالعرضيات مميز لها ومنع اجتماع الحقائق المتخالفة فى تعريف واحد اذا كان حدا حقيقياً بالذاتيات وانما كان هذا التعريف رسما لا حدا بالذاتيات لانه لا بد من وصف يميز المحدود عما يشاركه كالنطق فى تعريف الانسان بأنه حيوان ناطق فان النطق وصف له يميزه عما يشاركه فى الحيوانية وذلك المميز فصل والفصول للاحوال صفات نفسية للمحدود فلو كانت الاحوال تحدل كانت فصولها لها فصول أى أحوال نفسية أيضاً ثم كذلك ويلزم التسلسل وهو محال فتعين أن يكون ماذكر رسما . وما فى قوله مادامت الذات مصدرية ظرفية ودام تامة بمعني بقي أي الثابتة للذات مدة بقائها وفيه تنبيه على أن الذات ملزومة للصفة النفسية فمتى تحققت الذات تحققت صفتها النفسية لأن الامر النفسى لا يتخلف عن الذات التي ذلك الامر نفسي لها ولذا يقولون ما بالذات لا يتخلف ولا يختلف . وخرج بقوله غير معللة بعلة الاحوال المعنوية لأنها تعلل بالمعاني ككون الذات عالمة قادرة مريدة فانها معللة بالعلم والقدرة والارادة من حيث قيامها بالذات لان العلم مثلا ليس علة فى الكون عالما من حيث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ذاته بل من حيث قيامه بالذات والمراد بالتعليل التلازم فالمعانى وهي المعبر عنها بالعلل ملزومة والمعنوية التي هى المعلولات لازمة لها وليس المراد بالتعليل التأثير اذ المعنوية ليست مؤثرة في المعاني فان اعتقاد ذلك كفر وكذا كل موضع أطلق فيه التعليل عند أهل السنة فالمراد به ماذكر وأخرج بعضهم الاحوال المعنوية بقوله مادامت الذات فان معناه أن الوجود مثلا هو الحال الواجب للذات بقيد دوام الذات فخرج مالم يدم بدوام الذات كالمعنوية فان دوامها بدوام معانيها لا بدوام الذات فهي ثابتة للذات مادامت معانيها لامادامت الذات وحينئذ فقوله غير معللة بعلة قيد لبيان الواقع لا للاحتراز لكن لما كان أصرح فى الاخراج عما قبله أحلنا الاخراج عليه وعلم من قوله غير معللة بعلة أن الحال قسمان أحدهما ما ليس معللا بعلة وهو الصفات النفسية والآخر ماهو معلل بعلة وهو الصفات المعنوية فكون زيد قادرا مثلا ووجوده حالان ثابتان لذاته غير محسوسين بحاسة من الحواس الخمس الا أن الاول له علة يلازمها وهى القدرة والثاني لا علة له أى لا ملزوم له كما علمت

المطلب الثانى فى الوجود

انما قدمناه لكونه كالاصل للالهيات اذ الحكم بما يجب له تعالي وما يستحيل وما يجوز كالتفريع عليه فتقديمه عليها يشبه تقديم التصور على التصديق (واعلم) أن وجوده تعالى ذاتي بمعنى أن وجوده لذاته لا لعلة أى أن غيره لم يؤثر فى وجوده تعالى وليس المراد أن الذات أثرت في نفسها اذ لا يقوله عاقل فثمرة القيد تظهر في المحترز وأما الوجود غير الذاتى كوجودنا فهو بفعله تعالى *وقد اختلف فى الوجود فقال الامام أبو الحسن الاشعرى هو عين الموجود وفهم بعضهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن المراد من عبارته أن مفهوم الوجود هو مفهوم الذات فهما متحدان مفهوماً مع اتحادهما ماصدقا وعلى هذا فعد الوجود صفة غير ظاهر لان الصفة لابد أن تكون غير الذات * وأجاب العلامة السنوسي بأن الوجود توصف به الذات في اللفظ فيقال ذات مولانا جل وعز موجودة أي ثبت لها الوجود فيكون الوجود وصفاً لها في اللفظ كالصفة فكما يقال الله عالم يقال الله موجود فلما حصلت المشابهة بينهما من هذه الحيثية صح اطلاق الصفة عليه وان كان فى المعنى ليس أمرا زائدا قال السكتانى ظاهره أن هذا اطلاق حده اللفظ لا يتعدى الى المعنى أصلا والمعني عليه ذات مولانا يطلق عليها لفظ الوجود أو نحوه هذا فيكون الاسناد مرجعه للفظ لا للمعني فيكون اسناداً لفظياً لا معنويا وليس كذلك اذ لاخفاء فى أن ثبوت الوجود لله تعالي حكم تصديقى برهن عليه المتكلمون في كتبهم وأثبتوا صحته بحدوث العالم وامكانه وذلك يؤذن بأنه عندهم اسناد معنوى وأن المقصود من الاخبار أن الذات متصفة بالوجود بمعنى أنه وصف ثابت لها على أن الاسناد اللفظى كالعدم فيكون ارتكابه عبثاً اه بايضاح وزيادة (وأجيب) بأن الذي حققه الاشياخ أن الصفة تطلق حقيقة على الامر الوجودى وعلى ماليس بذات بل مايحكم به على الشيء مطلقا سواء كان خارجا عنه أو قائما به أو عين ذاته لحصول المغايرة فى المفهوم فان الوجود مثلا ذات ثبت لها الوجود فهما متغايران مفهوما وحينئذ فاسناد الوجود ليس اسناداً لفظيا فقط بل حكم معنوي يعتقد ويبرهن عليه فعده من الصفات على ماذهب اليه الاشعري ظاهر ولذلك قال العلامة الامير الحق أن الصفة يكفى فيها مغايرة المفهوم وان لم تكن زائدة فى الخارج كيف وقد عدوا السلوب صفات * وقال الامام الرازى الوجود غير الموجود وعلى هذا فعد الوجود صفة صحيح لا تسامح فيه لانه على هذا القول صفة ثبوتية زائدة على الذات أى لها ثبوت أى تحقق

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في الخارج عن الذهن لا تتصف بالوجود أي خارجا بحيث تمكن رؤيتها بالبصر كالمعاني ولا بالعدم أي بحيث تكون أمرا عدميا كالقدم والبقاء فهي واسطة بين الوجود والعدم لانها من جملة الاحوال وبيان ذلك أن الاشياء على هذا القول أربعة أقسام موجود ومعدوم وحال وأمر اعتباري فالاول ما تصح رؤيته وهو أعلاها درجة والثاني مالا ثبوت له وهو أحطها درجة والثالث ماله ثبوت في الخارج لكنه لم يرتق الي درجة الموجود حتي يشاهد ولم ينحط الى درجة المعدوم حتى يكون عدما محضاً بل هو واسطة بين الموجود والمعدوم والرابع مالا ثبوت له الا ذهنا فقط لكنه متحقق في نفسه بقطع النظر عن اعتبار معتبر وفرض فارض كامكان الممكن وكرم الكريم بخلاف مالا تحقق له الا بالفرض والاعتبار كبحر من زئبق وبخل الكريم وكرم البخيل فان هذا ليس مرادا هنا والحق أن لا حال أي لا واسطة بين الوجود والعدم فليس هناك صفات ثابتة في الخارج عن الذهن بحيث لا تتصف بالوجود ولا بالعدم فالقسمة ثلاثية وجود وعدم واعتبار واثبات الحال محال لان الوجود يرجع للثبوت والعدم يرجع للنفي فلا واسطة ولذلك رجع جماعة من المحققين الخلاف لفظياً فحملوا قول الاشعري بأن الوجود عين الموجود على أن الوجود ليس أمرا زائدا في الخارج على الموجود بحيث تصح رؤيته فلا ينافي قول الرازي انه غير الموجود وانه حال فان المراد أنه أمر اعتباري يعتبره الشخص في ذهنه كما اذا كان ثوب مثلا في صندوق ثم أخرج منه فانه يتصف بالظهور فهذا الظهور ليس وصفاً زائدا على الثوب الا أن العقل يقدره وصفاً زائداً فليس للماهية تحقق ولعارضها المسمى بالوجود تحقق آخر بحيث يكون هناك شيآن متحققان خارجا كالجسم والبياض وهذا لا ينافي كونه أمرا اعتباريا يلاحظ في الذهن زيادة على ملاحظة الذات كامكان الحادث فان

الامكان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الامكان أمر اعتبارى يلاحظ فى الذهن زيادة على ملاحظة الحادث فليس للوجود ثبوت بالاستقلال زائد على ثبوت الذات فلا ينافى أنه غيرها فهو غير الذات على كلا القولين فيصح عده من الصفات فصحت اضافته الي النفس بمعني الذات أى نسبته اليها فى قولهم انه صفة نفسية وليس فيه حينئذ على قول الاشعرى اضافة الشيء الى نفسه بل الي غيره لان الوجود حينئذ غير الموجود فهو زائد على الذات فى التعقل فصح جعله صفة وصح نسبته اليها حقيقة وضد الوجود العدم وقد علمت أن المراد بالضد هنا مطلق المنافى والا فالتقابل بين العدم والوجود من التقابل بين الشيء والاخص من نقيضه اذ نقيض الوجود لا وجود وهو أعم من العدم لشموله العدم والامر الاعتباري فالعدم أخص من لا وجود الذى هو نقيض الوجود . وتقرير البرهان على وجوده تعالي أن نقول هذا العالم بجميع أجزائه من السموات والارض وما بينهما وما فيهما حادث أي موجود بعد العدم وكل حادث لابد له من محدث أى موجد فهذا العالم بجميع أجزائه لابد له من محدث فقولنا هذا العالم بجميع أجزائه حادث يسمي المقدمة الصغرى وقولنا وكل حادث لابد له من محدث يسمي المقدمة الكبرى وقولنا فهذا العالم بجميع أجزائه لابد له من محدث هو النتيجة وحيث كانت المقدمتان الصغري والكبرى صحيحتين ثابتتين كانت النتيجة صحيحة ثابتة قطعاً أما المقدمة الصغرى وهى قولنا العالم بجميع أجزائه حادث فوجه صحتها وثبوتها أن هذا العالم هو الاعيان والاعراض والاعيان هى الجواهر وهي ماله قيام بذاته من الممكنات ومعنى قيامه بذاته أن يتحيز بنفسه أي يشغل فراغا بحيث يمتنع أن يحل غيره حيث حل ويكون تحيزه غير تابع لتحيز شيء أي لا يكون عرضا والتحيز له بواسطة شيء آخر بخلاف العرض كما يأتي وماله قيام بذاته اما مركب من الاجزاء وهو الجسم

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أو غير مركب كالجوهر الفرد *والعرض مالا يقوم بذاته من الممكنات بل بغيره بأن يكون تابعا له فى التحيز فانه لا يعرض له التحيز الا بواسطة الجوهر الذى هو موضوعه وأما هو فى ذاته فلا يشغل فراغا بل الفراغ الذي يشغله الجوهر قبل اتصافه به هو الفراغ الذي يشغله مع اتصافه به من غير زيادة وذلك كالألوان وأصولها السواد والبياض أو الحمرة والخضرة والصفرة أيضاً والبواقى التركيب والاكوان كالحركة والسكون والطعوم وأنواعها تسعة وهى المرارة والحرافة والملوحة والعفوصة والحموضة والقبض والحلاوة والدسومة والتفاهة ثم يحصل بحسب التركيب أنواع لاتحصى والروائح وأنواعها كثيرة وليست لها أسماء مخصوصة * فاذا تقرر أن العالم أعيان وأعراض والاعيان أجسام وجواهر فنقول الكل حادث الا أنه يستدل على حدوث الاعيان بحدوث الاعراض وتقرير البرهان على ذلك أن تقول الاعيان ملازمة للاعراض الحادثة وكل ملازم للاعراض الحادثة فهو حادث فينتج الاعيان حادثة *أما المقدمة الصغري وهي قولنا الاعيان ملازمة للاعراض الحادثة فيتوقف اثباتها على جملة أمور *الاول اثبات الاعراض الزائدة علي الاعيان لان الفلسفي يقول لانسلم اثبات زائد على الاعيان حتى يصح الاستدلال بحدوثها على حدوث الاعيان (والجواب) عن ذلك أن نقول ان اثبات زائد على الاعيان تتصف الاعيان به ضروري لايحتاج لدليل اذ مامن عاقل الا وهو يحس أن فى ذاته معانى زائدة عليها كالعلم واضداده والصوت ونحو ذلك ولهذا قال بعض الاذكياء فى الجواب عن ذلك يقال لهم نزاعكم لنا وقولكم لانسلم وجود الاعراض اما أن تقولوا ان هذا النزاع منكم لنا موجود أو معدوم فان قلتم لا وجود له خرجتم عن طور العقلاء وسقطت عنا وظيفة جوابكم من وجهين أحدهما انكم فى عداد من لاعقل له لأن من لاعقل له هو الذي يقول كلاما ثم يرده

على

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على الفور بقوله ماقلت شيئاً ومن لاعقل له لايحتاج الي جوابه وثانيهما افرادكم بأنكم لم تنازعونا ولا خالفتمونا فقد كفيتمونا مؤونة جوابكم وان سلمتم أن نزاعكم لنا وجد منكم فلاشك أن ذلك النزاع أمر زائد على الذات وهو الذى نعنى بالعرض فقد سلمتم وجود العرض *فان قالوا نحن ممن يقول بالحال والواسطة بين الوجود والعدم فنسلم أن للأجرام صفات زائدة عليها ولا يلزم من زيادتها وجودها لاحتمال أن تكون واسطة بين الوجود والعدم *قلنا الحق أن لاحال وأن الحال محال فلا واسطة بين الوجود والعدم لان الوجود يرجع في المعنى للثبوت والعدم يرجع فى المعنى للنفى ولا واسطة بين الثبوت والنفى لانهما نقيضان فلو كان بينهما واسطة لجاز ارتفاعهما بتخلف الواسطة عنهما مع أن النقيضين لايجوز ارتفاعهما بالضرورة قطعاً سلمنا ثبوت الواسطة فيلزم أن الاعيان تلازم صفات ثابتة فيصح الاستدلال بحدوثها على حدوث الاعيان وان لم تنته تلك الصفات الي درجة الوجود فالقدح بعدم وجودها مع تسليم ثبوتها لايضر شيئاً في دليل الحدوث وانما يضر بالدليل الاصرار على عدمها وهو باطل على الضرورة فلا حاجة الي اطالة الاستدلال على وجودها * الثانى اثبات ملازمة الاعيان للأعراض فان الفلسفى يقول سلمنا ثبوت الاعراض لكن لانسلم الملازمة بين الاعيان والاعراض حتي يلزم حدوث الاعيان (والجواب) عن ذلك مشاهدة أن الجرم لاينفك عن الاعراض وأيضاً لايعقل جرم خال عن حركة وسكون أو بياض وسواد ونحوهما من الالوان لان السكون مساو لقولنا لاحركة والسواد ونحوه من الالوان مساو لقولنا لابياض ولا يعقل جرم خال عن حركة ولاحركة وبياض ولا بياض لاستحالة ارتفاع النقيضين وأيضاً الاعيان لاتتحقق الا بمشخصات تميزها عن غيرها وهى أعراض البتة * الثالث اثبات حدوث الاعراض فان الفلسفي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول سلمنا ملازمة الاعيان للاعراض لكن لانسلم حدوث الاعراض حتى يلزم حدوث الاعيان الملازمة لها فان مانشاهده في بعض الاعيان من الحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة والسواد بعد البياض لانسلم حدوثه لم لايكون قبل طروه على الاعيان قائما بنفسه أو انتقل له من جرم آخر أوكان كامنا فيه ثم ظهر وهو في هذه الصور الثلاث قديم كما أن مالا يشاهد حدوثه من الاعراض قديم وذلك كالاعراض القائمة ببعض الاعيان من السكون والالوان والاشكال والامتدادات (والجواب) عن الصورة الاولى وهي قيام العرض بنفسه أنه يلزم على ذلك قلب حقيقة العرض اذ حقيقته ماقام بغيره فلو قام بنفسه لزم قلب هذه الحقيقة وصيرورة العرض جوهرا اذ القيام بالنفس من خواص الاعيان وأيضا لا يعقل صفة من غير موصوف فلا يعقل حركة من غير متحرك مثلا (والجواب) عن الصورة الثانية وهي انتقال العرض من جرم الى آخر فهو أن من طبع العرض أن لا ينتقل من محل لمحل وأيضا لو انتقل لكان بعد مفارقة الاول وقبل وصول الثاني قائما بنفسه وقد ظهر بطلانه وأيضا لو انتقل لزم قيام انتقال به وذلك الانتقال ينتقل أيضا فيقوم به انتقال وذلك الانتقال ينتقل أيضا فيقوم به انتقال وذلك يؤدي الى التسلسل وقيام المعنى بالمعني (والجواب) عن الصورة الثالثة وهي كمون العرض ثم ظهوره فهو أن الكمون والظهور يؤدي الى اجتماع الضدين في المحل الواحد لان الجوهر اذا تحرك مثلا بعد أن كان ساكنا وفرضنا أن السكون كامن فيه زمن حركته لزم اجتماع الضدين وهما الحركة والسكون ضرورة وأيضا يلزم من كون الحركة مثلا في الجوهر زمن سكونه قيام المعني بمحل من غير أن يوجب له معني اذ الحركة فيه وهو غير متحرك وهو خلاف المعقول وأيضا فالكمون والظهور اللذان قاما بالعرض ويتعاقبان عليه ان كان ينعدم أحدهما عند وجود الآخر فقد نقضوا أصلهم في كمون الاعراض

ولزمهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولزمهم مافروا منه وهو ملازمة الجواهر للحوادث وان قالوا بكمونهما أو ظهورهما أيضا لزم التسلسل فقد ثبت بما ذكر حدوث بعض مانشاهده من الاعراض كالحركات والاصوات ونحوها * وأما البعض الآخر وهو مالا يشاهد فيه الحدوث بعد العدم كألوان الكواكب وأشكالها وامتداداتها وسكون الارض ونحو ذلك فالدليل على حدوثه هو قبوله للعدم ثم الحدوث فالساكن من الاعيان يجوز ان يتحرك وينعدم سكونه كما جاز ذلك فيما ماثله من متحرك الاعيان كالفلك وذو اللون المخصوص مثلا يجوز أن ينعدم لونه ويتصف بغيره من الالوان كما اتصف به مماثله من الجواهر ومثل ذلك يقال فى الاشكال والامتدادات والجواهر كلها متماثلة فيستحيل أن يجوز في بعضها مالا يجوز فى الآخر من حيث ذاته فلو كان بعض الاعراض قديما لما قبل أن ينعدم أبدا أصلا لأن ماثبت قدمه يستحيل عدمه كما يأتى بيانه وأيضا اذا ثبت وجوب الحدوث لبعض الاعراض وجب أن يثبت لجميعها للتماثل في حقيقة العرضية اذ ماوجب لاحد الامثال يجب لكلها لان الامثال يجب استواؤها فيما يجب ويجوز ويستحيل وقد وجب الحدوث لبعض الاعراض قطعاً فكذلك يجب لسائرها لمماثلتها اياه على أن مالا يدرك بالمشاهدة حدوثه من الاعراض غير مخل بالغرض من الاستدلال على حدوث الاعيان بحدوث الاعراض لانه يكفي فى ذلك الاستدلال بما يدرك بالمشاهدة حدوثه من الاعراض كأفول الكواكب واشراقها وحركة الارض بالزلازل ونحو ذلك فقد ثبت بما قررنا صحة المقدمة الصغرى فى دليل حدوث الاعيان وهى قولنا الاعيان ملازمة للاعراض الحادثة * أما المقدمة الكبرى فى هذا الدليل وهى قولنا وكل ملازم للاعراض الحادثة فهو حادث فثبوت صحتها ظاهر لان ملازم الاعراض الحادثة لا يصح أن يسبقها اذ لو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سبقها لانتفت الملازمة واذا لم يصح أن يسبقها يكون حادثا مثلها وبالجملة فحدوث أحد المتلازمين يستلزم حدوث الآخر ضرورة * قالت الفلاسفة لانسلم أن كل ملازم للاعراض الحادثة فهو حادث . قولكم لان ملازم الاعراض الحادثة لا يصح أن يسبقها مسلم وقولكم فيكون حادثا مثلها ممنوع لان ذلك انما يلزم لو كانت الحوادث التي لازمت الاعيان لها مبدأ يفتتح به عددها ونحن نقول لا مبدأ لتلك الحوادث بل ما من حادث الا وقبله حادث لا إلى أول فلم يلزم من قدم الاعيان على هذا التقدير سبقها الاعراض الحادثة اللازمة لها لان نوعها الذي لا تنفك عنه الاعيان قديم (والجواب) من أوجه كثيرة ذكرها المتكلمون * منها برهان التطبيق وهو أن نفرض من الحوادث سلسلة من الآن الي مالا نهاية له في جانب الماضي ثم نفرض سلسلة أخرى من زمن الطوفان الي مالا نهاية له في جانب الماضي أيضاً ثم نطبق السلسلتين بأن نجعل الاول من السلسلة الاولى بازاء الاول من السلسلة الثانية والثاني بازاء الثاني وهكذا فان كان بازاء كل واحد من الاولى واحد من الثانية لزم مساواة الناقص للزائد وهو محال وان لم يكن بأن وجد في الاولى مالا يوجد بازائه شيء من الثانية لزم أن تنقطع الثانية وتتناهى ويلزم منه تناهي الاولى لانها لا تزيد على الثانية الا بقدر متناه وهو الذي من الآن الى زمن الطوفان والزائد على المتناهي بقدر متناه يكون متناهيا بالضرورة ويصح أن تجعل السلسلة واحدة ثم يؤخذ فرد من آخر السلسلة ثم يؤخذ الفرد الذي قبله ويترك الفرد الذي قبلهما ثم يؤخذ فرد ويترك فرد وهكذا ويجعل المأخوذ سلسلة والمتروك أخري وتطبق السلسلتين كما مر قالوا هذا منقوض بمراتب العدد بأن تطبق جملتين منه احداهما بتضعيف الواحد مرات غير متناهية والثانية بتضعيف الاثنين كذلك بأن يكون كل فرد من أفرادها اثنين لا الى نهاية فتجعل الواحد من احداهما بازاء الاثنين من

الاخرى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاخري فتكون احداهما أزيد من الاخرى قطعا ولم يلزم من ذلك تناهي احداهما ولا المساواة المدعى امتناعها * والجواب أن التطبيق المستدل به على بطلان التسلسل انما اعتبر بين الامور الموجودة كالاعراض لا العدمية الوهمية المحضة كالاعداد لانها منقطعة بانقطاع الوهم وقولهم الاعداد لانهاية لها تخييل لكونها لاتقف عند حد بل مامن عدد الا ويتصور فوقه عدد آخر وأما كل ماوجد بالفعل منها فى نفس الامر خارجا أوذهنا فمتناه (فان قالوا) هذا منقوض أيضا بمعلومات الله ومقدوراته فان المعلومات أكثر عددا من المقدورات لان القدرة خاصة بالجائزات والعلم عام يتعلق بالواجبات والمستحيلات أيضا مع أن كلا من المقدورات والمعلومات غير متناه فى الاعداد {قلنا} ان معنى عدم تناهى المقدورات عدم وقوفها عند حد نظير ماسبق فى الاعداد فما من مقدور الا ويتصور وراءه مقدور آخر اذلا يمكن تناهي الجائزات فى التصور وليس الموجود من المقدورات الا قدرا متناهيا وكذا المعلومات الوجودية وأما العدمية فبمعزل عن مورد الدليل من الموجودات (ومنها) برهان الاحكام وتقريره أن نقول لو وجدت حوادث لاأول لها للزم صحة الحكم عند وجود كل حادث بأنه فرغ وانقضى قبله حوادث لاأول لها ومن ضرورة هذا الحكم أن يسبق كل فرد من أفراده حوادث ليحكم عليها بالانقضاء فيلزم أن يسبق جنس المحكوم عليه وهو أزلى جنس الحكم وهو أزلى أيضاً وسبق الازلى على الازلى محال على الضرورة لما فيه من التناقض اذ المتأخر لايكون أزليا لأن السبقية عليه تنافى أزليته {فان قالوا} ان جنس الحكم ليس أزليا بل ينتهى لفرد لايحكم بانه فرغ قبله غيره {قلنا} فقد انقطعت الحوادث وبطل الحكم بوجود حوادث لاأول لها (واعلم) أن الحكم المذكور وان كان من الامور الاعتبارية الا أنه على تقدير وجود

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حوادث لا أول لها يكون الحكم المذكور ثابتاً ومتحققا فى نفس الامر وقد حقق العلامة السعد فى شرح المقاصد أن الدليل على بطلان التسلسل جار فى الامور الاعتبارية أى الموجودة فى نفس الامر بخلاف مالا تحقق له من الامور الاعتبارية كبحر من زئبق فان هذه عدمية وهمية محضة كما تقدم فى الاعداد (ومنها) أنه لو كانت الحوادث لا أول لها للزم اجتماع الوجود الازلى مع عدمه وبيان الملازمة أن كل حادث من تلك الحوادث مسبوق بعدم لا أول له وتلك العدمات كلها مجتمعة فى الازل اذ لا ترتيب فيها. جنس الحوادث أزلي أيضا لانها لا أول لها وذلك الجنس لا يتحقق وجوده الا فى حادث من أفراده فيلزم أن يكون ذلك الحادث أزليا لكن عدمه السابق عليه أيضاً أزلي لما سبق أن عدم كل حادث أزلى فقد لزم مقارنة وجود الشيء لعدمه لانهما أزليان معاً واجتماع وجود الشيء مع عدمه محال على الضرورة وفيه أيضاً مصاحبة السابق وهو العدم للمسبوق وهو الوجود الحادث وفيه الجمع بين متناقضين وهو الحدوث والازلية. فان قالوا لا نسلم أن العدم يصاحبه شيء من الحوادث بل العدم قبل جميعها. لزم أن يكون لجميع الحوادث أول وهم يقولون لا أول لها هذا خلف. وتهافت فى القول ويلزمهم وجود سابق ومسبوق فى الازل وذلك لا يعقل (ومنها) أنه يلزم على وجود حوادث لا أول لها أن يكون دخل فى الوجود وفراغ من حركات الاجرام الفلكية ونحوها على الترتيب واحدا بعد واحد عدد لا نهاية له والجمع بين الفراغ وعدم النهاية جمع بين متناقضين فيكون محالا على الضرورة ويلزم عليه أن يكون وجود سائر الحوادث الآن محالا لتوقفه على المحال وهو فراغ ما لا نهاية له (قالوا) ما ألزمتمونا من استحالة وجود حوادث لا نهاية لها يلزمكم مثله فى نعيم الجنة اذ قلتم ان حوادث نعيمها ومتجددات أفراحها وسرورها لا نهاية له (وجوابه) أن يقال لهم لبستم بلفظ مشترك وهو لفظ حوادث لا نهاية لها فانها تطلق على وجهين بمعنى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لانهاية لها بحسب المبدإ أي حوادث لا أول لها وبمعنى لانهاية لها بحسب الآخر أي حوادث لا آخر لها والذي قلتم به وردد ناه الاول وفيه وجدت أدلة الاستحالة وانعدم فيه دليل الجواز وأما ماقلناه فى نعيم الجنة من الحوادث فهو من القسم الثانى أى الحوادث التى فيها لا آخر لها بمعنى أنها لاتنقطع أبدا وأما كل ماوجد منها فيما مضى الى زمن الحال فهو متناه له مبدأ ومنتهى فلم يلزم فيه الجمع بين الفراغ وعدم النهاية المتناقضين ولا غيره من أنواع الاستحالة كما لزم فيما ادعيتم وليس من حقيقة الحادث أن يكون له آخر ومن حقيقته أن يكون له أول * وقد ضرب أئمتنا لما ادعوه من حوادث لا أول لها ولما ادعيناه من حوادث لا آخر لها مثالين يستبين بهما أمر الاستحالة فيما ادعوه وأمر الجواز فيما ادعيناه فمثلوا الاول بملتزم قال لأعطى فلانا في اليوم الفلاني درهما حتى أعطيه درهما قبله ولا أعطيه درهما قبله حتى أعطيه درهما قبله وهكذا لا الي أول فمن المعلوم ضرورة ان إعطاء الدرهم الموعود به في اليوم الفلاني محال لتوقفه على محال وهو فراغ مالانهاية له بالاعطاء شيأ بعد شيء ولا ريب أن ماادعوه من حوادث لا أول لها مطابق لهذا المثال فان اعطاء الفاعل للفلك مثلا الحركة في زماننا هذا وفى غيره من الازمان الماضية متوقف على اعطائه قبله من الحركات شيأ بعد شيء مما لانهاية له فالحركة للفلك فى الزمان المعين نظير الدرهم الموعود به فى الزمن المخصوص والحركات التي لاتتناهى قبلها نظير الدراهم التى لاتتناهى قبل ذلك الدرهم فيكون وجود الحركة للفلك في هذا الزمان مثلا مستحيلا كما استحال وجود الدرهم الموعود به في الزمان المعين للشخص * ومثال ما ادعيناه فى نعيم الجنة كما لو قال الملتزم لأعطى فلانا درهما فى زمن الا وأعطيه درهما بعده وهكذا لا الي آخر فهذا لاريب لعاقل في جوازه اذ حاصله التزام الملتزم عدم قطع العطاء بعد ابتدائه

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهذا المثال لاتخفى مطابقته لما ادعيناه في نعيم الجنة للمؤمنين ولا لما ندعيه في عذاب جهنم للفلاسفة القائلين بقدم العالم وأضرابهم من الطبائعيين وسائر الكافرين وبما قررنا ثبت قطعاً صحة قولنا في الاستدلال على حدوث الاعيان الاعيان ملازمة للاعراض الحادثة وكل ملازم للحادث فهو حادث (واعلم) أنه بعد ماثبت استحالة حوادث لاأول لها يصح لك أن تستدل بحدوث مايشاهد حدوثه من العالم كالحيوان والنبات والمعادن على حدوث سائر العالم ووجه الاستدلال تحقق المماثلة بين النباتات والحيوانات ونحوها وبين العالم كله اذ الحيوانات والنباتات ونحوها أجرام متحيزة وأعراض قائمة بها وسائر العالم كذلك والمثلان يجب استواؤهما فيما يجب ويجوز ويستحيل وقد وجب الحدوث للحيوانات والنباتات ونحوها قطعاً فكذلك يجب لسائر العالم لمماثلته اياها اذ لو اختلف العالم بأن يكون بعضه قديما وبعضه حادثا لكان مختلفاً فيما يجب وبيان الملازمة أن القدم لايكون الا واجباً للقديم وبرهانه مايأتي من كون القدم لو كان جائزا للقديم لجاز عليه سبق العدم فيحتاج الي مخصص يخصصه بالوجود بدلا من العدم المجوز وهو نقيض القدم المفروض فيلزم أن يكون قديما غير قديم وهو تهافت واذا ثبت أن القدم لايكون الا واجباً للقديم لزم على اختصاص أحد المثلين به أن يختص أحد المثلين عن مثله بحكم واجب وهو محال لما يلزم عليه من اجتماع متنافيين وهو أن يكون مثلا غير مثل لان التماثل يقتضي استواء المثلين في جميع صفات النفس أي الصفات التي ليس لها وجود زائد على الذات واختصاص أحدهما بحكم واجب وهو لايكون الا صفة نفسية أو لازما لها يوجب انفراد أحدهما عن مثله بصفة نفسية فلا يشتركان في جميع صفات النفس فلا يكون اذا مثلا له كيف وقد تحقق انه مثل له فقد لزم أن يكون مثلا غير مثل وهو تهافت وبما قررنا ثبت قطعاً وجوب الحدوث للعالم كله من أعيان وأعراض

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وظهر صحة المقدمة الصغرى في برهان وجود الصانع تقدس وتعالى وهي قولنا العالم بجميع أجزائه من السموات والأرض وما بينهما ومافيهما حادث وأما المقدمة الكبرى وهي قولنا وكل حادث لابد له من محدث فمنهم من يدعي أنها ضرورية حتى قال الامام فخر الدين في المعالم ان العلم بها مركوز في فطرة طبائع الصبيان فانك اذا لطمت وجه الصبي من حيث لا يراك وقلت له انما حصلت هذه اللطمة من غير فاعل ألبتة لا يصدقك بل في فطرة البهائم فان الحمار اذا أحس بصوت الخشبة فزع لانه تقرر في فطرته أن حصول صوت الخشبة بدون الخشبة محال * ومنهم من يقررها بوسط أي بدليل فيقول لو لم يكن للعالم محدث بل حدث بنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين مساويا لصاحبه راجحاً عليه بلا سبب وهو محال وبيان ذلك ان العالم قبل وجوده كان وجوده مساويا لعدمه لأنه يجوز أن يوجد ويجوز أن يبقى على عدمه فنسبتا الوجود وبقاء العدم اليه متساويان فلما وجد وزال عدمه علمنا أن وجوده ترجح على عدمه وقد كان هذا الوجود مساويا للعدم واذا كان كذلك فلا يصح أن يكون ترجح على العدم بنفسه بلا مرجح والا للزم اجتماع الضدين وهما المساواة والرجحان المستلزم لاجتماع النقيضين لأن الرجحان يستلزم لامساواة والمساواة تستلزم لارجحان فاذا اجتمع الرجحان والمساواة اجتمع مساواة ولا مساواة ورجحان ولارجحان وهذا باطل بالضرورة . ونظير اجتماع المساواة لطرفي الممكن ورجحان أحدهما على الآخر من غير سبب ميزان اعتدلت كفتاه ورجحت احداهما على الأخرى بلا سبب فرجحان احدى الكفتين على الأخرى مع فرض تساويهما لابد له من مرجح والا لزم المحذور وهو اجتماع الضدين الرجحان والمساواة وهذا كما ترى مبني على أن الوجود والعدم بالنظر الى ذات الممكن سيان وأما ان قلنا ان العدم أولى به من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الوجود لان العدم هو السابق فالاصل بقاؤه والعدم احتياجه الى سبب بخلاف الوجود فانه يحتاج لسبب ومالا يحتاج الشيء فيه لسبب أولى به مما يحتاج لسبب وعلى هذا فاللازم على وجود العالم بنفسه ترجح المرجوح من غير مرجح وهو أقوى فى الاستحالة من اللازم على القول الاول * وبما قررنا ظهر صحة البرهان على وجود الصانع تقدس وتعالي وهو قولنا العالم بجميع أجزائه حادث وكل حادث لابد له من محدث فالعالم بجميع أجزائه لابد له من محدث وهذا الذى يستفاد بالدليل العقلي وأما كون ذلك المحدث يسمي الله فهو مستفاد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ لامدخل للعقل فى التسمية ووجه استفادة ذلك منهم عليهم الصلاة والسلام أنه اذا ثبت بالادلة العقلية وجود الصانع وأنه واحد لاشريك له وأخبرت الرسل المؤيدة بالادلة المثبتة لصدقهم بأن ذلك الصانع الواحد الذي لاشريك له اسمه الله كان ذلك دليلا قاطعا على تلك التسمية (واعلم) أن الملل كلها مؤمنها وكافرها اتفقت على وجود الصانع تقدس وتعالي وعلى حدوث ماسواه عزوجل ولم يخالف فى ذلك الا شرذمة من الفلاسفة وتبعهم على ذلك بعض من ينسب نفسه للاسلام وليس له فيه نصيب ومذاهبهم ركيكة جدا لا يرضى بمقالتهم مؤمن بل ولا مطلق عاقل الا من سلب عقله وايمانه فانه لاحول ولاقوة الا بالله وسيأتي ذكر مذاهبهم فى الطبيعيات

المبحث الثانى في الصفات السلبية

انما نسبت للسلب لان حقيقة كل واحدة منها سلب نقص لايليق بالله عز وجل وليست صفات موجودة في نفسها كالعلم والقدرة ونحوهما من سائر صفات المعانى الآتية والمراد بالسلب النفى بمعنى الانتفاء وهذا المبحث يشتمل على خمسة مطالب

(المطلب

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

﴿ المطلب الاول في القدم ﴾

المراد بالقديم ههنا القدم الذاتي وهو عدم الاولية فمعنى كون الله قديما لا أول لوجوده ... ان شئت قلت في معني القدم هو سلب العدم السابق للوجود أو عدم افتتاح الوجود وكلها بمعني واحد والقدم اذا أطلق في حق الحادث كما اذا قيل هذا بناء قديم وعرجون قديم فالمراد به القدم الزماني وهو طول المدة والقديم بهذا المعنى على الله تعالى محال لان وجوده جل وعز لا يتقيد بزمان ولا مكان والحدوث كل منهما فلا يتقيد بواحد منهما الا ما هو حادث مثلهما * وضد القديم هو الحدوث قال بعض المحققين ويطلق الحدوث على معنيين حقيقي ومجازي فالحقيقي الوجود بعد العدم والمجازي التجدد بعد العدم أي الثبوت والحصول بعد العدم فعلى الاول يكون التقابل بين الحدوث والقدم من التقابل بين الشيء والاخص من نقيضه لان نقيض القدم لا قدم وهو أعم من الحدوث لشموله التجدد بعد العدم الذي يوصف به الامر الاعتباري وعلى الثاني يكون التقابل بين الحدوث والتقدم من التقابل بين الشيء والمساوي لنقيضه لان نقيض القدم لا قدم كما علمت وهو مساو للحدوث أي التجدد بعد العدم الذي هو الحصول والثبوت في الخارج أو في نفس الامر * وتقرير البرهان على ثبوت القدم له تعالي أن نقول اذا لم يكن صانع العالم قديما كان حادثا لكنه ليس بحادث ينتج أنه قديم ووجه التلازم بين المقدم وهو قولنا اذا لم يكن قديما وبين التالي وهو قولنا كان حادثا أن كل موجود منحصر في القديم والحادث لان الشيء اذا كان متجددا بعد عدم فهو الحادث والا فالقديم وأما الاستثنائية وهي قولنا لكنه ليس بحادث فهي نظرية تفتقر الي دليل وتقرير هذا الدليل أن نقول انا كان حادثا افتقر الى محدث لكنه ليس مفتقرا الي محدث ينتج أنه ليس حادثا ووجه التلازم بين المقدم والتالي ما تقدم في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

برهان الوجود من وجوب افتقار كل حادث الي محدث اذ لوكان حادثا بنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين وهما الوجود والعدم مساويا لصاحبه راجحاً عليه بلا سبب وهو محال لما فيه من اجتماع الضدين وهما المساواة والرجحان وأما الاستثنائية وهي قولنا لكنه ليس مفتقراً الي محدث فتقرير الدليل عليها أن تقول اذا افتقر الي محدث افتقر محدثه الي محدث وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل وهما باطلان فبطل الملزوم وهو افتقاره الى محدث ووجه لزوم الدور أو التسلسل أنه اذا افتقر الى محدث لزم أن يفتقر محدثه أيضاً الى محدث لانعقاد المماثلة بينهما فان كان محدثه الاول الذى كان أثرا له لزم الدور وهو توقف شيء على شيء توقف عليه وان كان غيره لزم في الغير مالزم فيه وتسلسل والتسلسل هو تتابع الاشياء واحدا بعد واحد الى مالانهاية له في الزمن الماضي والتسلسل محال لما عرفت من استحالة حوادث لاأول لها والخصوم القائلون بذلك سلموا أن التسلسل فى الاسباب والمسببات مستحيل* وأما استحالة الدور فظاهرة لانه يلزم عليه تقدم كل واحد من المحدثين على الآخر وتأخره عنه لانه لوخلق زيد عمرا وخلق عمرو زيدا فمقتضى كون زيد خالقا لعمرو أن يكون متقدما عليه ومقتضى كونه مخلوقا له أن يكون متأخرا عنه فلزم الجمع بين كونه متقدما على عمرو ومتأخرا عنه وهو محال لانه جمع بين متنافيين بل ويلزم على الدور تقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها بمرتبتين أو بمراتب كما هو موضح في كتب الكلام ومثال التقدم والتأخر بمراتب كما لو أوجد زيد عمرا وأوجد عمرو بكرا وأوجد بكر زيدا والاسهل فى ترتيب اللوازم أن تقول اذا لم يكن صانع العالم قديما كان حادثا واذا كان حادثا افتقر الى محدث واذا افتقر الي محدث افتقر محدثه الى محدث أيضاً لانعقاد المماثلة بينهما واذا افتقر محدثه الي محدث افتقر محدثه الي محدث أيضاً وهكذا فيلزم الدور

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أو التسلسل وكل منهما محال فما أدى اليه وهو افتقار المحدث الى محدث محال فما أدى اليه وهو افتقار صانع العالم الي محدث محال فما أدى اليه وهو كونه حادثا محال فما أدى اليه وهو عدم كونه قديما محال فثبت نقيضه وهو كونه قديما وهو المطلوب ولك أن تقول في الاستدلال ان كل حادث له محدث بالضرورة فاما أن يدور أو يتسلسل أو ينتهي الي محدث قديم والأولان باطلان فتعين الثالث وهو الانتهاء الى المحدث القديم وحينئذ يستدل على بطلان افتقار أي حادث الي محدث غير ذلك المحدث القديم بدليل الوحدانية ونحوه مما سنذكره في الطبيعيات

*(المطلب الثاني في البقاء) *

المراد بالبقاء هنا عدم الآخرية فمعنى كون الله تعالى باقيا أنه لا آخر لوجوده وان شئت قلت في معنى البقاء هو سلب العدم اللاحق للوجود أو عدم اختتام الوجود أو نفي انتهاء الوجود وكلها بمعنى واحد * وضد البقاء الفناء وهو طرو العدم أي حصوله بعد أن لم يكن والتقابل بينه وبين البقاء من التقابل بين الشيء والمساوي لنقيضه لان نقيض البقاء لا بقاء وهو مساو للفناء *وتقرير البرهان على وجوب البقاء له تعالى أن تقول لو لم يكن صانع العالم واجب البقاء لامكن أن يلحقه العدم لكن امكان لحوق العدم له محال فينتج أن عدم وجوب بقائه محال فثبت نقيضه وهو وجوب بقائه والملازمة بين المقدم والتالى ظاهرة أما الاستثنائية وهي قولنا لكن امكان لحوق العدم له محال فتحتاج الي دليل وتقريره [illegible] أن يلحقه العدم لكان جائز الوجود لكن كونه جائز الوجود محال فينتج ان [illegible] في العدم له محال ووجه الملازمة بين المقدم والتالى أنه لو أمكن أن يلحقه العدم لكانت ذاته العلية تقبل الوجود والعدم لانه لا تتصف الذات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بصفة حتى تكون قابلة لها لكن قبوله جل وعلا للعدم محال اذ لو قبله لكان هو والوجود بالنسبة الى ذاته سيين اذ قبول الذات لما تتصف به من الصفات لا يكون أبدا الا نفسيا لتلك الذات أي يجب لها ذلك القبول مادامت الذات غير معلل بعلة والدليل عليه أنه لو لم يكن القبول نفسيا للذات بل كان يطرأ عليها بعد أن لم يكن لتوقف طروه على الذات على قبولها اياه فيكون قبول هذا القبول صفة للذات طارئا أيضاً عليها فيحتاج في طروه على الذات الى قبولها أيضاً له فان كان القبول الاول لزم الدور وان كان غيره نقلنا الكلام اليه أيضاً ولزم التسلسل واذا ثبت أن القبول نفسي للذات لزم أن قبوله جل وعلا للعدم محال اذ لو قبله لكان هذا القبول صفة نفسية له سبحانه وتعالى فيكون ملازما لذاته ويلزم على ذلك أن العدم والوجود بالنسبة الي ذاته سيان فيصدق مفهوم الجائز حينئذ على ذاته سبحانه وتعالي لان الجائز ما يصح وجوده وعدمه فامكان لحوق العدم يستلزم صحة الوجود والعدم للذات العلية تبارك وتعالى فيكون جائز الوجود: وأما الاستثنائية وهي قولنا لكن كونه جائز الوجود محال فتقرير الدليل عليها أن تقول لو كان جائز الوجود لكان حادثا لكن كونه حادثا محال لما تقدم من وجوب قدمه فينتج أن كونه جائز الوجود محال ووجه الملازمة بين المقدم والتالى ما عرفت من استحالة ترجيح الوجود الجائز على العدم مقابله المساوى له في القبول من غير فاعل مرجح واذا استحال الترجيح بدون مرجح فما كان وجوده جائزا لابد أن يكون حادثا له محدث (فان قيل) لانسلم الملازمة لمذكورة لجواز أن يستند الجائز في وجوده لعلة قديمة فيكون قديما (فالجواب) أن تلك العلة اما أن تكون واجبة الوجود لذاتها أو لعلة أخرى والثانى باطل لانه يقال في العلة الاخرى ماقيل في الاولى الدور أو التسلسل وهما باطلان كما تقدم فتعين أنه لابد من الانتهاء الى واجب الوجود لذاته وحينئذ يستدل على بطلان تأثير غيره من العلل والطبائع بما يأتى في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الطبيعيات* والاسهل في ترتيب اللوازم كما تقدم أن تقول لو لم يكن واجب البقاء لأمكن أن يلحقه العدم ولو أمكن أن يلحقه العدم لكان جائز الوجود ولو كان جائز الوجود لكان حادثا ولو كان حادثا لانتفى عنه القدم لكن انتفاء القدم عنه محال لما تقدم من وجوبه له تعالى فما أدى اليه وهو كونه حادثا محال فما أدى اليه وهو كونه جائز الوجود محال فما أدى اليه وهو إمكان لحوق العدم له تعالي محال فما أدى اليه وهو عدم وجوب بقائه محال فثبت نقيضه وهو وجوب بقائه تعالى وهو المطلوب فبان لك بهذا البرهان أن وجوب القدم يستلزم أبدا وجوب البقاء وأن تجويز العدم اللاحق يوجب ثبوت العدم السابق فخرج لك بهذا البرهان قاعدة كلية وهي أن كل ما ثبت قدمه استحال عدمه لان القدم لا يكون الا واجبا للقديم وهذه القاعدة الكلية اتفق عليها كل العقلاء (وأورد) عليها عدمنا الازل فانه قديم ومع ذلك لم يستحل عليه العدم لانقطاعه بوجودنا فيما لا يزال (وأجيب) بأن هذه القاعدة انما هي في القديم الوجودي لانه هو الذي قام الدليل فيه

﴿المطلب الثالث في مخالفته تعالي للحوادث﴾

معنى مخالفته تعالي للحوادث أنه لا يماثله تعالى شيء منها مطلقا في الذات ولا في الصفات ولا في الافعال وكما أنه تعالي مخالف للحوادث التي هي الموجودات بعد العدم هو مخالف للمعدومات لانه تقدم أن من جملة صفاته تعالى الواجبة له الوجود وأن الوجود صفة نفسية ولا بد للمتماثلين من الاشتراك في جميع الصفات النفسية فاذا كان أحدهما موجودا والآخر معدوما انتفت المماثلة والمراد بالموجودات ما كانت موجودة خارجا أو ذهنا كالخواطر النفسانية فانها حادثة أي متجددة بعد عدم فالله تعالي كما هو مخالف للموجودات خارجا مخالف للموجودات في الذهن فقط كالخواطر المذكورة ولذلك قالت الصوفية كل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ماخطر ببالك فهو هالك والله سبحانه وتعالي بخلاف ذلك أي لانه لايخطر بالبال الا الاجرام وأعراضها وجميعها موجود بعد العدم وممعدوم بعد الوجود والمراد بالموجودات خارجاً ما كانت موجودة خارج الاعيان كالجواهر والاعراض أو خارج الاذهان كالمجردات عن الجرمية والعرضية بناء على قول الحكماء المثبتين لهذا القسم من العالم *وضد مخالفته تعالى للحوادث مماثلته تعالى لها والتقابل بين المخالفة والمماثلة من التقابل بين الشيء والمساوى لنقيضه لان نقيض المخالفة لا مخالفة وهو مساو للمماثلة (واعلم) أن أنواع المماثلة عشرة . الاول أن يكون جرما وهو ماملأ فراغا سواء كان مركبا أومفرداً بخلاف الجسم فانه يختص بالمركب . الثاني أن يكون عرضاً وهو ماقام بغيره من الصفات الحادثة فهو أخص من مطلق الصفة لانفرادها في الصفة القديمة. الثالث أن يكون في جهة بأن يكون عن يمين الجرم أوشماله أوفوقه أوتحته أوأمامه أوخلفه. الرابع أن يكون له هو جهة بأن يكون له يمين أوشمال أو أمام أوخلف أوفوق أو تحت. الخامس أن يكون في مكان والمكان عند أهل السنة الفراغ الذي يحل فيه الجرم فهو موهوم وعند الفلاسفة هو السطح الذي يماسه الجسم . السادس أن يكون في زمان بأن تدور عليه الافلاك أويكر عليه الجديدان الليل والنهار والمشهور أن الزمان هو حركة الفلك وقيل هو مقارنة متجدد موهوم كالسفر في قولك أسافر حين طلوع الشمس لمتجدد معلوم كطلوع الشمس في ذلك المثال وقال الامام الاشعري انه أمر موهوم كالمكان فهو أمر اعتباري لاوجود له لكن قد تجعل عليه علامات معلومة تتبدل باختلاف الاحوال كقولك أجيئك اذا صليت العصر أواذا جاء زيد وقد يعرف بعلاماته فيقال متجدد معلوم يقارنه متجدد موهوم ازالة للابهام واختار بعض المحققين أنه من مواقف العقول. السابع أن يتصف بالحوادث كأن يتصف بالاعراض اللازمة للأجرام كالحركة والسكون

والبياض

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والبياض والسواد أو يتصف بالقدرة الحادثة والارادة الحادثة والعلم الحادث الي غير ذلك. الثامن أن يتصف بالصغر أى قلة الاجزاء. التاسع أن يتصف بالكبر أي كثرة الاجزاء ويلزم الاتصاف بالصغر أو الكبر الاتصاف بالقصر أو الطول والعرض ونحو ذلك وأما طول العمر أو قصره فيلازمان الحلول فى الزمان. العاشر أن يتصف بالاغراض في الافعال كايجاد زيد وعمرو مثلا والاحكام كايجاب الصلاة والزكاة * وتقرير البرهان على مخالفته تعالي للحوادث أن تقول لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها لكن كونه مماثلا لها محال ينتج أن عدم مخالفته للحوادث محال فيثبت نقيضه وهو مخالفته للحوادث وهو المطلوب ووجه الملازمة بين المقدم والتالى ظاهر * وأما الاستثنائية وهى قولنا لكن كونه مماثلا لها محال فتحتاج الى دليل وتقريره أن تقول لو ماثل شيأ من الحوادث لكان حادثا لكن كونه حادثا محال لما تقدم من وجوب قدمه تعالى ينتج أن كونه مماثلا لشيء من الحوادث محال ووجه الملازمة بين المقدم والتالى ماتقدم من أن المثلين يجب استواؤهما فى جميع الصفات النفسية واذا كان كذلك فالعالم كله منحصر في الاجرام والاعراض ولا شك أن من صفات نفس الجرم قبوله للاعراض الحادثة من حركة وسكون وألوان ونحو ذلك فيكون حادثا كما تقدم توضيحه وأما العرض فمن صفة نفسه قيامه بالجرم فلو ماثل تعالى شيأ من الاجرام أو الاعراض لزم مساواته لها في صفاتها النفسية ويلزم على ذلك أن يكون حادثا وهو محال لما تقدم من وجوب قدمه تعالى وأن يكون قائما بالغير وهو محال أيضاً لما يأتي من وجوب قيامه تعالي بنفسه وبالجملة فالوجود الجائز صفة نفسية لجميع الاجرام والاعراض وهو تعالي متصف بالوجود الواجب أى الذى لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم فيستحيل أن يماثل شيأ من الحوادث وهو مخالف لها بصفته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النفسية والا لزم أن يكون مثلا غير مثل وهو تهافت لا يعقل كما تقدم واذا استحال مماثلته تعالى للاجرام والاعراض استحال أن يكون فى جهة أوله هو جهة لان الجهات الست من عوارض الجسم ففوق من عوارض عضو الرأس وتحت من عوارض عضو الرجل ويمين من عوارض العضو الايمن وشمال من عوارض العضو الايسر وأمام من عوارض البطن وخلف من عوارض الظهر ومن استحال عليه أن يكون جرما استحال عليه أن يتصف بهذه الاعضاء ولوازمها وكذا يستحيل عليه تعالى أن يكون فى مكان أو زمان لأن الحلول فى المكان من لوازم الجرم والحلول فى الزمان من لوازم الجرم والعرض وكذا يستحيل عليه تعالى أن يتصف بالصغر أو الكبر أى بكثرة الاجزاء أو قلتها فان ذلك من لوازم الجرم وكذا يستحيل عليه تعالى أن يتصف بالصفات الحادثة كالقدرة الحادثة والارادة الحادثة ونحوهما لان الذى دل على وجوب اتصافه تعالى بالقدرة والارادة ونحوهما هو فعله الاختيارى كما سيأتى توضيحه فلو قدر الحدوث لتلك الصفات لكانت من جملة الافعال الحادثة فيجب أن يتصف فاعلها بأمثالها ليتمكن بها من ايجادها ثم ننقل الكلام الى تلك الصفات الاخرى فان قدر لها الحدوث أيضاً لزم اتصاف فاعلها بأمثالها ليتمكن بها من ايجادها ولزم الدور ان كانت هذه الصفات هى الاولى أو التسلسل ان كانت غيرها فاذن لا يمكن صدور الافعال عنه تعالى مع كون تلك الصفات يحقه حادثة وأما ما لا يدل فعله تعالى على وجوب اتصافه به من الصفات كالسمع والبصر فالمرجع فيه الى السمع كما تقدم وحيث دل السمع على وجوب اتصافه تعالى بتلك الصفات وعلى وجوب تنزهه عن أضدادها علمنا أنها لو كانت حادثة لكان متصفاً بأضدادها قبل اتصافه بها وأنه لو اتصف باضدادها لكان ذلك نقصا فى حقه تعالى والنقص عليه تعالى محال كما يأتى وكذا يستحيل اتصافه تعالى بالاغراض فى أفعاله وأحكامه لان

الغرض

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الغرض هو المصلحة المترتبة على الفعل بحيث تكون علة باعثة عليه كالماء المترتب على حفر البئر اذ لولاه ماحصل حفر فالغرض هو الذي يبعث على الفعل وهو محال في حقه تعالى سواء كان الغرض راجعا اليه أو الى خلقه* أما وجه الاستحالة في الغرض الراجع اليه فلانه ان كان ذلك الغرض قديما وجب قدم العالم ولزم الفعل بالايجاب وجاء مذهب الفلاسفة وذلك باطل لما تقدم في برهان الوجود ولما يأتي في الطبيعيات وان كان ذلك الغرض حادثا افتقر الى علة أخرى ولزم التسلسل وأيضاً يلزم نقصه تعالى وحاجته قبل ايجاده أفعاله التي حصلت له غرضه ولزم اتصافه بالحوادث لتجدد الكمالات له حينئذ بواسطة خلقه وذلك كله مفض الى حدوثه ويتعالى عن ذلك من لا أول لوجوده الغني الذي يفتقر اليه كل شيء ولا يفتقر هو الى شيء وأما وجه الاستحالة في الغرض الراجع الى خلقه فانه يتصرف في ملكه على مقتضى علمه وحكمته وافق غرض العباد أو لم يوافق غرضهم لان المالك يتصرف في ملكه كيف يشاء كما سيأتي توضيحه في المبحث الاول من المقصد الثالث (واعلم) أن أفعاله تعالى وأحكامه وان كانت منزهة عن الغرض لكن لا تخلو عن حكمة وان لم تصل اليها عقولنا لانها لو لم تكن لحكمة لكانت عبثا وهو محال عليه تعالى والفرق بين الغرض والحكمة أن الغرض يكون علة للفاعل باعثة له على الفعل والحكمة لا تكون كذلك (واعلم) أن الاستدلال على مخالفته تعالى للحوادث بالقياس الاقتراني ينتظم من الشكل الثاني فنقول الله جل وعلا ليس بحادث وكل متصف بواحد من تلك الامور المذكورة فهو حادث فينتج الله جل وعلا ليس بمتصف بواحد من تلك الامور المذكورة هذا ان أتيت بالدليل مجملا لجميعها وان فصلته لكل واحد قلت في الاول وهو استحالة أن يكون تعالى جرما الله جل وعلا ليس بحادث وكل جرم فهو حادث فينتج الله جل وعلا ليس بجرم ثم امض على ذلك الى آخرها وعلى تقدير أن في العالم ما ليس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بجرم ولاعرض وهو المجردات بناء على قول الفلاسفة المثبتين لهذا القسم من العالم نقول ان حدوث الاجرام والاعراض قد علم من الدليل العقلي وحدوث هذا القسم يؤخذ من الدليل السمعي ولا يقال ان فيه دورا لاننا انما استدللنا بالسمع على حدوث هذا القسم بعد الاستدلال بالاعراض والاجرام على ثبوت الباريء وعلى صدق الرسل فلما تقرر ثبوت الباريء وصدق الرسل استدللنا على حدوث المجردات بالسمع وذكر العلامة السنوسي في شرح الوسطى مانصه والدليل على حدوث هذا الزائد على تقدير وجوده أنه يستحيل أن يكون الها لما يأتي من برهان وجوب الوحدانية له تعالى واذا لم يكن الها فقد دلت السنة والاجماع على انفراد مولانا بالقدم وأن كل ماسواه حادث وثبوت هذا الزائد لا يتوقف ثبوت الشرع على معرفته فلا يمتنع الاستدلال بأدلة الشرع عليه انتهى * ومن الادلة الشرعية الدالة على أن كل ماسواه تعالى حادث ماورد في القرآن والسنة مما يدل على أنه تعالى هو الاول والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر وانه خالق كل شيء وكان الله ولا شيء معه وأحاديث أول ماخلق الله متواترة (واعلم) أنه لا يمكن الحكم بوجود المجردات بمجرد التوهم والا لكنا نحكم بوجود جبال شاهقة بحضرتنا لا نراها وذلك سفسطة فاثبات هذا القسم وهو المجردات لا يمكن التوصل اليه بطريق الاستدلال العقلي الا على سبيل الظن ولذلك قال العلامة السعد في شرح العقائد النسفية ان أدلة وجود المجردات غير تامة على مابين في المطولات اه وعلى ذلك فلا يمكن الحكم فيها بشيء قطعي الا مقتضى اخبار الرسل الصادقين فيما يبلغون عن عالم الغيب والشهادة وقد أخبروا بوجود الملائكة والارواح والجن والشياطين فقال المتكلمون انها أجسام لطيفة وقال الحكماء الاسلاميون انها مجردة عن المادة الجسمانية ولواحقها وعلى كل حال فحدوثها ثابت بنص القرآن فمن ذلك قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فوصفهم بالعبودية والمخلوقية وهذا يدل على أنهم حادثون قطعاً وقوله تعالى قل الروح من أمر ربي فان كون الروح من أمر الله تعالى يدل على انها حادثة كما قال تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقوله كن فيكون وقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم فقد علمت أن كل ماسوى الله تعالى يلزمه الحدوث والافتقار الى المخصص والله جل وعز يجب له لوجود والغنى المطلق فيلزم اذا أن يكون تبارك وتعالى مبايناً لكل ما سواه أيا كان ذلك الغير جرماً أو عرضاً أو مجرداً عن الجرمية والعرضية فتركب قياساً من الشكل الثاني وتقول الباريء واجب لوجود والغني المطلق ولاشيء من الاجرام والاعراض والمجردات واجب الوجود والغنى المطلق ينتج الباريء سبحانه وتعالى ليس من الاجرام ولا من الاعراض ولا من لمجردات *واذا ثبت مخالفته تعالى لكل ماسواه من الحوادث كما قال تعالى ليس كمثله شيء فكل ماأوهم ظاهره من نصوص القرآن والحديث تشبيهه تعالى بشيء من الحوادث يجب القطع بأن ظاهره غير مراد ثم تفويض المعنى المراد منه الى الله تعالى كما هو طريق السلف أو تأويله بتعيين المعنى الخلص كما هو مختار الخلف من المتأخرين فالسلف ينزهونه سبحانه عما يوهمه ذلك الظاهر من المعنى المحال ويفوضون علم حقيقته على التفصيل اليه تعالى مع اعتقاد أن هذه النصوص من عنده سبحانه والخلف يؤولونه ويحملونه على خلاف ظاهره من المعاني المعينة الصحيحة فظهر مما قررنا اتفاق السلف والخلف على تنزيهه تعالى عن المعنى المحال الذي دل عليه ذلك الظاهر وعلى اخراجه عن ظاهره المحال وعلى الايمان بأنه من عند الله جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم لكنهم اختلفوا في تعيين محمل له معنى صحيح وعدم تعيينه بناء على الاختلاف في الوقف في قوله تعالى ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فعلماء السلف يقولون ان الوقف على قوله ومايعلم تأويله الا الله وجملة والراسخون الخ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

استئناف مقابل في المعنى لقوله فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وعلماء الخلف يقولون ان الوقف على قوله والراسخون في العلم أي انه معطوف على لفظ الجلالة وجملة يقولون حالية أو مستأنفة لبيان سبب التماس التأويل

﴿ المطلب الرابع في قيامه تعالي بنفسه ﴾

المراد بالقيام هنا الغني والمراد بالنفس الذات فمعنى قيامه تعالى بنفسه سلب افتقاره تعالي الي محل أي ذات سوي ذاته يوجد فيها كما توجد الصفة في الموصوف لان ذلك لا يكون الا للصفات وهو تعالى ذات موصوف بصفة وليس جل وعز بصفة والباء في قولنا بنفسه للسببية وفائدتها انما تظهر بالنسبة للمقابل فهو نظير ما سبق في وجوده لذاته والمعني أن قيامه وعدم افتقاره لذات سوى ذاته أمر حصل له من قبل ذاته لا من قبل غيره فليس غيره سبباً لقيامه عز وجل حتي يحتاج في قيامه وعدم افتقاره لذلك الغير وجعلها الشيخ الملوى بمعنى في فهي للظرفية المجازية فالمعنى غناه في نفسه ليس باعتبار شيء آخر كما يقال الدار في نفسها تساوي مائة أي لا باعتبار شيء آخر معها قال والقيام بالنفس يزيد على غيره من الصفات بنفي كونه تعالى صفة قديمة أي فلا يستغني عنه بالمخالفة للحوادث * وضد القيام بالنفس الاحتياج الى محل أي ذات يقوم بها فيستحيل عليه أن يكون صفة يقوم بذات لانه لو افتقر لذت لما كان أولى بالالوهية من الذات التى افتقر اليها فلو فرض أنهما الهان لزم تعدد الآلهة والتقابل بين القيام بالنفس والاحتياج الي المحل من التقابل بين الشيء والمساوى لنقيضه * وتقرير البرهان على قيامه تعالي بنفسه أن تقول لو لم يكن قائما بنفسه أى مستغنياً عن المحل لاحتاج الى محل لكنه لا يحتاج الى محل فينتج استغناءه عن المحل أى قيامه بنفسه والملازمة بين المقدم والتالي ظاهرة وأما

الاستثنائية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاستثنائية فدليلها أن تقول لو احتاج الى محل لكان صفة لكنه ليس صفة فينتج أنه لايحتاج الى محل ووجه الملازمة بين المقدم والتالى أنه لايحتاج الي محل أي ذات يقوم بها الا الصفة اذ الذات لاتحتاج الي ذات تقوم بها وأما الاستثنائية فيستدل عليها بقياس اقتراني من الشكل الاول وتقريره أن تقول الله متصف بصفات المعانى والمعنوية وكل من كان كذلك ليس بصفة فينتج الله تعالى ليس بصفة أما الصغرى فثابتة ببراهين صفات المعانى والمعنوية وأما الكبرى فدليلها هو أنه لو كان المتصف بصفات المعاني والمعنوية صفة للزم على ذلك قيام المعنى بالمعنى وهو باطل فبطل ما أدى اليه وهو كون المتصف بصفات المعاني والمعنوية صفة ووجه بطلان قيام المعنى بالمعني أن يقال لو قام المعنى بالمعنى فلا يخلو اما أن يكون أحدهما ضدا للآخر أو مثله أو خلافه والاقسام الثلاثة باطلة أما الاول فلأن الضدين متنافيان لذاتهما فقيام أحدهما بالآخر يوجب له عكس حكمه وهو كون العلم جاهلا والقدرة عاجزة مثلا وهو محال وأما الثانى فلأن المعنى القائم بمثله يوجب للمعنى الآخر حكماً مثل ما يوجبه المعنى للذات القائم بها فيلزم كون العلم عالما والقدرة قادرة والبياض أبيض وهو باطل بالضرورة اذ من المعلوم أن حقيقة العالم غير حقيقة العلم والا لزم اتحاد الصفة والموصوف وهو لايعقل وفيه أيضاً التخصيص من غير مخصص لان المثلين متساويان فى الحقيقة وليس كون أحدهما محلا والآخر حالا أولي من العكس لانه لامرجح لجعل أحدهما محلا و لآخر حالا دون العكس وأما الثالث فلأن قيام المعنى بخلافه الذى ليس ضد يلزم عليه عموم الجواز في كل مخالف فيقوم السواد بالحركة والعلم بالبياض - غير ذلك مما هو بديهي البطلان وأيضاً نسبة المختلفات غير المتضادة نسبة واحدة فلا اختصاص لبعضها بشيء عن البعض الآخر فلا وجه لجعل بعضها محلا والآخر حالا دون العكس واذا تبين بطلان قيام المعني

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالمعني لزم بطلان قيام حكمه وهو المعنوية لأن المعنوية لازمة لصفات المعاني فيلزم من قيام الكون قادرا مثلا بالعلم قيام القدرة فيعود المحذور وهو قيام المعنى بالمعنى والا كذلك الصفة النفسية فانها ملازمة للذات لا لصفة معنى فلا يلزم من قيامها بالصفة ماذكر كما لا يلزم ذلك من اتصاف المعنى بالصفات السلبية فالقدرة مثلا تتصف بالقدم وغيره من صفات السلوب وبالوجود * واذا علمت وجوب قيامه تعالى بنفسه علمت استحالة حلوله تعالي بجسم من الاجسام أو اتحاده به كما يدعيه بعض الفرق الضالة قال الاستاذ السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله اذا نظرنا فيما بين أيدينا من الاديان وجدنا دين الاسلام قد أقيم على أساس من الحكمة متين ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين ذلك أن عروج الامم على معارج الحق الاعلى وتدرج الشعوب في مدارج العلم الاجلى وصعود الاجيال على مراقى الفضائل وإشراف طوائف الانسان على دقائق الحقائق ونيلهم السعادة الحقيقية فى الدارين كل ذلك مشروط بأمور لا يتم الا بها * الاول صفاء العقول من كدر الخرافات وصدإ الاوهام فان عقيدة وهمية لو تدنس بها العقل لقامت حجابا كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع ويمنعه من كشف نفس الامر بل ان خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يخرق وفوق ذلك ماتجلبه الاوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة والخوف مما لا يخيف والفزع مما لا يفزع ترى الواهم المسكين يقضى حياته بين رجفة واضطراب يتطير من طيران الطيور وحركات البهائم ويسلك به الوهم طرق الخيفة مما لا أثر له فى الاخافة وبهذا يسجل عليه الحرمان من أغلب أسباب السعادة ثم يكون ألعوبة فى أيدي المحتالين وصيدا في حبائل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الماكرين والدجالين . وأول ركن بني عليه الدين الاسلامي صقل العقول بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الاوهام فمن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله متفرد بتصريف الأكوان متوحد في خلق الفواعل والافعال وأن من الواجب طرح كل ظن في انسان أو جماد علويا كان أو سفليا بأن له في الكون أثرا بنفع أو ضر أو اعطاء أو منع أو إعزاز أو إذلال . ومن المفروض خلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه ظهر أو يظهر بلباس البشر أو حيوان آخر لصلاح أو فساد أو ان تلك الذات المقدسة نالت في بعض الاطوار شديد الآلام وأليم الاسقام لمصلحة أحد من الخلق فضلا عما يحف بذلك من خرافات كل واحدة منها كافية في اعماء العقول وطمس نورها وأغلب الاديان الموجودة لايخلو من هذه الاوهام إن شئت فاضرب بنظرك الى ديانة برهما في الهند ودين بوذه في الصين ودين زرادشت (في بقايا الفارسيين) وكثير من أديان أخر * ثم عد الاستاذ من الأمور التي لاتتم السعادة الحقيقية إلا بها أن تكون عقائد الامة وهي أول رقم ينقش في ألواح نفوسها مبنية على البراهين القويمة والأدلة الصحيحة وأن تتحامى عقولهم مطالعة الظنون في عقائدها وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها فان معتقدا لاحت العقيدة في مخيلته بالادليل ولا حجة قد لايكون موقنا فلا يكون مؤمنا هذا والآخذ في عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة الظنون والقانع بأن آباءه كانوا على متن عقيدته فأولى به أن يكون عليها يلتقي مع سابقه في مضارب الوهم ومجاج الظن وأولئك المتبعون للظن القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عند ماتعودت ادراكه فلا يذهبون مذاهب الفكر ولا يسلكون طرائق النظر واذا استمر بهم ذلك تغشتهم الغباوة بالتدريج ثم تكاثفت عليهم البلادة حتى تعطل عقولهم عن أداء وظائفها العقلية بالمرة فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر فيحيط بهم الشقاء ويتعثر بهم البخت وبئس المآل مآلهم فان كان لابد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من الاستئناس لما نقول بقول أوربي فهذا (كيزو) الفرنساوي صاحب تاريخ (سيفليزاسيون) أي التمدن الاوربي قال ان من أشد الاسباب أثرا في سوق أوربا الى تمدنها ظهور طائفة في تلك البلاد قالت ان لنا حقا في البحث عن أصول عقائدنا وطلب البرهان عليها ولو كان ديننا هو الدين المسيحي وعارضها كثير من رؤساء الدين ومنعوها ماادعت من الحق محتجين عليها بأن بناء الدين على التقليد فلما أخذت تلك الطائفة قوتها وانتشرت أفكارها نصلت عقول الاوربيين من علة الغباوة والبلادة ثم تحركت في مداراتها الفكرية وترددت في المجالات العلمية وكدحت لاستحصال أسباب المدنية انتهى *ان الدين الاسلامي يكاد يكون متفردا من بين الاديان بتقريع المعتقدين بلادليل وتوبيخ المتبعين للظنون وتبكيت الحابطين في عشواء العماية والقدح في سيرتهم . هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم وكلما خاطب خاطب العقل وكلما حاكم حاكم الى العقل تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة واهمال العقل وانطفاء نور البصيرة ويرفع أركان الحجة لاصول من العقائد كل منها ينفع العامة ويفيد الخاصة وكلما جاء بحكم شرعي أتبعه ببيان الغاية منه في الاغلب (راجع القرآن الشريف) وقلما يوجد من الاديان ما يساويه أو يقاربه في هذه المزية وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة ومن الاديان الظاهرة ما بني أعظم أركانه على أصل الكثرة في الواحد أو الوحدة في الكثير وأن الواحد يكون أكثر والكثير يكون واحدا مما تنبذه بداهة العقل فلما أنكر العقل أصل هذا أجمع أهل الدين على أنه فوق نظر العقل فلا ينال الفكر دركه لا بالكنه ولا بالوجه ولا يهتدى لدليل عليه ولا مرشد اليه يريدون أنه لابد من تنكب طريق العقل ونبذ أحكامه حتى يمكن الايمان بهذا الاصل مع أن العقل مشرق الايمان فمن تحول عنه فقد دابر الايمان وان فرقا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بين مالا يصل العقل الى كنهه لكنه يعرفه بأثره وبين مايحكم العقل باستحالته فالاول معروف عند العقل يقر بوجوده ويقف دون سرادقات عزته. أما الثاني فمطروح من نظره ساقط من اعتباره لا يتعلق به عقد من عقوده فكيف يصدق به وهو قاطع بعدمه اهـ وبيان ماأشار اليه هو أنهم قالوا الاله جوهر مركب من ثلاثة أقانيم أقنوم الوجود ويعبرون عنه بالاب وأقنوم العلم ويعبرون عنه بالابن وأقنوم الحياة ويعبرون عنه بروح القدس قالوا ومجموع الثلاثة اله واحد ثم قالوا اتحد اللاهوت بالناسوت ويعنون بالجوهر القائم بنفسه وبالاقانيم الصفات لان الاقنوم كلمة يونانية والمراد بها في تلك اللغة أصل الشيء ومرادهم الاصل الذي كانت منه حقيقة الههم وهو تلك الصفات ومرادهم باللاهوت العلم وبالناسوت جسد عيسي عليه السلام فمعني قولهم اتحد اللاهوت بالناسوت أن أقنوم العلم اتحد بجسد عيسي عليه السلام فهل يتصور أن يصير مجموع الثلاثة إلها واحدا وكيف يتصور الجمع بين نقيضين وحدة وكثرة وأن الذات التي هي جوهر عندهم صارت تتركب من مجموع الصفات التي هي أعراض وقد طولبوا بدليل الحصر في الثلاثة أقانيم المذكورة فقالوا إن الخلق والابداع لا يتأتى الا بها فقيل لهم والارادة والقدرة لا يتأتى الخلق الا بهما فاجعلوا الاقانيم خمسة * وقولهم ان أقنوم العلم الذي هو جزء الاله عندهم اتحد بجسد عيسى عليه السلام باطل اذ حقيقة الاتحاد أن يصير الشيء بعينه شيأ آخر وهو محال مطلقا في القديم والحادث وبرهانه أن أحد الشيئين اذا اتحد بالآخر فان بقيا على حالهما فهما اثنان لا واحد فلا اتحاد وان عدما كان الموجود غيرهما وان عدم أحدهما وبقي الآخر امتنع الاتحاد لان المعدوم لا يكون عين الموجود وبالجملة فقد قالوا الحكم بالاتحاد بالمعنى المذكور بديهي البطلان وربما ينبه عليه للاذهان القاصرة بهذا التنبيه وحينئذ اختلفوا في معنى الاتحاد فمنهم من قال ان الاتحاد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المذكور يرجع الى قيام أقنوم العلم بجسد عيسي كما يقوم العرض بالجوهر وهذا يوجب مفارقة أقنوم العلم لذات الجوهر الذي هو مجموع الاقانيم الثلاثة عندهم ضرورة أن المعنى الواحد لا يقوم بذاتين فيكون الباقي بعض اله لا إلها وعيسي أيضاً قام به بعض الاله فلا يكون الها فقد لزم على مذهبهم عدم الاله وفيه أيضاً القول بانتفاء المعنى وهو محال على الصفات العرضية فكيف بالصفات النفسية أي التي هي نفس الذات عندهم وأيضا فاختصاص الاتحاد باقنوم العلم دون أقنوم الحياة بل ودون الجوهر نفسه يحتاج الى مخصص وأيضا فالاتحاد ان كان واجباً لا يتصور عدمه لزم قدم الناسوت وان كان جائزا افتقر الى مخصص ويلزم منه جواز زواله فتكون ألوهية عيسي جائزة وذلك يفضي الي مثله في واجب الوجود وهو محال وأيضا الاتحاد اما أن يكون وصف كمال فيجب للذات الازلية أزلا وان كان صفة ذم فقد وصفوه بالنقائص وأيضاً يطالبون بتخصيص ناسوت عيسي بهذا الاتحاد دون غيره فان قالوا وجه الاختصاص ماظهر على يديه من احياء الموتى ونحوه ورد عليهم ماظهر على يد موسي عليه السلام من احياء العصا ثعبانا ونحوه بل ويلزمهم أن يجوزوا اتحاد أقنوم العلم بكل حادث حتى الخنافس والحشرات لان قصارى ما انعدم منها على أصلهم دليل الاتحاد وباجماع أرباب العقول أن الدليل يلزم طرده لا عكسه فلا يلزم اذاً من عدم دليل الاتحاد في هذه الحوادث عدم المدلول الذي هو اتحاد أقنوم العلم بها وكيف يليق بعاقل أن يتخذ مذهباً يفضي الى تجويز أن تكون الخنفساء والجعل وغيرهما آلهة ومنهم من فسر هذا الاتحاد بالاختلاط والمزج كاختلاط الخمر والماء ونحوهما من المائعات وجميع ماورد على الاول يرد على هذا ويزيد بأن الاختلاط من أحكام الاجسام فكيف يعقل في العلم الذي هو خاصية الذات الازلية . قال المقترح وسمعت من بعضهم عند المباحثة يقول نسبته كنسبة أضواء الشمس من الشمس فهي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مشرقة علينا ولم تفارق الشمس ولم يعلموا أن أضواء الشمس أجسام مضيئة كثيرة بعضها يتصل بما أشرق عليه وبعضها يتصل بغيره وأين هذا من الخاصية المتحدة وان قيل ان أضواء الشمس أعراض قلنا تقدم وجوب مخالفته تعالى لجميع الحوادث ومنهم من فسره بالانطباع كانطباع صورة النقش في الشمع وهذا باطل لان نفس النقش لم يحصل فيما طبع فيه وانما حصل فيه مثاله فنبين أن المذهب غير معقول وان قالوا الاتحاد المذكور هو كاتحاد النفس الانسانية بصورتها الجسمانية قلنا ان الذي حققه العقلاء في مسألة النفوس كما سيأتي في المقدار أنها اما أن تكون أجساما لطيفة تشتبك بالاجسام اشتباك الماء بالعود الاخضر واما أن تكون جواهر مجردة لا تحل بالاجسام بل تتعلق بها تعلق التدبير والتصرف فاذا أرادوا هذا قلنا ان الله سبحانه وتعالى تتعلق صفاته الازلية بجميع الكائنات تعلق الايجاد والتخصيص والانكشاف وحينئذ فما الذي اختص به عيسى عليه السلام ورتبة النبوة * فان قالوا ان الذي اختص به هو أن صفة العلم هي نفسه التي بها تحققت حقيقته الانسانية * قلنا ان جميع ما ورد على الوجه الاول يرد على هذا أيضاً ويزيد هذا بأنه يلزم لحوق العوارض النفسانية لتلك النفس من الجوع والعطش والشبع والري واللذة والالم والفرح والحزن ونحو ذلك من عوارض النفوس البشرية ويلزم على ذلك حدوث الاله وهو مستحيل كما تقدم في مبحث القدم * وقد قالوا ان عيسى صلب فقيل لهم كيف يصلب الاله فقالوا انما صلب الناسوت فقيل لهم كيف ينفرد بالصلب الناسوت دون اللاهوت وقد اتحدا ثم قد ورد في الانجيل الذي بأيديهم ما يشير الى تعبد المسيح وخضوعه وخشوعه للرب سبحانه وتعالى والتزامه أحكام العبيد من التذلل وطلب الجزاء من الله تعالى حتى قال أنا ماض الى أبي وأبيكم والهي والهكم فان كانوا يتمسكون بلفظ أبي فقد قال وأبيكم فبالمعنى الذي أثبت لهم من التربية واللطف يثبت له به وقوله والهي تصريح باثبات الوهية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لغيره . وهذه نبذة يسيرة قد اقتضت المناسبة ايرادها هنا واذا أردنا هنا بسط الكلام في هذا المقام طال بنا الشرح فانه مما أفرد بالتآليف الكثيرة ولعلنا نعود الي هذا الموضوع في فرصة أخرى

المطلب الخامس في الوحدانية

المراد بالوحدانية هنا وحدة الذات والصفات بمعنى عدم النظير فيهما أي نفي نظيره تعالى في الالوهيه وفي معنى نفي النظير له تعالي في الالوهية نفي شريك معه في جميع الممكنات فلا مؤثر في جميعها سواه ويدخل في ذلك نفي تأثير القوى الاختيارية والطبيعية في شيء من الكائنات ذاتا كان أو صفة وسأتي الكلام على هذا ان شاء الله تعالي في المقصد الثالث . وأما وحدة الذات بمعنى عدم التركب من أجزاء فيؤخذ من المخالفة للحوادث اذ لو كانت ذاته تعالي مركبة من أجزاء لكان مماثلا للحوادث من حيث التركيب فيحتاج الى مركب ويكون حادثا وهو محال لما تقدم من وجوب القدم له تعالي *وضد الوحدانية التعدد بمعنى وجود نظير له تعالي في الذات أو الصفات أو وجود مؤثر مستقل في شيء من الافعال فالتقابل بين الوحدانية والتعدد من التقابل بين الشيء المساوي لنقيضه اذ نقيض الوحدانية لا وحدانية وهو مساو للتعدد الذي المدعى وتقرير البرهان على وحدانيته تعالى أن تقول لو لم يكن واحدا لكان هناك تعدد في الآلهة لكن حصول التعدد في الآلهة باطل فبطل ما أدي اليه وهو عدم كونه تعالي واحدا فثبت نقيضه وهو وحدانيته تعالى وهو المطلوب أما الملازمة بين المقدم والتالي فظاهرة وأما الاستثنائية فدليلها هو أنه لو كان هناك الهان مثلا فاما أن يختلفا واما أن يتفقا فان اختلفا بأن أراد أحدهما وجود شيء والآخر عدمه أو اراد أحدهما حركته والآخر سكونه فاما أن ينفذ

مرادهما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مرادهما فيلزم اجتماع النقيضين أو ما في حكمهما فيكون الجوهر في الزمان الواحد موجودا معدوماً أو متحركا ساكنا وذلك لا يعقل. واما أن لا ينفذ مراد واحد منهما فيلزم عجزهما ويلزم أيضا عليه ارتفاع النقيضين وأيضاً فان امتناع وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا لوجدا معا وذلك محال واما أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر فيلزم عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله فيلزم عجزه ايضاً لانه يجب لاحد المثلين ما وجب للآخر ويحكي عن ابن رشد أنه قال اذا نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان الذي نفذ مراده هو الاله وتم دليل الوحدانية. وان اتفقا فاما أن يتفقا على ايجاد الشيء معاً بأن يكون كل جزء فرد من اجزائه واقعاً بقدرتهما معاً فيلزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهو باطل لما يلزم عليه من كون الأثر الواحد أثرين وذلك لا يعقل اذ الوحدة تنافي الكثرة ألا ترى أن الخط الذي لا عرض له يستحيل أن يرسم بقلمين. واما أن يتفقا على الايجاد مرتبا بأن يوجد أحدهما الشيء ثم يوجده الآخر فيلزم تحصيل الحاصل وهو باطل. واما أن يتفقا على ايجاد أحدهما البعض والآخر البعض وهذا وهم باطل قال تعالى أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار وقال تعالى هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين * وقد ذكر المتكلمون في ابطال هذا الوجه وجوها عديدة نقتصر منها هنا على وجهين (الأول) انه اذا أوجد أحدهما البعض فاما أن يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول قد زال قدرته الذي لانه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به وهي مخالفته فيكون عاجزاً مقهوراً تحت تصرفه فلا يكون الها فاذ[illegible]

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أوجد مقدوره فقد زالت قدرته عنه فيلزمكم العجز (قلنا) الواحد اذا أوجده فقد نفذت قدرته فنفاذ القدرة لا يكون عجزا أما الشريك فانه لما نفذت قدرته لم يبق لشريكه قدرة ألبتة بل زالت قدرته بسبب قدرة الاول فيكون تعجيزا {الثاني} أن اختصاص أحد الالهين بنوع دون نظيره يلزم فيه التخصيص من غير مخصص اذ ليس اختصاص أحدهما بنوع أولى من اختصاص الآخر به فان فرض أن هناك مخصصا لهما بما اختصا به لزم أنه حاكم عليهما وأنهما حادثان (فان قيل) يمكن أن يكون التخصيص باختيارهما. قلنا ان الفاعل بالاختيار هو الذي يتأتى منه الفعل والترك فلو كان التخصيص باختيارهما لتأتى من كل واحد منهما تركه بأن يتصرف في مقدور الآخر ومراده وهو غير ممكن {واعلم} أن تجويز الاتفاق انما هو بادئ الرأي وعند التأمل لا يصلح صلح بين الهين ولا بد من حصول الاختلاف بينهما فلا يوجد شئ من العالم كما قررنا ولهذا قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أي لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم توجدا فالا اسم بمعنى غير والمراد بالفساد عدم الوجود على الراجح وقيل المراد به الخراب والخروج عن هذا النظام لما تقرر عادة من فساد المملكة عند تعدد الملوك فأولى عند تعدد الآلهة اذ مرتبة الالوهية تقتضي الغلبة المطلقة كما يشير له قوله تعالى وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض أي لو كان معه آلهة كما يزعمون لانفرد كل واحد منهم بخلقه الذى خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزاً عن ملك الآخر ولوقع بينهم التغالب كما ترون حال ملوك الدنيا مما لكهم متمايزة وهم متغالبون وحيث لم تروا أثر التمايز في الممالك والتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ * وقد ذكر المتكلمون أدلة على وحدانيته تعالى غير ماذكر {منها} أنا لو قدرنا الهين مثلا لوجب أن يكون كل واحد منهما مشاركا للآخر في الالوهية ولا بد وأن يتميز كل واحد منهما عن

الآخر

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآخر بأمر ما والا لما حصل التعدد فما به الممايزة اما أن يكون صفة كمال أولا يكون فان كان صفة كمال فالخالى عنه يكون خاليا عن الكمال فيكون ناقصاً والناقص لا يكون إلهاً وان لم يكن صفة كمال فالموصوف به يكون موصوفا بما لا يكون صفة كمال فيكون ناقصاً *ويمكن أن يقال ما به الممايزة ان كان معتبراً في تحقق الالهية فالخالي عنه لا يكون الها وان لم يكن معتبراً فى الالهية لم يكن الاتصاف به واجباً فيفتقر الي المخصص فالموصوف به مفتقر ومحتاج (ومنها) أن أحد الالهين إما أن يكون كافياً في ايجاد العالم وتدبيره أولا يكون فان كان كافيا كان الثانى ضائما غير محتاج اليه ويلزم عدم وجوب الوجود له لان وجوب الوجود انما يثبت للاله من حيث توقف وجود الحوادث عليه لئلا يلزم التسلسل أو الدور عند تقدير جواز وجوده كما تقدم فى برهان القدم والبقاء فاذا قدر أن ثم الها لا تتوقف الحوادث عليه لم يتحقق وجوب وجود له اذ على تقدير عدمه تستغني الحوادث عنه بصاحبه والاله متحقق وجوب وجوده فتركب قياسا اقترانيا من الشكل الثاني وتقول الاله متحقق وجوب وجوده وكل من يستغني وجود الحوادث عنه ليس متحققا وجوب وجوده ينتج الاله ليس يستغني وجود الحوادث عنه فتعكس النتيجة الي قولك الذى يستغنى وجود الحوادث عنه ليس هو الاله وان لم يكن أحد الالهين كافياً فى ايجاد العالم وتدبيره بل لا يوجد الا بهما فوجودهما معاً واجب لزم أن يكون كل واحد منهما جزء الاله لا الها لئلا يلزم اجتماع المؤثرين على أثر واحد واذا كان كل واحد منهما جزء الاله لزم أن يقوم بكل واحد منهما جزء العلم وجزء القدرة وجزء الارادة الى غير ذلك مما لا يقول به عاقل لما يترتب عليه من جواز قيام العرض الواحد بمحلين منفصلين وهو محال بالضرورة واذا كان تركيب الاله من جزءين متصلين محالا فما بالك بتركيبه من جزءين منفصلين (ومنها) أن العقل يقتضي احتياج الحادث الى المحدث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الواجب الوجود ولا يتحقق الوجود دون ذات واحدة فأماماوراءذلك فليس عدد أولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود أعداد لانهاية لها وذلك محال فالقول بتعدد الاله محال (ومنها) أن الشركة عيب ونقص فى الشاهد والفردانية والتوحد صفة كمال ونرى الملوك يكرهون الشركة فى الملك الحقير المختصر أشد الكراهية ونري أنه كلما كان الملك أعظم كانت النفرة عن الشركة أشد فما ظنك بملك الله عزوجل وملكوته فلو أراد أحدهما استخلاص الملك لنفسه فان قدر عليه كان المغلوب فقيرا عاجزا فلا يكون الها وان لم يقدر عليه كان فى أشد النم والكراهية فلايكون الها (ومنها) أنا لو قدرنا الهين لكان اما أن يحتاج كل واحد منهما الى الآخر أو يستغني كل واحد منهماعن الآخر أويحتاج أحدهما الى الآخر والآخر يستغنى عنه فان كان الاول كان كل واحد منهما ناقصاً لأن المحتاج ناقص وان كان الثانى كان كل واحدمنهما مستغني عنه والمستغنى عنه ناقص ألا ترى أن البلد اذا كان له رئيس والناس يحصلون مصالح البلد من غير رجوع منهم اليه ومن غير التفات منهم اليه عد ذلك الرئيس ناقصاً فالاله هو الذى يستغني به ولا يستغنى عنه .وان احتاج أحدهما الي الآخر من غير عكس كان المحتاج ناقصاً والمحتاج اليه هو الاله وهذه الوجوه بعضها اقناعى والغرض من ذكره تكثير الأدلة لتقوية اليقين وقد قدمنا أنه يصح اثبات وحدانيته تعالى بالدليل السمعى *قال في المعالم واعلم أن العلم بصحة النبوة لايتوقف على العلم بكون اله واحدا فلا جرم أمكن اثبات الوحدانية بالدلائل السمعية واذا ثبت هذا فنقول الكتب الالهية أطبقت على التوحيد فوجب أن يكون التوحيد حقاً قال ابن التلمساني يعنى بالتوحيد اعتقاد الوحدة لله تعالى والاقرار بها وقوله الكتب الالهية يعني الكتب التى جاءت بها الرسل ولا شك في اشتمالها على ذلك قال الله تعالي واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من دون الرحمن آلهة يعبدون والمراد بسؤال الرسل سؤال أتباعهم العالمين بذلك الموثوق بنقلهم وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون فالاخبار من الرسل باثبات الوحدانية لله تعالى ثابت جزما

المبحث الرابع في صفات المعاني والمعنوية
(وفيه سبعة مطالب)

(المطلب الاول في المراد بالمعاني والمعنوية)

المراد بالمعاني هنا الصفات التي هي موجودة في نفسها سواء كانت حادثة كبياض الجرم مثلا وسواده أو قديمة كعلمه تعالى وقدرته فكل صفة موجودة في نفسها فانها تسمي في الاصطلاح صفة معنى وان كانت الصفة غير موجودة في نفسها فان كانت واجبة للذات مادامت الذات غير معللة بعلة سميت صفة نفسية أو حالا نفسية ومثالها التحيز للجرم وكونه قابلا للاعراض مثلا وان كانت الصفة غير موجودة في نفسها الا أنها معللة بعلة انما تجب للذات مادامت علتها قائمة بالذات سميت صفة معنوية أو حالا معنوية ومثالها كون الذات عالمة قادرة مثلا فكون الذات عالمة أو قادرة علته العلم والقدرة القائمان بالذات اللذان هما من صفات المعاني فقولهم صفة معنوية نسبة للمعاني التي هي عللها الان الاتصاف بها فرع الاتصاف بالمعاني فان اتصاف محل من المحال بكونه عالما أو قادرا مثلا لا يصح الا اذا قام به العلم والقدرة وقس على هذا فصارت صفات المعاني عللا للمعنوية أي ملزومة لها فمعني التعليل التلازم كما تقدم فان التلازم كما يعقل بين الممكنين من غير تأثير لاحدهما في الآخر كالجوهر والعرض يعقل بين الواجبين كحوارادة الله تلازم علمه وعلمه يلازم كلامه (واعلم) أن الصفات المعنوية السبع واجبة له تعالى اجماعا فلا خلاف بين المتكلمين والحكماء في كونه تعالى عالما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قادرا مريدا متكلما وهكذا في سائرها وانما الخلاف في المعنوية من حيث زيادتها على المعانى فمن قال بثبوت الحال قال معنى كونه عالماً مثلا صفة أخرى زائدة على العلم وهذه الصفة ليست موجودة بالاستقلال ولا معدومة عدما صرفا بل هى واسطة بين الموجود والمعدوم أى أنها لم تبلغ درجة الموجود ولم تنحط لدرجة المعدوم ومن قال بنفى الحال قال معنى كونه عالما هو قيام العلم به وليس هناك صفة أخرى زائدة على قيام العلم ثابتة فى خارج الذهن وهذه الطريقة هى الراجحة لان المختار عند المحققين أنه لا حال وأن الحال محال وعلى هذه الطريقة تكون الصفة المعنوية أمراً اعتباريا ثابتاً فى نفسه بقطع النظر عن اعتبار المعتبر وفرض الفارض كالامكان والحدوث وان كان ثبوتها أضعف من ثبوت الاحوال على القول بها فالاحوال صفة قارة فى الذات بخلاف الاعتبار الثابت فى نفس الامر فانه غير قار في الذات وهناك أمر اعتباري لا ثبوت له بنفسه بل انما يثبت باعتبار المعتبر فالامر الاعتبارى ينقسم قسمين * القسم الاول الامر الاعتبارى الانتزاعي كقيام زيد فهو أمر اعتباري انتزاعي لانه انتزاع من الهيئة الثابتة فى الخارج وهذا القسم له تحقق فى نفسه بقطع النظر عن اعتبار المعتبر وفرض الفارض وليس بصفة راسخة في الذات بخلاف الكون عالما على أنه حال فانه راسخ فى الذات *والقسم الثانى الامر الاعتباري الاختراعى كبحر من زئبق فهو أمر اعتباري اختراعي لانه اخترعه الشخص وهذا القسم لا تحقق له الا في الذهن ومثاله ايضاً أن تعتقد الكريم بخيلا فبخله لا ثبوت له الا باعتبار المعتبر

المطلب الثانى في القدرة

هى صفة وجودية قائمة بذاته تعالي يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه على

وفق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفق الارادة وهذا رسم لاحد حقيق وهكذا سائر التعاريف المذكورة للصفات فهي رسوم مفيدة لتميز بعضها عن بعض لا حدود بذاتياتها لان العقول محجوبة عن كنه ذاته وصفاته تعالي أى حقيقة ذلك فيتعذر حينئذ التعريف بالذاتيات وفى قولنا يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه اشارة الى تعلق القدرة الصلوحى القديم بضم الصاد ويقال له الصلاحي القديم بفتح الصاد وهو صلاحيتها في الازل للايجاد والاعدام فيما لا يزال لا إلي تعلقها التنجيزي الحادث وهو الايجاد والاعدام بالفعل لانها لا تتعلق تعلقا تنجيزيا حادثا بكل ممكن لان الممكنات التى لم تدخل فى الوجود لا تنحصر وأين التأثير فيها. وفى قولنا يتأتي بها اشارة الي أن التأثير حقيقة للذات واسناد التأثير للقدرة مجاز عقلي من باب الاسناد الي السبب والقرينة على هذا المجاز استحالة اسناد التأثير للقدرة على الحقيقة لانه اذا أسند التأثير للقدرة لزم أن يكون تأثيرها بقدرة أخري فيلزم عليه قيام القدرة بالقدرة وهو باطل لما فيه من قيام المعنى بالمعنى وأيضاً يلزم على تأثير القدرة بقدرة أخرى أن تحتاج هذه القدرة الى قدرة أيضاً لانها مثل الاولي وهكذا فيلزم التسلسل* وأما قول بعض العامة القدرة فعالة وانظر فعل القدرة أو نحو ذلك فحرام لما فيه من ايهام أنها المؤثرة بنفسها فان قصد ذلك كفر والعياذ بالله تعالى والمراد بالممكن فى قولنا يتأتى بها ايجاد كل ممكن ماهو مرادف للجائز العقلى وهو ماستوى طرفا وجوده وعدمه أي مالا يجب وجوده ولا عدمه أو مالا يمتنع وجوده ولا عدمه لذاته ولو وجب وجوده أو عدمه لغيره فدخل الواجب والمستحيل لغيره فالذي تعلق علمه تعالي بوجوده من الممكنات فهو وان كان ممكنا فى ذاته لكن وجب وجوده لغيره كايمان من علم الله ايمانه ومالا يتأتي ايجاده من الممكنات لكن لا بالنظر الى ذاته بل بالنظر الي غيره كممكن تعلق علم الله تعالي بعدم وقوعه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهو وان كان ممكنا فى ذاته لكن استحال وجوده لغيره وهو تعلق علم الله تعالي بعدم وجوده كايمان من علم الله عدم ايمانه كابى جهل لكن تعلق القدرة بالذي تعلق علم الله بعدم وجوده تعلق صلوحي لاتنجيزى والا لانقلب العلم جهلا وهو محال وبهذا جمع بين الخلاف فى كونه من متعلقات القدرة أوليس من متعلقات القدرة فحمل الاول على التعلق الصلوحي والثانى على التعلق التنجيزى *وعلم من ذلك أن للقدرة تعلقين أحدهما صلوحى قديم والآخر تنجيزى حادث والاول أعم من الثانى لان القدرة قبل وجودزيد مثلا صالحة لأن تتعلق بكونه أبيض أو أسود فصلاحيتها لكونها تؤثر فى البياض والسواد أى صحة تأثيرها في كل منهما تعلق صلوحى قديم وتعلقها بأحدهما معينا أى صدوره عنها بالفعل بدلا عن الآخر تنجيزي حادث قال العلامة الهدهدى ومعني التعلق طلب الصفة أمرا زائداً على قيامها بمحلها فالصفة تستلزم محلا أي ذاتا تقوم بها فان اقتضت أمرا زائداعلى ذلك سميت متعلقة كالقدرة التى تقتضي الممكنات بالايجاد والاعدام والارادة التى تقتضى الممكنات بتخصيصها ببعض ماجاز عليها الي آخرها الا الحياة فانها لاتطلب أمرا زائداً علي قيامها بمحلها فليست متعلقة بشيء اه قال العلامة الشرقاوى فى التعبير بالطلب تسمح اذ لاطلب فى الحقيقة فالمراد به الاستلزام والارتباط أى ارتباط الصفة بشيء فتعلق القدرة ارتباطها بالممكن من حيث التأثير فيه وتعلق العلم ارتباطه بالمعلوم من حيث انكشافه وهكذا اه وماذكرناه من أن القدرة لها تعلقان فقط هو علي سبيل الاجمال وأما علي سبيل التفصيل فلها سبع تعلقات. الاول الصلوحى القديم وهو صلاحيتها فى الازل للايجادوالاعدام فيما لايزال. والثانى كون الممكن فيما لايزال قبل وجوده في قبضة القدرة بمعنى أن الله تعالى ان شاء أبقاه علي عدمه وان شاء أوجده بها وهو من أقسام

تعلقات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تعلقات القبضة . والثالث ايجاد الله تعالى الشيء بها فيما لا يزال وهو من أقسام التعلق التنجيزى الحادث . والرابع كون الممكن حالة وجوده فى قبضة القدرة بمعنى أن الله تعالي ان شاء أبقاه علي وجوده وان شاء أعدمه بها وهو من أقسام تعلقات القبضة .والخامس اعدام الله الشيء بها وهو من أقسام التعلق التنجيزي الحادث ،والسادس كون الممكن حالة عدمه في قبضة القدرة بمعنى أن الله تعالي ان شاء أبقاه على عدمه وان شاء أوجده وهو من أقسام تعلقات القبضة . والسابع ايجاد الله الشيء بها حين البعث وهو من أقسام التعلق التنجيزي الحادث هذا وسكتوا عن تعلقها بالشيء بعد ذلك وهو كونه فى قبضة القدرة بمعني أن الله تعالى ان شاء أبقاه على وجوده وان شاء أعدمه بها بقطع النظر عن الادلة الشرعية الواردة فى ذلك فاذا ضم هذا التعلق الي السبعة السابقة كانت الجملة ثمانية وهذه التعلقات التفصيلية داخلة في التعلقين الاولين لكن بعد تجريد الصلوحى عن التقييد بالقديم فان تعلقات القبضة كلها من قبيل الصلوحى *ويخرج بقولنا كل ممكن الواجب لذاته والمستحيل لذاته فلا تتعلق القدرة بهما لانها لو تعلقت بالواجب لأثرت فيه الوجود فيلزم تحصيل الحاصل أو العدم فيلزم قلب الحقائق لان حقيقة الواجب مالا يقبل العدم ولو تعلقت بالمستحيل لأثرت فيه الوجود فيلزم قلب الحقائق لان حقيقة المستحيل مالا يقبل الوجود أو العدم فيلزم تحصيل الحاصل فهو بعكس ماقيل في الواجبات فلا قصور أصلا في عدم تعلق القدرة بالواجب والمستحيل بل لو تعلقت بهما لزم حينئذ القصور لانه يلزم على هذا التقدير الفاسد أن يجوز تعلقها بعدم نفسها بل وبعدم الذات العلية وباثبات الالوهية لمن لا يقبلها من الحوادث وسلبها عمن تجب له وهو مولانا جل وعز وأى نقص وفساد أعظم من هذا وبالجملة ذلك التقدير الفاسد يؤدي الى تخليط عظيم لا يبقى معه شيء من الايمان ولا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

شيء من العقليات أصلا ولخفاء هذا المعنى على بعض الاغبياء قال ان الله قادر أن يتخذ ولدا اذ لو لم يقدر عليه لكان عاجزا فانظر اختلال عقل هذا المبتدع كيف غفل عما يلزمه على هذه المقالة الشنيعة من اللوازم التي لا تدخل تحت وهم وكيف فاته أن العجز انما يكون لو كان القصور جاء من ناحية القدرة بأن كان الامر من متعلقات القدرة ولم تتعلق به وأما اذا كان عدم تعلقها بأمر لكونه ليس من متعلقاتها بأن كان يجب وجوده لذاته أو لا يقبل الوجود لذاته فلا يتوهم متوهم فضلا عن عاقل أن هذا عجز وقد أخذ هذا المبتدع وأشياعه ذلك بحسب فهمهم الركيك من قصة مشهورة وهي أن ادريس عليه السلام كان يخيط حلة وهو يقول في دخول الابرة وخروجها سبحان الله والحمد لله فجاءه ابليس في صورة انسان بقشرة بيضة وقيل بقشرة فستقة وقال هل الله يقدر أن يجعل الدنيا في هذه القشرة فقال الله قادر أن يجعل الدنيا في سم هذه الابرة أي خرقها ونخس احدي عينيه فصار أعور قال الامام أبو الحسن الاشعري ان أراد السائل أن الدنيا على ماهي عليه والقشرة على ماهي عليه فلم يقل ما يعقل فان الاجسام الكثيفة يستحيل أن تتداخل وتكون في حيز واحد وان أراد أنه يصغر الدنيا قدر القشرة ويجعلها فيها أو يكبر القشرة قدر الدنيا ويجعل الدنيا فيها فلعمري الله قادر على ذلك وعلى أكبر منه قال بعض المشايخ وانما لم يفصل ادريس عليه السلام الجواب هكذا لان السائل متعنت ولهذا عاقبه على هذا السؤال بنخس العين واختار نخس احدي عينيه ليطفيء نور بصره كما أراد أن يطفيء نور الايمان فان الجزاء من جنس العمل * وضد القدرة العجز فيستحيل عليه تعالى العجز عن أي ممكن من الممكنات والعجز صفة وجودية قائمة بالعاجز لا يتأتى معها ايجاد ولا اعدام فالتقابل بينه وبين القدرة من التقابل بين الضدين لانهما معنيان وجوديان وقيل العجز عدم القدرة عما من شأنه أن يكون قادراً وعلى هذا القول

فالتقابل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالتقابل بين القدرة والعجز من تقابل العدم والملكة والقول الاول مذهب الجمهور وهو التحقيق ووجهوه فى الشاهد أعنى الحادث بأن في الزمن معنى لايوجد فى الممنوع من القيام مع اشترا كهما في عدم التمكن منه * وتقرير البرهان على وجوب اتصافه تعالي بالقدرة أن تقول لولم يتصف بالقدرة لاتصف بضدها وهو العجز لكن اتصافه تعالي بضدها محال اذ لو اتصف بضدها لما وجد شيء من الحوادث لكن عدم وجود شيء من الحوادث محال فما أدى اليه على التدريج محال (فان قيل) هذه الملازمة ممنوعة لانه لايلزم من انتفاء القدرة عدم وجود شيء من الحوادث بل يجوز انتفاء القدرة وتوجد الحوادث لكون موجدها علة أو طبيعة كما يقول الطبائعيون ومن فى معناهم لعنهم الله تعالي (قلنا) ان القول بتأثير العلة والطبيعة باطل كما سيأتي إن شاء الله تعالي

(المطلب الثالث فى الارادة)

هى صفة وجودية قائمة بذاته تعالي تخصص الممكن ببعض مايجوز عليه من الممكنات المتقابلات الستة المنظومة في قول بعضهم

الممكنات المتقابلات * وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات * كذا المقادير روى الثقات

ومعنى كونها متقابلات أنها متنافيات فالوجود يقابل العدم وبالعكس فهما قسم أول وبعض الصفات يقابل بعضاً وهذا قسم ثان وهكذا *وفي قولنا تخصص الممكن اشارة الى تعلق الارادة التنجيزي القديم وهو تخصيص الشيء ببعض مايجوز عليه أزلا ولها تعلق صلوحي قديم وهو صلاحيتها أزلا لتخصيص الممكن بكل شيء مما يجوز عليه يعني بجميع المتقابلات الست على البدل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالارادة صالحة أزلا لتخصيص الممكن بالوجود فيما لا يزال بدلا عن العدم أو تخصيصه بالعدم فيما لا يزال بدلا عن الوجود و مع ذلك فقد خصصته بالفعل أزلا بالوجود أو العدم فيما لا يزال ومثل ذلك يقال في بقية الممكنات المتقابلات وهي الصفة المخصوصة كالبياض مثلا بدلا عن غيرها من الصفات والزمان المخصوص بدلا عن غيره من الازمنة والمكان المخصوص بدلا عن غيره من الامكنة والجهة المخصوصة بدلا من غيرها من الجهات والمقدار المخصوص كالطول مثلا بدلا عن غيره من المقادير فتلخص أن للارادة تعلقين فقط سلوحي قديم وتنجيزي قديم وبعضهم قال ان لها تعلقا تنجيزيا حادثا وهو تخصيص الشيء ببعض مايجوز عليه حين ايجاده أو اعدامه لكن التحقيق أن هذا اظهار للتعلق التنجيزي القديم لا تعلق مستقل واسناد التخصيص الى الارادة مجاز عقلي من باب الاسناد الى السبب كما تقدم في القدرة والا فالمخصص حقيقة هو الذات الاقدس * وضد الارادة الكراهة فيستحيل عليه تعالي ايجاد شيء من العالم من كراهته له أي عدم ارادته له تعالى فالتقابل بينها وبين الارادة من تقابل العدم والملكة . وبماذكرنا من أن المراد بالكراهة عدم ارادة الشيء علم أنه ليس المراد بالكراهة معناها الشرعي وهو طلب ترك الشيء طلباً غير جازم وعلم أيضاً انه ليس المراد بالكراهة بغض الشيء وعدم الميل اليه لانها بهذا المعنى انما تقابل الارادة التي بمعنى الميل الي الشيء كما يقال أراد فلان كذا أي مال اليه وكره كذا أي لم يمل اليه وهذا مختص بالحوادث ومستحيل في حقه تعالي لوجوب مخالفته تعالى للحوادث كما تقدم فهو ليس مرادا * وتقرير البرهان على وجوب الارادة له تعالى أن تقول لولم يتصف بالارادة لاتصف بضدها وهو الكراهة لكن اتصافه تعالى بضدها محال اذ لو اتصف بضدها بهذا المعني لما اتصف بالقدرة لكن عدم اتصافه بالقدرة محال لما تقدم في تقرير البرهان على وجوب اتصافه تعالي

بالقدرة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالقدرة ووجه الملازمة في قولنا لو اتصف بضدها لما اتصف بالقدرة هو أن تعلق القدرة موقوف على تعلق الارادة أي القصد الى الفعل فلا تتعلق القدرة الا بما تعلقت به الارادة * ويستدل أيضاً على وجوب الارادة له تعالي ببرهان من الشكل الاول ونظمه أن تقول الله جل وعلا خصص الحوادث بأحد الطرفين الجائزين عليها وكل من كان كذلك يجب اتصافه بالارادة فينتج الله جل وعلا يجب اتصافه بالارادة أما الصغرى فواضحة اذ لا يخفى أنه لما كان وجود الممكنات وعدمها بالنسبة اليها سواء لا يجب أحدهما ولا يستحيل بل هما جائزان على حد السواء ثم انه جل وعلا أوجد هذا الممكن فبالضرورة أنه تعالى هو الذي خصصه بأحد الطرفين الجائزين عليه وهو الوجود ولم يبقه على الطرف الآخر الجائز وهو العدم وكذا أوجده على مقدار مخصوص في ذاته خصصه أيضاً بذلك بدلا عن الطرف الآخر الجائز وهو أن يكون أكبر من ذلك المقدار أو أصغر وكذا خصصه بالوجود في ساعة كذا من يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا بدلا عن الوجود المتقدم على ذلك والمتأخر وكذا ما يتعلق بالالوان وسائر الاعراض خصه بنوع من ذلك بدلا عن تركه الي مقابله . وأما بيان الكبرى فلأن ترجيح وقوع أحد الطرفين المستويين بغير مرجح محال ويستحيل أن يكون المرجح نفس ذلك الممكن لانه يلزم عليه أن يكون مساويا لذاته راجحاً لذاته وأيضاً فلانه ان ترجح له من ذاته الوجود كان واجب الوجود لذاته فيلزم قدمه وان ترجح له من ذاته العدم وجب استمرار عدمه فلا يوجد أبدا لان المرجح الذاتي يستحيل عدمه وكلا القسمين باطل فتعين أن يكون المرجح خارجا عنه من جهة فاعله ولا مرجح لاختصاص الممكن بأحد الجائزات عليه بدلا عن مقابله الا الارادة وهي قصد الفاعل الى فعل ذلك الجائز وان شئت قلت اختياره له (فان قلت) لعل المرجح لوقوع أحد الطرفين صفة القدرة (فالجواب) أن القدرة نسبتها الى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

جميع الممكنات نسبة واحدة فما بالها تعلقت بايجاد هذا الممكن على الخصوص بدلا عن مقابله وفي هذا الزمان المخصوص بدلا عن المتقدم والمتأخر والازمان كلها بالنسبة الى القدرة القديمة سواء فلابد اذاً من ترجيح الفاعل هذا الزمان للفعل وحينئذ يوجد بقدرته الفعل فيه وكذا لابد أن يرجح الوجود بدلا عن العدم ثم تتعلق به القدرة وقس على ذلك سائر الممكنات المتقابلات ولهذا يقولون القدرة عبارة عن الصفة المؤثرة على وفق الارادة {فان قلت} لعل المرجح تعلق العلم بوقوع ذلك الممكن في الزمن المخصوص على الصفة المخصوصة لان وقوع الممكن على خلاف علم الله تعالى مستحيل (قلنا) التخصيص للممكن بالزمن المخصوص والصفة المخصوصة تأثير فيه بايقاع بعض الجائزات عليه فلا يتعلق بهما الا الصفة التي يحصل بها التأثير والعلم ليس من الصفات التي يحصل بها التأثير بدليل تعلقه بالواجب والمستحيل فلم يبق الا القدرة والارادة وقد بطل بما سبق تعلق القدرة بالتخصيص فيتعين أن المتعلق بذلك الارادة وهو المطلوب

(المطلب الرابع في العلم)

هو صفة وجودية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالشيء على وجه الاحاطة على ماهو به دون سبق خفاء وفي قولنا تتعلق بالشيء اشارة الى تعلق العلم بالشيء بالفعل أزلا وليس له الا هذا التعلق وهذا ما عليه العلامة السنوسي وجماعة من أن للعلم تعلقاً واحداً تنجيزيا قديماً وليس له تعلق صلوحي قديم ولا تنجيزي حادث فان التنجيزي الحادث يستلزم سبق الجهل والصلوحي القديم يستلزم الاتصاف بالجهل لأن الصالح لأن يعلم ليس بعالم ولا يجري على قياسه الارادة لأن وجود الارادة مع عدم تعيينها للشيء لا نقص فيه فلا نقص فيمن يصلح أن يعين ولم

يعين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يعين والنقص فيمن يصلح أن تنكشف له الاشياء ولم تنكشف مع ثبوت وصفى العلم والارادة فان من لم يعين لاختياره ومن لم تنكشف له الاشياء بل غابت عنه فذلك لجهله فتعين أن علمه تعالى تعلق أزلا بما كان ومايكون على الوجه الذى عليه يكون فيعلم سبحانه وتعالي الاشياء أزلا على ماهى عليه وكونها وجدت فى الماضى أو موجودة فى الحال أو توجد فى المستقبل أطوار في المعلومات لاتوجب تغيراً في تعلق العلم فالمتغير انما هو صفة المعلوم لا تعلق العلم * والحاصل أن العلم واحد وليس له الا وجه واحد والتعبير بيكون أو كان انما هو باعتبار المعلوم لا باعتبار العلم وتعلقه فانه واحد فالمعلوم قبل كونه يعبر عنه بأنه سيكون وبعد كونه يعبر عنه بأنه كان لاستقباله في الاول وحصوله في الثانى مثلا اذا كنا في الاحد فعلمنا بالجمعة الآتية محقق فهى قبل وقوعها يعبر عنها بأنها ستكون وبعده يعبر عنها بأنها كانت فالاختلاف فى الجمعة لا في علمنا له وأثبت بعضهم للعلم تعلقا صلوحيا قديما على معنى أنه اذا تعلق علم الله بوجودك مثلا فى يوم كذا فانه يصلح لأن يتعلق بعدمك فى ذلك اليوم بقطع النظر عن ذلك التعلق يعنى أنه لو فرض تعلق علمه بعدمك ولم يتعلق بوجودك لم يلزم عليه محال كما قاله شيخ المحققين السيد الملوي وقال بعضهم للعلم ثلاثة تعلقات تنجيزى قديم بالنسبة للواجب والمستحيل وصلوحى قديم بالنسبة للممكنات قبل وجودها فان العلم صالح لأن يتعلق بوجودها ولم يتعلق بوجودها بالفعل لان علم وجود الشيء قبل وجوده جهل نعم علمه بأنه سيكون تنجيزى قديم . وتعلق تنجيزى حادث بالنسبة للممكنات بعد وجودها بالفعل قال الخيالي العلم بالوقوع تابع للوقوع وكذا نقل اليوسي عن القرافى أن قولهم تعلق العلم سابق رتبة على تعلق الارادة والقدرة محمول على العلم بذات الشيء أما بوقوعه فمتأخر فتدبر انتهي قال العلامة الامير وهو معقول اه وأما قول الاولين لو كان للعلم تعلق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صلوحي لزم الجهل لان الصالح لان يعلم ليس بعالم فأجاب عنه العلامة البيجوري بأنه لا يظهر الا لو لم يثبت التعلق التنجيزي القديم والفرض خلافه فحينئذ يكون صالحا لأن ينكشف به كذا مع كونه منكشفاً له بالفعل كما قالوا في الارادة انها صالحة للتخصيص مع حصوله بالفعل وهذا لا غبار عليه لان التعلق بالفعل فرع عن الصلاحية وأجاب العلامه الامير أيضاً بأن ثبوت الوجود لزيد بالفعل لا يصلح أن يكون معلوما قبل وجوده بالفعل وعدم تعلق العلم بشيء لا يصلح أن يكون معلوما لا يعد جهلا كما أن عدم تعلق القدرة بالمستحيل لا يعد عجزاً والمراد بالشيء الذي يتعلق به العلم معناه اللغوي وهو الامر فيشمل الموجود والمعدوم لانه تعالى يعلم الواجبات والجائزات والمستحيلات اجمالا وتفصيلا ويعلم كلياتها وجزئياتها فالواجبات كذاته تعالى وصفاته والجائزات كذوات المخلوقات وصفاتها وأفعالها والمستحيلات كشريك له تعالى فيعلم أنه معدوم فمعنى علمه تعالى بالمستحيلات أنه يعلم انتفاءها لاثبوتها والا انقلب العلم جهلا لان اعتقاد ثبوت المحال جهل * وضد العلم الجهل فيستحيل عليه تعالى الجهل بمعلوم ما سواء كان الجهل بسيطا وهو عدم العلم بالشيء أو مركبا وهو ادراك الشيء على خلاف ماهو عليه في الواقع والتقابل بين العلم والجهل البسيط من تقابل العدم والملكة وأما التقابل بين العلم والجهل المركب فهو من تقابل الضدين وانما سمي مركبا لاستلزامه لجهلين فكانه مركب منهما لان الجهل بحقيقة الشيء أي عدم ادراكها والثاني الجهل بحال نفسه انه يجهل أنه جاهل * وكذا يستحيل عليه تعالى ما في معنى الجهل كالظن والشك والوهم لمنافاتها العلم وكذا الغفلة والذهول ونحوها كالنسيان والسهو لان ذلك يستلزم الاتصاف بالجهل ولان ماسهي أو غفل عنه مثلا فقد انعدم علمه تعالى به وكل ماجاز عدمه استحال قدمه كما تقدم في البقاء فيكون علمه تعالى حادثا وهو محال لما تقدم في المخالفة

للحوادث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للحوادث ومما في معني الجهل أيضاً كون العلم ضروريا أو نظريا أو بديهياً أو كسبياً فالضروري يطلق على مالم يحصل عن نظر واستدلال كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين وعلى ما اقارنه ضرر أو ضرورة كالعلم الحاصل بالهديد والضرب مثلا وكعلمنا بألمنا وجوعنا والضروري بهذا المعنى محال عليه تعالى لاستدعائه الضرر والحاجة وسبق الجهل وأما بالمعنى الأول فهو وان كان يصح ارادته في حقه تعالي لان علمه لم يحصل عن نظر واستدلال لكن يمتنع اطلاق ذلك في حقه تعالي لئلا يتوهم المعني الثاني والنظري ماحصل عن نظر واستدلال كالعلم بوجود القدرة له تعالى وهو محال عليه تعالي لاستدعائه سبق الجهل والبديهي يطلق على مالا يتوقف على حدس ولا تجربة ولا غيرهما وظاهر أنه بالمعني المذكور ليس مستحيلا في حقه تعالى لكن لما كان يقارنه النفس الامر اذا أتاها بغتة من غير سبق شعور امتنع اطلاقه في حقه تعالي لاقتضائه سبق الجهل والكسبي ماحصل بالاكتساب كأن يمر على الشخص شيء فيفتح عينيه ليراه فقد اكتسب بفتح عينيه العلم بذلك الشيء وهو محال عليه تعالى لاستدعائه سبق الجهل * وتقرير البرهان على وجوب العلم له تعالى أن تقول الله تعالى فاعل فعلا متقناً محكما وكل من كان كذلك فهو عالم . أما الصغرى فمعلومة بضرورة مشاهدة العالم في هذا النمط البديع والنظام المحكم مع مايشتمل عليه من النقوش المستحسنة والافعال المتقنة وما في ذلك من دقائق الصنع في اختصاص كل جزء منه بمنفعته الخاصة به وامداده بما يحفظها عليه ونحو ذلك من المحاسن التي تعجز عقول البشر عن الاحاطة بأسرارها وسيأتي ذكر طرف من ذلك في الطبيعيات وبالجملة فعجائب مصنوعاته سبحانه وتعالى مما لا يحيط بها وصف واصف . وأما بيان الكبرى فهو أنه معلوم بالبديهة أنه لا يحكم الفعل ويبرزه في غاية الكمال وما لا يحاط به من أنواع المحاسن والعجائب الا من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هو عليم حكيم غاية الحكمة ومن جوز صدور تلك العجائب مع كثرتها وخروجها عن حد الحصر من الجاهل على سبيل الاتفاق كان معانداً للحق جاحداً للضرورة وسقطت مكالمته لخروجه عن حيز العقلاء وقول من قال قد يقع الفعل المحكم من الجاهل مرة على سبيل الاتفاق ولا يدل فكذا يجب أن لا يدل اذا وقع مرات هو نظير قول القائل اذا لم يفد خبر الواحد العلم فلا يفيد خبر الجماعة واذا لم ير قليل الماء فلا يروي كثيره واذا لم تنتج المقدمة الواحدة لم تنتج المقدمتان والتسوية في ذلك خلاف الحس والعادة والعقل وأما ما تتخذه النحل بغير آلة من البيوت المحكمة المسدسة التي لا يعرف وضع مثلها الا المهندسون مع أن النحلة من الحيوان غير العاقل فهو مما يدل على أن الافعال كلها منسوبة الي الله جل وعلا خلقا واختراعا وان كان بعضها ينسب الي بعض من يتصف بها كسباً من غير تأثير أصلا كما سيأتي ان شاء الله تعالى في المطلب الاول من الطبيعيات فعلم أن الشكل المسدس الذي اتخذه النحلة انما وقع بمجرد خلق الله عز وجل فهو من جملة ما يدل على عظيم علمه تعالي وذلك لان خصوصية هذا الشكل جمع بين مصلحتين وهما قربه من شكل الدائرة القريب من شكل النحلة والأمن معه من فرج تبقى بين الاشكال ضائعة لغير فائدة ومعرفة كون الجمع بين هاتين المصلحتين خاصا بهذا الشكل المسدس مما لا يستخرجه الا أذكياء المهندسين بعد سبر وبحث عظيم فكيف يصح نسبته الي حيوان غير عاقل ولم لا يأتي النحل بغير ذلك من الامور التي اختصت بها العقلاء ويشارك العقلاء والمهندسين في معارفهم قال العلامة السنوسي انك قد عرفت أن معتقد أهل السنة أن الله جل وعلا منفرد بخلق كل شئ ولا تأثير لغيره في شئ أيا كان وان الافعال التي تتصف بها العقلاء وغيرهم كلها منسوبة الى الله جلا وعلا خلقاً واختراعا وان كان بعضها ينسب الي بعض من يتصف بها كسبا من غير تأثير أصلا وسيأتي في فصل خلق الافعال تفسير معنى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الكسب فليس في الوجود عند أهل السنة الا الله جل وعلا موصوفا بصفاته العلية وكل ماسواه من الكائنات فهي أفعاله فالشكل المسدس الذي اتخذته النحلة اذن ليس لها فيه تأثير أصلا بل ولا كسب من غير تأثير لما يأتي في فصل ابطال التولد من امتناع تعلق القدرة الحادثة بغير محلها وانما وقوع ذلك الشكل بمجرد خلق الله جل وعلا واختراعه وألهم النحل لاتخاذه مسكنا كما ألهم سائر الحيوانات لمصالحها الذي خلق كل شيء ثم هدى فهو من جملة مايدل على عظيم علمه تعالي ولو سلمنا أنه من فعلها فلا نسلم أنها غير عالمة به حينئذ بل خرقت في حقها العادة وألهمت علم ذلك وخلق لها كما خلق للنملة علم بسليمان عليه السلام وبجنوده حتى قالت ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم ثم تعليم دقائق العلوم وخلقها لمن ليس أهلا لمطلق العلم فكيف من دقائقه من أدل دليل على شرف علمه جل وعلا وباهر قدرته ونفوذ ادارته وانقياد جميع الممكنات لمشيئته تعالي انتهى * ويصح الاستدلال على وجوب العلم له تعالى بالقياس الاستثنائي وتقريره أن تقول لو لم يتصف بالعلم لاتصف بضده الذي هو الجهل لكن اتصافه بالجهل محال اذلو اتصف بالجهل لما اتصف بالارادة لكن عدم اتصافه بالارادة محال لما تقدم من وجوب اتصافه تعالى بها ووجه التلازم في قولنا لو اتصف بالجهل لما اتصف بالارادة هو أن الارادة هي القصد الى تخصيص الممكن ببعض مايجوز عليه ولا يتصور ذلك الا مع العلم بالمقصود لاستحالة توجه القصد من الفاعل الي مالا يعلم ولما كانت الماهيات المطلقات لايمكن دخولها في الوجود الا مع تخصيصها بزمان ومحل وكيفية ووضع ومقدار وكل وجه وجدت عليه أمكن في العقل وقوعها على خلافه أو مثله ولا يتخصص الا بالقصد اليه وجب أن يكون عالما بها من كل وجه وذلك أدل دليل على أنه عالم بالجزئيات لا كما يقول الفلاسفة ان علمه لايكون الا كليا تعالى الله عما يقول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الظالمون علواً كبيرا

(المطلب الخامس في الحياة)

هي صفة وجودية تصحح لمن قامت به الادراك أي أن يتصف بصفات الادراك التي هي العلم والسمع والبصر ومثل صفات الادراك غيرها من سائر الصفات كالقدرة والارادة وهذا التعريف يشمل الحياة القديمة والحادثة وقولنا تصحح أي تجوز فهي شرط عقلي يلزم من عدمها عدم الادراك ولا يلزم من وجودها وجود الادراك ولا عدمه فالمتصف بالحياة يجوز أن يتصف بالادراك كما في حالة الصحو ويجوز أن يفقد الادراك كما في حالة النوم وأما لزوم اتصافه تعالى بصفات الادراك ووجوبها بالنسبة له تعالى فليس ذلك من الحياة أي ليس لاجل الحياة وانما هو لقيام الادلة على أن كل ما اتصف به تعالى من الصفات واجب لا يقبل الانتفاء * وضد الحياة الموت وهو أمر وجودي يضاد الحياة وقيل هو عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيا والتقابل بينه وبين الحياة من تقابل الضدين على الاول ومن تقابل العدم والملكة على الثاني وقيل ان الموت عدم الحياة مطلقاً فالجماد يوصف بالموت على هذا القول دون القولين الاولين وعلى هذا القول فالتقابل بين الموت والحياة تقابل النقيضين وعلى كل حال فيستحيل عليه تعالى كل ما ناف الحياة مطلقا * وتقرير البرهان على وجوب الحياة له تعالى أن تقول الله متصف بالقدرة والارادة والعلم وكل من كان كذلك تجب له الحياة فينتج الله تجب له الحياة أما دليل الصغرى فهو ما تقدم من وجوب اتصافه سبحانه بالصفات المذكورة وأما دليل الكبرى فهو أن الاتصاف بهذه الصفات موقوف على الاتصاف بالحياة اذ لا يتصور قيامها بغير حي فاذا انتفت الحياة انتفت الصفات المذكورة بل جميع الصفات لانها شرط عقلا فيها ووجود

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المشروط بدون شرطه مستحيل

﴿ المطلب السادس في السمع والبصر ﴾

هما في حقه تعالى صفتان وجوديتان قائمتان بذاته تعالي تتعلقان بكل موجود على وجه الاحاطة تعلقاً زائداً على تعلق العلم لانهما زائدتان على العلم وذلك معلوم في الشاهد أي فيما نشاهده من الخلق ضرورة والاصل المغايرة فيما ورد في الغائب والتأويل بلا دليل تلاعب ثم يجب التنبيه الى أن علم الله تعالى يستحيل عليه الخفاء بجميع الوجوه فليس الامر على مانعهده من ان البصر يفيد بالمشاهدة وضوحا فوق العلم بل جميع صفاته تعالي تامة كاملة يستحيل عليها ما كان من سمات الحوادث من الخفاء والزيادة والنقص الى غير ذلك *وقولنا تتعلقان بكل موجود أي تعلقا تنجيزيا قديما بالنسبة لذاته تعالى وصفاته وصلوحياً قديما بالنسبة للممكنات الموجودات قبل وجودها وتنجيزيا حادثا بالنسبة للممكنات المذكورة بعد وجودها ودخل في الموجودات الالوان والاصوات وهذه طريقة العلامة السنوسي ومن تبعه واحتجوا على ذلك بأن اختصاص سمعنا بالاصوات وبصرنا بالاجرام والالوان انما هو بحسب العادة اذ يجوز أن يتعلق السمع بغير الاصوات كما وقع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه سمع كلامه تعالى القديم الذى ليس بصوت وأن يتعلق البصر بغير الاجرام والالوان كرؤيتنا للذات العلية المقدسة عن اللون والجرمية وقال العلامة السعد ان سمعه تعالى يتعلق بالمسموعات وبصره يتعلق بالمبصرات قال العلامة البيجوري يحتمل أن مراده المسموعات في حقنا وهي الاصوات والمبصرات في حقنا وهي الذوات والالوان فيكون مخالفاً لطريقة السنوسي ومن تبعه ويحتمل أن مراده المسموعات في حقه تعالي وهي الموجودات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الذوات وغيرها فيكون موافقاً لطريقة السنوسي انتهى * وضد السمع الصمم وضد البصر العمى وهما أمران وجوديان وقيل الصمم عدم السمع عما من شأنه أن يكون سميعاً والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا والتقابل بين الصمم وبين السمع وبين العمى وبين البصر من تقابل الضدين على الاول ومن تقابل العدم والملكة على الثاني * وتقرير البرهان على وجوب السمع والبصر له تعالى أن تقول لولم يتصف بهما لزم أن يتصف بضدهما لكن اتصافه تعالى بضدهما باطل فبطل ما أدي اليه وهو عدم اتصافه بهما فثبت نقيضه وهو اتصافه تعالى بهما ووجه الملازمة بين المقدم والتالي أن القابل للشيء لا يخلو عنه أو عن ضده لان القبول نفسي للذات كما تقدم توضيحه في البقاء وكل حيّ قابل للسمع والبصر بدليل امتناع اتصاف الموتي بهما وصحة اتصاف الاحياء بهما فالمصحح الحياة وحينئذ فالمولي عز وجل اذا لم يتصف بهما لزم أن يتصف بضدهما. ودليل الاستثنائية قياس اقتراني من الشكل الاول وتقريره أن تقول الاتصاف بضدهما نقص وكل نقص عليه تعالى محال ينتج الاتصاف بضدهما محال أما الصغرى فمعلومة في الشاهد ضرورة فكذلك يكون بالنسبة للمولي سبحانه وتعالى لانه لما دل الكتاب والسنة وانعقد الاجماع على وجوب اتصافه تعالى بالسمع والبصر علم ان الاتصاف بضدهما نقص في الغائب كما أنه نقص في الشاهد. وأما دليل الكبرى فهو أن النقص يستلزم أن يحتاج المولي سبحانه وتعالي الي من يكمله بأن يدفع عنه ذلك النقص ويخلق له الكمال وذلك يستلزم حدوثه وافتقاره تعالى الي اله آخر كيف وقد تقرر بالدليل وجوب الوحدانية له تعالى وأيضا لو اتصف تعالى بذلك النقص لزم أن يكون بعض مخلوقاته أكمل منه تعالي الله عن ذلك لسلامة كثير من المخلوقات من ذلك النقص والمخلوق يستحيل أن يكون أشرف من خالقه وقد علم مما قررنا أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العمدة في اثبات السمع والبصر له تعالي هو الدليل السمعي فانه لا يلزم من كون الشيء نقصاً في حق الشاهد أن يكون نقصاً في حق الغائب وانما يذكر الدليل العقلي على سبيل التبعية والتقوية للعقل وذلك لانه لا يتوقف الفعل على السمع والبصر وانما يعرف من صفاته جل وعلا بالعقل مادلت عليه أفعاله فان لم يدل الفعل لجأنا الى السمع فان لم يرد وجب الوقف ولا شك أن السمع وارد في اثبات السمع والبصر له تعالى فمنه قوله تعالي وهو السميع البصير وقوله تعالى انني معكما أسمع وأرى ونحو ذلك ومنه مافي الصحيح من قوله صلي الله عليه وسلم أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا وانما تدعون سميعاً وبصيراً ومعنى أربعوا على أنفسكم اشفقوا على أنفسكم ولا تجهدوها برفع الاصوات في الدعاء فانكم لا تدعون الخ وقد حكي عن غير واحد من علماء السنة انعقاد الاجماع على انه سبحانه وتعالى سميع وبصير وقال العلامة السعد في شرح المقاصد انعقد اجماع أهل الاديان بل اجماع العقلاء على ذلك

المطلب السابع في الكلام

هو صفة وجودية قائمة بذاته تعالي ليست بحرف ولا صوت لانه لو كان كلامه تعالي يتركب من الحروف والاصوات لكان ذلك الكلام حادثا ضرورة أن الحروف والاصوات أعراض حادثة مشروط حدوث بعضها بانقضاء البعض لان امتناع التكلم بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الاول بديهي فالحروف والاصوات لا تكون أبداً الا حادثة فلو تركب الكلام منها لكان حادثا ضرورة أن المركب من الحوادث حادث لكن كون كلامه تعالى حادثا باطل لما تقدم في المخالفة للحوادث من استحالة اتصافه تعالى بصفات الحوادث فبطل كون كلامه تعالى مركباً من الحروف والاصوات اذ لا ينحصر الكلام في الحروف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والاصوات لان ذلك ينتقض بكلامنا النفسي فانه كلام حقيقة وليس بحرف ولا صوت قال الاخطل

ان الكلام لفي الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

واذا صح ذلك فكلام مولانا أيضا كلام ليس بحرف ولا صوت وكما أنه منزه عن الحروف والاصوات فهو منزه عن السكوت النفسي بأن لا يريد في نفسه الكلام مع القدرة ومنزه عن الآفة الباطنية بأن لا يقدر على ذلك كما في حال الخرس والطفولية وذلك لان السكوت يقتضي انعدام الكلام فان كان السكوت قبل وجود الكلام لزم سبق العدم عليه وذلك ينفي لقدمه واثبات لحدوثه وان كان بعد وجود الكلام فقد طرأ على الكلام العدم فيكون حادثا لان ماثبت قدمه استحال عدمه كما تقدم وكلامه تعالي صفة واحدة لا تعدد فيها لكن لها أقسام بحسب التعلق فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلا أمر ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلا نهي ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا مثلا خبر ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة وعد ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار وعيد الي غير ذلك * وتعلقه بالنسبة لغير الأمر والنهي والخبر تعلق تنجيزي قديم وأما بالنسبة للأمر والنهي فان لم يشترط فيهما وجود المأمور والمنهي فكذلك وان اشترط فيهما ذلك كان التعلق فيهما صلوحيا قديما قبل وجود المأمور والمنهي وتنجيزيا حادثا بعد وجودهما * وأما تعلق الكلام بالنسبة للخبر فان قلنا ان للعلم تعلقا صلوحيا قديما وتعلقا تنجيزيا حادثا كما تقدم ساغ هنا أن نقول ان تعلق الكلام بكون فرعون مثلا فعل كذا قبل وجود فرعون وفعله صلوحي وبعد وجوده وفعله تعلق تنجيزي حادث نعم تعلق الكلام بأن فرعون سيفعل كذا تعلق تنجيزي قديم كما تقدم أيضا نظيره في العلم وذلك لما سنذكره في

وجه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وجه دلالة المعجزة على صدق الرسل من أن كلامه تعالى تابع لعلمه { واعلم } أن كلام الله تعالى يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه وليس لاحد في أصل تركيبه كسب وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة عائشة رضي الله عنها ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى واطلاقه عليهما قيل بالاشتراك وقيل حقيقي في النفسي مجاز في اللفظي وعلى كل من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله فقد كفر الا أن يريد أنه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم كما في قولنا القرآن كلام الله غير مخلوق فالمراد الصفة القائمة بذاته تعالى وحيث يوصف بما هو من لوازم المخلوقات والمحدثات يراد به الالفاظ المنطوقة المسموعة كما في قولنا قرأت نصف القرآن أو المخيلة كما في قولنا حفظت القرآن أو الاشكال المنقوشة كما في قولنا يحرم على المحدث مس القرآن . ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثا لا يجوز أن يقال القرآن حادث الا في مقام التعليم لانه يطلق على الصفة القائمة بذاته تعالى أيضاً لكن مجازا على الارجح فربما يتوهم من اطلاق أن القرآن حادث أن الصفة القائمة بذاته تعالى حادثة ولذلك ضرب الامام أحمد بن حنبل وحبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يرض وقد نص العلامة السنوسي وغيره من المتقدمين على أن الالفاظ التي نقرؤها تدل على الكلام القديم لكن التحقيق أن ما نقرؤه من القرآن والتوراة ونحوهما من الكتب المنزلة يدل على ما تدل عليه الصفة القديمة مثلا اذا سمعت قوله تعالى ولا تقربوا الزنا فهمت منه النهي عن قربان الزنا ولو أزيل عنك الحجاب لفهمت من الصفة القديمة هذا المعنى فمدلول الكلام اللفظي هو مدلول الكلام النفسي وان شئت قلت هو مثله لتغايرهما باعتبار الدال نعم الالفاظ التي نقرؤها تدل على الكلام القديم بطريق الدلالة الالتزامية العرفية فان كل من له كلام لفظي لزم عرفا أن له كلاما نفسياً والمولى سبحانه وتعالى له كلام

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

لفظي يعني انه خلقه في اللوح المحفوظ فيدل عرفا على أن له تعالى كلاما نفسياً وهذا محمل كلام العلامة السنوسي ومن تبعه * والحاصل ان الكلام اللفظي باعتبار دلالته المطابقية يدل على مثل مدلول الكلام القديم وهذا محمل كلام المتأخرين وباعتبار دلالته الالتزامية العرفية يدل على نفس الكلام القديم كما يدل اللفظ على حياة اللافظ وهذا محمل كلام العلامة السنوسي ومن تبعه من المتقدمين * وضد الكلام البكم وهو أمر وجودي يضاد الكلام وقيل هو عدم الكلام عما من شأنه أن يكون متكلما والتقابل بينه وبين الكلام من التقابل بين الضدين على الاول ومن تقابل العدم والملكة على الثاني { واعلم } أن عندهم بكما نفسياً ولسانياً وسكوتا كذلك فالبكم النفسي عدم الكلام النفسي عجزاً والبكم اللساني عدم الكلام اللفظي كذلك والسكوت النفسي عدم الكلام النفسي من غير عجز والسكوت اللساني عدم الكلام اللفظي كذلك ولا يخفى ان المراد هنا البكم النفسي لانه هو الذي يقابل الكلام النفسي وفي معناه السكوت النفسي * وتقرير البرهان على وجوب الكلام له تعالى أن تقول لو لم يتصف بالكلام لزم أن يتصف بضده لكن اتصافه بضده باطل فبطل ما أدى اليه وهو عدم اتصافه بالكلام فثبت نقيضه وهو اتصافه تعالى بالكلام ويقال في وجه الملازمة بين المقدم والتالي وفي دليل الاستثنائية نظير ما تقدم في السمع والبصر قال الامام فخر الدين أجمع الانبياء والرسل على كونه تعالى متكلماً وقال ابن التلمساني وقد أجمع المسلمون أيضاً على ذلك على الجملة وان اختلفوا في تفسير الكلام وقال العلامة السعد انه ثبت بالاجماع وتواتر النقل عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم انه متكلم ولا معنى له سوى أنه متصف بالكلام أي كما هو مقتضى اللغة والعرف قال وبالجملة لا خلاف بين أرباب الملل والمذاهب في كون الباريء تعالى متكلماً وانما الخلاف في معنى كلامه وقدمه وحدوثه

المقصد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المقصد الثاني في النبوات * وفيه مبحثان

المبحث الاول في نبوة الانبياء * وفيه مطلبان

المطلب الاول في معني النبوة والرسالة والرد على منكرها

النبوة في اللغة على وجهين مهموز وغير مهموز فأما في لغة من همز فهو مأخوذ من النبأ وهو الخبر ويحتمل أن يكون فعيل بمعنى مفعول أي هو منبأ بالغيوب أو بمعنى فاعل أو مفعل أي هو منبئ بما أطلعه الله تعالى عليه ويصح ترك الهمزة في هذين الوجهين تسهيلا وأما في لغة من لم يهمز من أصله فهو مأخوذ من النبوة بفتح النون وهو ما ارتفع من الارض يقال نبا الشئ اذا ارتفع فالمعنى على هذا أن النبي مرتفع على طور البشر باختصاصه بالوحي وخطاب الله تعالى وليست النبوة صفة ذاتية للنبي كما صار اليه الكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل ولا مكتسبة كما صار اليه الفلاسفة فانهم يرون التزكية والتخلية صقالا في مرآة النفس الى أن تتهيأ لما لا تتهيأ لادراكه بغيرها وانما مرجع النبوة الى اصطفاء الله تعالى عبداً من عبيده بالوحي اليه فالنبوة هي اختصاص بسماع وحي من الله بواسطة ملك أو دونه فان أمر بتبليغه فرسالة وهي مشتقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس أرسالا اذا تبع بعضهم بعضاً فكأن الرسول ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت أمته اتباعه وقد منعت البراهمة من الفلاسفة الرسالة عقلا بناء على أصلهم من التحسين والتقبيح العقليين ورأوا أن العقل يتوصل وحده دون شرع الي ادراك الحسن والقبيح عنده جل وعلا وقد وافقهم المعتزلة في التحسين والتقبيح العقليين وقالوا الافعال الاختيارية حسنة وقبيحة من جهة العقل فمنها مايدركه العقل بالضرورة كحسن الصدق النافع والايمان وقبح الكذب الضار والكفران ومنها مايدركه العقل بالنظر كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ومنها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مايقف عن ادراكه الا بانباء الشرع كحسن صوم آخر يوم من رمضان وقبح صوم أول يوم من شوال وقضوا أن الشارع في هـذا النوع مخبر عن حال المحل لأنه أنشأ فيه حكما قالوا كالحكيم الذي يخبر أن هذا العقار حار أو بارد ثم اختلفوا فذهب القدماء منهم الى أن الافعال حسنة وقبيحة لذاتها وقال قوم منهم هي حسنة وقبيحة لصفة لازمة كالصوم المشتمل على كسر الشهوة المقتضي عدم المفسدة وكالزنا المشتمل على اختلاط الانساب المقتضي ترك تعاهد الاولاد وقال قوم منهم بالفرق بين القبيح فهو قبيح لصفته والحسن فهو حسن لذاته وحجتهم أن الذوات كلها مستوية والتمييز انما هو بالصفات فلو قبح الفعل لذاته لزم قبح فعل الله تعالى وقال الجبائي وأتباعه الفعل يقبح أو يحسن بوجه واعتبار كضرب اليتيم يحسن ان كان للتأديب ويقبح ان كان لغيره *والحاصل ان القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين ينقسمون الي ثلاث فرق الفرقة الاولى البراهمة قالوا بالتحسين والتقبيح العقليين ونفوا بناء على ذلك الرسالة الفرقة الثانية المعتزلة قالوا بالتحسين والتقبيح العقليين لكنهم لم ينكروا الرسالة بل قالوا ان الانسان يمكنه أن يدرك بعض الاحكام قبل مجيء الشرع والتمسوا الكل حكم من الاحكام الشرعية علة عقلية الفرقة الثالثة الحكماء ومذهبهم قريب من مذهب المعتزله وتبين فساد مذهب الجميع بما حققه أهل السنة من أن الافعال كلها مستندة الى الله تعالي ابتداء من غير واسطة وانه لا تأثير لغيره في شيء منها لما بأتي من بطلان تأثير الوسائط من الطبائع وقدرة العباد وبما تقدم من استحالة الاغراض في أفعاله تعالى وعدم رجحان بعضها على بعض بالنسبة اليه تعالى وانه تعالى يفعل مايشاء وافق غرض العباد أو لم يوافقه فلا مجال للعقل اذ في ادراك حكم شرعي لفعل من الافعال اذ لا سبب له على ماعرفت فليس الحسن شرعا عند أهل الحق الا ماقيل فيه افعلوه وليس القبيح

شرعا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

شرعا الاماقيل فيه لا تفعلوه وانما مرجع الاحكام الشرعية الي بيان كون تلك الافعال أمارة على ماجعلت عليه من ثواب أوعقاب أوعدمهما وتخصيص كل واحد من الاحكام بما اختص به من الافعال لاعلة له ولو كان الحكم يثبت لما اتصف به من الحسن أو القبح لذاته أولصفة لازمة لما كلف الله الكافر بالايمان والتالى باطل بالاجماع وبيان الملازمة انه تعالى علم أن الكافر لا يؤمن فتكليفه بالايمان تكليف بمستحيل وهو قبيح عندهم وأيضا لو كان الحكم يثبت لما اتصف به من الحسن أو القبح لذاته أولصفة لازمة لم يجزم العقل بشيء حسن عندالله أو قبيح عنده تعالي لتعارض أوجه من النظر فى ذلك متضادة فانا لو نظرنا قبل مجيء الشرع فى شكره تعالى على انعامه علينا لكان العقل يقتضى عندهم أن شكره تعالي واجب من غير أن يتوقف فى ذلك على مجيء شرع لان معرفته تعالي ومعرفة كونه منعما يدركهما العقل بدون شرع وكذا يدرك بدونه حسن شكر المنعم وقبح كفرانه فيدرك اذن وجوب الشكر وتحريم الكفران بدون شرع فيقال لهم هذا الشكر لو وجب قبل الشرع لكان له فائدة اذ مالا فائدة له ليس بحسن حتي يجب لكن ثبوت الفائدة قبل الشرع باطل لان الفائدة فيه اما أن ترجع الى العبد الشاكر أو الي الرب المشكور وعودها على العبد اما فى العاجل أو فى الآجل والاقسام كلها باطلة أما بطلان عودها الي العبد عاجلا فلانه انما يحصل في العاجل التعب فقط وأما بطلان عودها اليه آجلا فلان العقل لا مجال له قبل الشرع فى شيء من أمور الآخرة اجماعا وأما بطلان رجوعها الي الرب تعالى فلتعاليه جل وعلا عن أن يتجدد له كمال بل هو الكامل بذاته وصفاته الازلية والغنى عن الخلق وأعمالهم فهذا الوجه من النظر العقلى يدفع وجوب الشكر قبل مجيء الشرع ويعارض الوجه الذى أوجبه عندهم وهو ادراك كونه تعالي منعما (فان قالوا) لانسلم أنه ليس فى الشكر فائدة قبل الشرع بل فيه فائدة للعبد وهو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأمن من العقوبة التي يحتمل ثبوتها على تقدير الاعراض عن الشكر (قلنا) وكذلك يحتمل أن يعاقب على فعل الشكر من وجهين * الاول أنه أتعب فيه الذات المملوكة لله تعالى وتصرف فى ذلك بغير اذنه فصار كمن شكر ملكا أوصل له نعمة بأن يتعب عبد الملك فى أداء شكرها بغير اذنه فلا اشكال انه قد تعرض بنفسه بشكر الملك على هذا الوجه للعقوبة * الثانى أن من أعطاه ملك جواد فى غاية الجود كسرة صغيرة من خبز الشعير مثلا وله من الخزائن وأنواع الاطعمة وأجناس الاموال مالا نهاية له ولا ينقص بما يعطى منها ثم صار ذلك الفقير المحتاج يذكر الملك ويثنى عليه فى المحافل على اعطاء تلك الكسرة من الشعير لاستحق العقوبة منه لاستهزائه بالملك واستصغاره قدره حين يمدحه بما لا بال له عنده ولاشك أن نعيم الدنيا والآخرة كله بالنسبة الى عظيم قدرة الله تعالى وسعة ملكه وجلاله كلاشيء * فقد بان بهذا أن دخول العقل الى طلب أحكام الله تعالى في الافعال بميزان التحسين والتقبيح دخول بميزان مختل ينقلب به صاحبه خاسئاً ويرجع خائبا خاسرا فالحق وقف ذلك الى الشرع واللجأ فى معرفته الي السمع وقد أشار تعالى الى جهل من أنكر الرسالة بقوله (وما قدروا الله حق قدره) أى ماعرفوه تعالى حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك بل أخلوا بها اخلالا (اذقالوا) منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمته الجليلة فيهما (ماأنزل الله على بشر من شيء) فنفى معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالي بنقيض نعته الجميل قال الامام فخر الدين اعلم أن كل من أنكر النبوة والرسالة فهو فى الحقيقة ماعرف الله حق معرفته وتقريره من وجوه * الاول أن منكر البعثة والرسالة اما أن يقول انه تعالي ما كلف أحداً من الخلق تكليفاً أصلا أو يقول انه تعالي كلفهم التكاليف والاول باطل لان ذلك يقتضي انه

تعالي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تعالى أباح لهم جميع المنكرات والقبائح نحو شتم الله تعالى ووصفه سبحانه وتعالى بما لا يليق به والاستخفاف بالانبياء والرسل وأهل الدين والاعراض عن شكر المنعم ومقابلة الانعام بالاساءة ومعلوم أن كل ذلك باطل واما أن يسلم أنه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي فهنا لابد من مبلغ وشارع ومبين وما ذاك الا الرسول { فان قيل } لم لا يجوز أن يقال العقل كاف في ايجاب الواجبات واجتناب المقبحات { قلنا } هب أن الامر كما قلتم الا أنه لا يمتنع تأكيد التعريف العقلي بالتعريفات المشروعة على ألسنة الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فثبت ان كل من منع البعثة والرسالة فقد طعن في حكمة الله تعالى وكان ذلك جهلا بصفة الالهية وحينئذ يصدق في حقه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (الوجه الثاني) في تقرير هذا المعنى أن من الناس من يقول انه يمتنع بعثة الانبياء والرسل لانه يمتنع اظهار المعجزة على وفق دعواه تصديقاً له والقائلون بهذا القول لهم مقامان * أحدهما أن يقولوا انه ليس في الامكان خرق العادات ولا ايجاد شيء على خلاف ما جرت به العادة * والمقام الثاني الذين يسلمون امكان ذلك الا أنهم يقولون ان بتقدير حصول هذه الافعال الخارقة للعادات لادلالة لها على صدق مدعي الرسالة وكلا الوجهين يوجب القدح في كمال قدرة الله تعالى * أما المقام الاول فهو ثبت أن الاجسام متماثلة وثبت أن ما يحتمله الشيء وجب أن يحتمله مثله واذا كان كذلك كان جرم الشمس والقمر قابلا للتمزق والتفرق فان قلنا ان الاله غير قادر عليه كان ذلك وصفاً له بالعجز ونقصان القدرة وحينئذ يصدق في حق هذا القائل أنه ما قدر الله حق قدره وان قلنا انه تعالى قادر عليه فحينئذ لا يمتنع عقلا انشقاق القمر ولا حصول سائر المعجزات * وسيأتي توضيح هذا المقام فيما وراء الطبيعة * وأما المقام الثاني وهو أن حدوث هذه الافعال الخارقة للعادة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI FOR QUR'ANIC THOUGHT

عند دعوى مدعي النبوة يدل على صدقهم فهذا أيضاً ظاهر على ماهو مقرر في كتب الاصول وسيأتي تقرير ذلك في المطلب الثاني من هذا المبحث فثبت ان كل من أنكر امكان البعثة والرسالة فقد وصف الله بالعجز ونقصان القدرة وكل من قال بذلك فهو ماقدر الله حق قدره (والوجه الثالث) أنه لما ثبت حدوث العالم فنقول حدوثه يدل على أن اله العالم قادر عالم حكيم وان الخلق كلهم عبيده وهو مالكهم على الاطلاق وملك لهم بالاتفاق والملك المطاع يجب أن يكون له أمر ونهي وتكليف على عباده وأن يكون له وعد على الطاعة ووعيد على المعصية وذلك لايتم ولا يكمل الا بارسال الرسل وانزال الكتب فكل من أنكر ذلك فقد طعن في كونه تعالى ملكا مطاعا ومن لم يعتقد ذلك فهو ماقدر الله حق قدره انتهى (واعلم) أن جهل من أنكر رسالة جميع الرسل كجهل من أنكر رسالة بعض الرسل قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله) أي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) أي بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن بأن لا يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الاستلزام (ويقولون نؤمن ببعض) من الرسل (ونكفر ببعض) منهم (ويريدون) بقولهم المذكور (أن يتخذوا بين ذلك) أي بين الايمان بالكل والكفر بالكل (سبيلا) طريقاً يذهبون اليه أي يريدون أن يتخذوا لهم ديناً ومذهباً واسطة بين الايمان والكفر وهو الايمان ببعض الرسل والكفر ببعضهم (أولئك هم الكافرون حقا) أي هم الذين كفروا كفراً حقاً أي ثابتاً يقيناً لاريب فيه (وأعتدنا للكافرين) أي أعددنا لجميع الكافرين (عذاباً مهيناً) ذا اهانة سيذوقونه عند حلوله * قال الامام فخر الدين انهم كانوا كافرين حقاً لوجهين (الاول) أن الدليل الذي يدل على نبوة البعض ليس الا المعجز واذا كان دليلا على النبوة لزم القطع بأنه حيث حصل حصلت النبوة فان جوزنا في بعض المواضع

حصول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حصول المعجزة يدون الصدق تعذر الاستدلال به على الصدق و حينئذ يلزم الكفر بجميع الانبياء فثبت أن من لم يقبل نبوة أحد منهم لزمه الكفر بجميعهم (فان قيل) هب أنه يلزمهم الكفر بكل الانبياء ولكن ليس اذا توجه بعض الالزامات على الانسان لزم أن يكون ذلك الانسان قائلا به فالزام الكفر غير والتزام الكفر غير والقوم لما لم يلتزموا ذلك فكيف يقضي عليهم بالكفر (قلنا) الالزام اذا كان خفياً بحيث يحتاج فيه الى فكر وتأمل كان الامر فيه كما ذكرتم أما اذا كان جلياً واضحاً لم يبق بين الالزام والالتزام فرق ﴿ والثاني ﴾ هو أن قبول بعض الانبياء ان كان لاجل الانقياد لطاعة الله تعالى وحكمه وجب قبول الكل وان كان لطلب الرئاسة كان ذلك في الحقيقة كفراً بكل الانبياء

المطلب الثاني في الطريق الي اثبات نبوة الانبياء

(اعلم) أن الطريق الى اثبات نبوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام أمران (الاول) أن نقول ان الله تعالى قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالي وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز أن يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء أو من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاء الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به * المعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي مع عدم المعارضة وقال العلامة السعد هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله والتحدي هو طلب المعارضة مأخوذ له من حاداه

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اذا جادله وماراه من الحداء رفع الصوت للابل لان الجدال شأنه رفع الصوت يقال تجادبت فلانا اذا ماريته ونازعته للغلبة وهو هنا عبارة عن قول النبي آية صدقي كذا وخرج بقيد عدم المعارضة السحر والشعبذة وهي خفة في اليد يري أن لها حقيقة ولا حقيقة لها فكل من السحر والشعبذة يمكن معارضته والاتيان بمثله وجعل السحر خارجا بهذا القيد مبني على أنه خارق للعادة وقال بعض العلماء انه معتاد وغرابته انما هي للجهل بأسبابه فكل من عرف أسبابه وتعاطاه أجاب معه قال الخيالي والحق أن السحر ليس من الخوارق وان أطبق القوم عليه لانه مما يترتب على أسباب كلما باشرها أحد يخلقه الله تعالي عقبها ألبتة فيكون من ترتيب الامور على أسبابها كالاسهال بعد شرب السقمونيا ألا ترى أن شفاء المريض بالدعاء خارق وبالادوية الطبيعية غير خارق اه وقال عبد الحكيم ان السحر ليس أمراً خارقا للعادة كما أن الطلسم وما يترتب على خصائص بعض الاشياء كالمغناطيس والكهرباء ليس أمراً خارقا للعادة فلا يدخل في المعجزة لان معنى ظهور الخارق هو أن يظهر أمر لم يعهد ظهور مثله عن مثله وههنا ليس كذلك لان من باشر الاسباب المختصة يترتب عليها ذلك بطريق جري العادة الالهية * وماقيل من أنه لا يندفع التباس المعجزة بالسحر على هذا التقدير فمدفوع بما مر من أنه لا يمكن معارضة المعجزة لانه فعل الله لا مدخل لمباشرة الاسباب فيه يخلقه الله على يد الصادق فقط لتصديقه بخلاف السحر فان فيه مدخلا لمباشرة الاسباب يخلقه الله على يد كل من باشره عادة اه وقال العلامة ابن حجر الهيتمي واعلم أن الفرق بين معجزات الانبياء وسحر السحرة وعزمهم مما يتوهم أنه خارق للعادة قد أشكل على جماعة من الاصوليين وغيرهم وهو عظيم الموقع في الدين والكلام عليه من ثلاثة أوجه فرق في نفس الامر باعتبار الباطن وفرق باعتبار

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الظاهر أما الفرق الواقع في نفس الامر فهو أن السحر والطلسمات والسيميا وجميع هذه الامور ليس فيها شيء خارق للعادة بل هي عادة جرت من الله تعالى بترتب مسببات على أسبابها غير أن تلك الاسباب لم تحصل لكثير من الناس بل للقليل منهم كالعقاقير التي يعمل منها الكيميا والحشائش التي يعمل منها النفط التي تخرق الحصون والدهن الذي من ادهن به لم يقطع فيه حديد ولا تقد عليه النار فهذه كلها في العالم أمور غريبة قليلة الوقوع واذا وجدت أسبابها جرت على العادة فيها وكذا أسباب السحر اذا وجدت حصل وكذلك السيمياء وغيرها كلها جارية على أسبابها العادية غير أن الذي يعرف تلك الاسباب قليل في الناس وأما المعجزات فليس لها سبب في العادة أصلا فلم يجعل الله في العالم عقارا يفلق البحر أو يسيل الجبل ونحو ذلك وهذا فرق عظيم غير أن الجاهل بالامرين يقول ومايدريني أن هذا له سبب والآخر لا سبب له فنذكر له الفرقين الآخرين * أحدهما أن السحر ومايجرى مجراه مختص بمن عمل له حتى أن أهل هذه الحرف اذا استدعاهم الملوك ليصنعوا لهم هذه الامور يطلبون منهم أن يكتب أسماء كل من يحضر ذلك المجلس فيصنعون صنيعهم لمن سمي لهم فان حضر غيرهم لا يرى شيأ مما يراه الذين سموا قال العلماء واليه الاشارة بقوله تعالى ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين أي لكل ناظر ينظر اليها ففارقت بذلك السحر والسيمياء وهذا فرق عظيم * الفرق الثاني قرائن الاحوال المفيدة للعلم القطعي الضروري المختصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام المفقودة في حق غيرهم فتجد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل الناس نشأة ومولداً وشرفا وخلقا وخلقاً وصدقا وأدبا وأمانة وزهادة واشفاقا ورفقا وبعداً عن الدناءة والكذب والتمويه الله أعلم حيث يجعل رسالته ثم أصحابه يكونون في غاية العلم والنور والبركة والتقوى والديانة كأصحاب رسول الله صلى الله عليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وسلم كانوا بحراً في العلوم على أنواعها من الشرعيات والعقليات والجنايات والسياسات والعلوم الباطنة والظاهرة حتى روى أن علياً جلس مع ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وأنهم تكلموا في الباء من بسم الله من العشاء الى أن طلع الفجر مع أنهم لم يدرسوا ورقة ولا قرؤا كتابا ولا تفرغوا من الجهاد ولقد قال بعض الاصوليين لولم يكن شاهدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا أصحابه لكفوا في اثبات نبوته وكذلك أيضاً ماعلم من فرط صدقه حتى كان يقال محمد الامين ومامن نبي الاوله في هذه القرائن الحالية والمقالية العجائب والامر على العكس في ذلك اه فالساحر شرير مخادع لايستعمل السحر الا لنيل أغراضه ومآربه الشهوانية ألا تري لي قوله تعالى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجراً ان كنا نحن الغالبين وقوله تعالى فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه فالساحر يهتك حرمة الآداب لبلوغ مناه ولا يسمى لما يعود بالمنفعة الدائمة والمصلحة العامة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لى كل أعماله تعود بالافساد قال تعالى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون قال العلامة السنوسي قدمنا نستدل بالخارق اذا علمنا انه من قبيل المعجزات ونحن نعلم قطعاً أن احياء الموتى وقلب العصا حية وابراء الاكمه والابرص من غير معاناة ليس مما يدخل تحت الحيل ولا مما يتوصل اليه بغوص على علوم الطلسمات أنواع الحيل كجر الثقيل بالخفيف وجذب الحديد بالمغناطيس وقد تقترن بالشيء قرائن تفيد العلم واليقين بأن ما أتي به ليس من القبيل الذي ذكر وقد طرد الله عادته في حق أنبيائه وأصفيائه بأنه يقطع عنهم الوهم ببعدهم عن أرباب هذه العلوم فشخص يخرج الي شعب شعيب بحيث لايتوهم ذو مسكة الا حرة وآخر يخلقه أو يأتيه من الخالية لارباب العلوم وتعلم الكتب

فقرائن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فقرائن الصدق المقترنة بما يرفع اللبس والمخالطون للانبياء الباحثون عن أحوالهم والساعون في ابطال دعواهم يجدون من أحوالهم مايحيل نسبتهم الى ذلك حتى يتهوا الى البوح بأنهم في عناد في انكار نبوتهم وجحدهم هذا مع أن في نفوس الاعداء والحسدة مايحرك الدواعي الى البحث والتفتيش والعادة تحكم أن يكون لشخص نسبة الى ماذكر الا ويعلم ويقرع به * وبهذا تعرف الفرق بين المعجزة والسحر وهو أن السحر له سبب عادي مرتبط به بخلاف المعجزة اه (واعلم) ان دلالة المعجزة على صدق الرسل يصح أن تكون عقلية أي أن المعجزة تدل عقلا على صدق الآتي بها فان خلق الله تعالى لهذا الخارق على وفق دعوى الرسول وتحديه بذلك مع العجز عن معارضته وتخصيصه بذلك يدل عقلا على أنه تعالى أراد تصديقه كما يدل اختصاص الفعل بالوقت المعين والمحل المعين على ارادته تعالى لذلك بالضرورة وعلى هذا يستحيل عقلا صدور المعجزة على أيدي الكذابين لما يلزم من نقض الدليل العقلي بأن يوجد ولا يوجد مدلوله * ويصح أن تكون دلالة المعجزة على صدق الرسل وضعية أي أن دلالتها كدلالة الالفاظ بالوضع على معانيها لانها منزلة منزلة القول فان اظهار المعجزة من المولى جل وعز على وفق دعوى الرسول نازل منزلة قوله تعالى صدق عبدي في كل مايبلغ عني * ونظير ذلك ما اذا ادعى شخص لجماعة أنه رسول الملك وأخبرهم بأنه يأمرهم بكذا وكذا فقالوا له ما الدليل على صدقك فيقول أن يفعل الملك كذا وكذا خلاف عادته فيفعل الملك ذلك دليلا على صدقه ففعله ذلك تصديق له لانه نازل منزلة قوله صدق ذلك الشخص في دعواه أنه رسولي وفيما أخبركم به وعلى هذا يستحيل أيضاً صدور المعجزة على أيدي الكذابين لئلا يلزم تصديق الكاذب منه تعالى والخلف في خبره جل وعلا اذ تصديق الكاذب كذب والكذب عليه سبحانه محال لان خبره على وفق علمه فيكون صدقا فلو انتفى لانتفى العلم ملزومه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهو محال .وأيضاً قد ثبت اتصافه تعالى بالكمال والصدق صفة كمال ضدها نقص والنقص على الله تعالى محال فوجب كونه صادقا* ويصح أن تكون دلالة المعجزة على صدق الرسل عادية بحسب القرائن فحيث حصل العلم الضروري عنها بصدق الآتي بها فانه يستحيل أن يكون كاذبا والا انقلب العلم الضروري جهلا ولم يجر سبحانه عادته من أول الدنيا الى الآن الا بعدم تمكين الكاذب من المعجزات فلم يظهر المعجزة قط على يد كذاب بل عادته أن يفضح كل من أراد أن يبرز بمنصب النبوة وليس من أهلها واذا خيل أحد بسحر ونحوه لمعارضة معجزة نبي أظهر فضيحته عن قرب * واذا علم صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام لدلالة المعجزة وجب تصديقهم فى كل ماأتوا به عن الله تعالي ويستحيل عليهم الكذب عقلا والمعاصي شرعا لانا مأمورون بالاقتداء بهم فلو جازت عليهم المعصية لكنا مأمورين بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء وبهذا تعرف عدم وقوع المكروه منهم أيضاً بل والمباح على الوجه الذي يقع من غيرهم وهو أن يقع بهم بحسب مقتضى الشهوة بل لعظيم معرفتهم بالله تعالى وخوفهم منه واطلاعهم على مالم يطلع عليه غيرهم لا يصدر منهم المباح الا على وجه يصير في حقهم طاعة وقربة كقصدهم تشريعه والتقوي به على طاعة الله ونحو ذلك مما يليق بمقاماتهم الرفيعة ﴿الأمر الثاني﴾ في اثبات نبوة الانبياء وهو للحكماء هو أنا نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ماهو فكل من جاء ودعا الخلق اليه وحملهم عليه وكان لنفسه قوة في نقل الناس من الكفر الى الايمان ومن الاعتقاد الباطل الي الاعتقاد الحق ومن الاعمال الداعية الى الدنيا الي الاعمال الداعية الى الآخرة أي وكان مع ذلك مؤيداً بالمعجزة فهو النبي الحق المصدق * وتقريره أن نفوس الخلق قد استولي عليها أنواع النقص والجهل وحب الدنيا ونحن نعلم بعقولنا أن سعادة الانسان لا تحصل الا بالاعتقاد الحق والعمل الصالح

وحاصله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحاصله يرجع الي حرف واحد وهو أن كل ماقوى نفرتك عن الشر ورغبتك في الخير فهو العمل الصالح وكل ما كان بالضد من ذلك فهو العمل الباطل والمعصية واذا كان الامر كذلك كانوا محتاجين الى انسان كامل طاهر النفس مشرق الروح علوي الطبيعة ويكون بحيث يقوي على نقل هؤلاء الناقصين من مقام النقصان الى مقام الكمال وذلك هو النبي * فالحاصل أن الناس ثلاثة أقسام . الناقصون وهم عامة الخلق . والكاملون الذين لايقدرون على تكميل الناقصين وهم الاولياء . والقسم الثالث هو الكامل الذي يقدر على تكميل الناقصين وهو النبي كذا قال الامام فخر الدين . ولما كانت القدرة على نقل الناقصين من درجة النقصان الى درجة الكمال مراتبها مختلفة ودرجاتها متفاوتة لاجرم كانت درجات الانبياء في قوة النبوة مختلفة ولهذا السر قال النبي صلي الله عليه وسلم علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل انتهى * ومما يناسب هنا ماقاله بعض الحكماء أن النفس مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسلة لايستغني بمحمودها عن تأديب ولا يكتفي بالمرضي منها عن التهذيب لان لمحمودها اضدادا مقابلة يساعدها هوي مطاع وشهوة غالبة وان أغفل تأديبها بآداب الشرع تفويضاً الى العقل وتوكلا على أن ينقاد الى الاحسن بالطبع أعدمه التفويض درك المجتهدين وأعقبه التوكل ندم الخائبين فصار من الادب عاطلا وفي سورة الجهل داخلا انتهى وقال الاستاذ السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالي ان بداهة العقل حاكمة بأن جل المعارف البشرية والعقائد الدينية مكتسبة فان لم يكن في الناس معلم قصرت العقول عن درك ماينبغي لها دركه وانقطعت دون الكفاية مما يلزم لسد ضرورات الحياة الاولي والاستعداد لما يكون في الاخرى وساوي الانسان في معيشته سائر الحيوانات وحرم سعادة الدارين وفارق هذه الدنيا على أتعس الاحوال والشهوات النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ولا لرغائب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الانفس غاية تنقطع عندها فان فقدت من بين الناس مقوم النفوس ومعدل الاخلاق طغى سلطان الشهوة واندفع الى الحيف والاجحاف ومن طغت بهم شهواتهم سلبوا راحة غيرهم وهتكوا ستر أمتهم ثم هم لا ينفلتون من غائلة أعمالهم بل يختزنون بنيران شهواتهم فيرافقون الدنيا على عناء ويفارقونها الى شقاء فاذاً لابد من الامر بالمعروف الناهي عن المنكر بتقويم الاخلاق وماذاك الا الانبياء وورثتهم من العلماء ولهذا قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أي لئلا يكون للناس على الله معذرة يوم القيامة يعتذرون بها قائلين لولا أرسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا مالم نكن نعلم من أحكامك وينبهنا من سنة الغفلة لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجزاً كثر الناس عن ادراك كلياتها وانما سميت المعذرة حجة مع استحالة أن يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من أفعاله بل له ان يفعل ماشاء كما يشاء للتنبيه على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لامرد لها ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم ماأحد أحب اليه المعذرة من الله تعالى ففي قوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين الى آخره تنبيه على أن بعثة الانبياء الى الناس ضرورية ليبلغوهم عن الله تعالى أمره ونهيه ووعده ووعيده ويبينوا لهم عنه سبحانه وتعالى مايحتاجون اليه من أمور الدين والدنيا مما جاؤا به حتى تقوم الحجة عليهم بالبينات وتنقطع عنهم سائر التعللات فانه تعالى خلق الجنة والنار وأعد فيهما الثواب والعقاب وتفاصيل أحوالهما مما الوصول الى الاول منه احتراز عن شقاوة لا طريق للعقل اليه وان كان فيها نظار دقيقة لا يستقل بها العقل ولا تتيسر الا لواحد بعد واحد وكذا خلق الاجسام النافعة والضارة ولم يجعل للعقول والحواس الاستقلال بمعرفتهما وكذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جعل القضايا .منهاماهي ممكنات ولاطريق الي الجزم بأحدجانبيه . ومنهاماهي واجبات أوممتنعات لايظهر للعقل الا بعد نظر دقيق وبحث كامل بحيث لو اشتغل الانسان به لتعطل أكثر مصالحه فكان من فضل الله تعالى ورحمته ارسال الرسل الى البشر ليبان ذلك حتى تقوم الحجة عليهم بالبيانات المنتظمة عن سماء الوحي (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) قال الامام فخر الدين عند قوله تعالى (كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين) ان قيل لم قيد هذه الذكري بالمؤمنين قلنا هو نظير قوله تعالي هدى للمتقين * البحث العقلي فيه أن نفوس البشرية على قسمين . نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر اللذات الجسمانية والشهوات الجسدانية . ونفوس شريفة شريفة نورية الاطية مستعدة بالجواذب الروحانية فبعثة الانبياء والرسل على القسم الاول للانذار وتخويف فانهم لما غرقوا في بحر الغفلة ورقدة الجهالة احتاجوا الى موعظة يوقظهم والى منبه ينبههم . وأما في القسم الثاني فتذكير وتنبيه وذلك لان هذه النفوس بمقتضي جواهرها الاصلية مستعدة للانجذاب الي عالم القدس والاتصال بالحضرة الصمدية الا أنه ربما غشيها غواش من عالم الجسم فيعرض لها نوع ذهول وغفلة فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها أنوار أرواح رسل الله تعالى تذكرت مركزها وأبصرت منشأها واشتاقت الى ماحصل عندذلك من الروح والراحة والريحان فثبت أنه تعالي انما أنزل هذا الكتاب على رسوله صلى الله عليه وسلم ليكون انذارا في حق طائفة وذكري في حق طائفة أخرى والله أعلم انتهي . وقد أشار الحكماء من الصوفية حكمة لطيفة يصح أن يستدل بها طريق غير ما ذكر الرازي في اثبات الرسالة وهي أنه لابد من الفاعل والقابل والمقابل لانعدامها في العلائق الدنيئة كالأكل والشرب وغيرهما من الانذار للطبيعة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والعوائق الطبيعية كالاوصاف الذميمة وصفات الباري، في غاية التنزه والتقدس ونهاية العلو والصفاء والضياء واذاً فلابد من توسط ذي جهتين تكون له صفات عالية جداً وهو من جنس البشر ليقبل عن الله بصفاته الكمالية ونقبل عنه بصفاتنا البشرية ولذا لم يستنبيء الله ملكا فان البشر لا يقدر على الاستفادة منه لكونه خلاف جنسه ألا يرى ان العظم لما عجز عن أخذ الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الله تعالى بحكمته بينهما العضروف المناسب لهما ليأخذ من اللحم ويعطى العظم وجعل السلطان الوزير بينه وبين رعيته اذهم أقرب الى قبولهم منه وجعل المستوقد الحطب اليابس بين النار وبين الحطب الرطب فالانبياء والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويوقفونهم على مالا يعلمون من أمره ومالم يعلموه من أحوال خلقه ابتداء وانتهاء وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسامهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طاريء عليها مايطرأ على البشر من القوي الشهوية والغضبية ونعوت الانسانية وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لايلحقها غالباً عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة البشرية كظواهرهم لما أطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا اليه مخالطتهم كما قال تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات * قال الامام حجة الاسلام النبوة عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب وأمور لا يدركها العقل. والشك في النبوة ا

أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن يقع فى امكانها أوفى وجودها ووقوعها أوفي حصولها لشخص معين ودليل امكانها ووجودها معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل كعلم الطب والنجوم فان من يبحث عنهما علم بالضرورة أنهما لا تدرك أحكامهما الا بالهام وتوفيق من جهة الله تعالى والتسبيل اليه بالتجربة وكذلك خواص الادوية فيتبين من هذا أن فى الامكان وجود طريق لادراك هذه الامور التى لا يدركها العقل وهذا يكفيك للايمان بأصل النبوة فان وقع لك شك فى شخص معين أنه نبي أم لا فلا يحصل اليقين الا بمعرفة أحواله إما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامع فانك اذا عرفت الطب والفقه يمكنك أن تعرف الفقهاء والاطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وان لم تشاهدهم ولا تعجز أيضاً عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيها وكون جالينوس طبيبا معرفة بالحقيقة لا بالتقليد للغير بأن تتعلم شيئاً من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم ضرورى بحالهما فكذلك اذا فهمت معنى النبوة فاكثر النظر فى القرآن والاخبار يحصل لك العلم الضرورى بكونه صلي الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة وأعضد ذلك بتجربة ماقاله فى العبادات وتأثيرها فى تصفية القلوب وكيف صدق فى قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وكيف صدق فى قوله صلي الله عليه وسلم من أعان ظالما سلطه الله عليه وكيف صدق فى قوله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة فاذا جربت ذلك في ألف وألفين وآلاف حصل لك علم ضرورى لا تتمارى فيه . فمن ذلك لطريق اطلب اليقين بالنبوة ولتكن الخوارق والمعجزات احدي الدلائل والقرائن جملة تدرك حتي يحصل لك علم ضرورى لا يمكنك ذكر مستنده الى أحد كالذي يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يذكر ان اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من مجموع لا يدرى ولا يخرج

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن جملة ذلك ولا يتعين الآحاد فهذا الايمان القوي العلمي وأما الذوق فهو كالمشاهدة والاخذباليد ولا يوجد الا في طريق التصوف * ثم قال رضي الله عنه اني لما واظبت على العزلة والخلوة قريباً من عشر سنين بان لي في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهاني ومرة بالقبول الايماني أن الانسان خلق من بدن وقلب وأعني بالقلب حقيقة روحه التي هي معرفة الله دون اللحم والدم الذي يشارك فيه الميت والبهيمة وأن البدن له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم وله مرض فيه هلاكه الابدي والاخروي كما قال تعالى في قلوبهم مرض وأن الجهل بالله سمة المهلك وأن معصية الله بمتابعة الهوي داؤه المرض وأن معرفة الله ترياقه المحي وطاعته بمخالفة الهوى دواؤه الشافي وانه لا سبيل الي معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بأدوية كما لا سبيل في معالجة البدن الا بذلك وكما أن أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين أخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء فكذلك بان لي على الضرورة أن أدوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبياء لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الانبياء الذين أدركوا تلك الخواص بنور النبوة لا ببضاعة العقل وكما ان الادوية تركبت من أخلاط مختلفة النوع والمقدار فبعضها ضعف البعض في الوزن ولا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص فكذلك العبادات التي هي أدوية داء القلوب مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار حتى ان السجود ضعف الركوع وصلاة الصبح نصف صلاة العصر في المقدار فلا يخلو من سر من الاسرار التي هي من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة فقد تحاقق

وتجامل

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتجاهل من أراد أن يستنبط بطريق العقل لها حكمة أوظن انها ذكرت على الاتفاق لا عن سر الهي فيها يقتضيها بطريق الخاصية وكما أن في الادوية أصولا هي أركانها وزوائد هي متمماتها لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها كذلك النوافل والسنن متمات لتكميل آثار أركان العبادات وعلى الجملة فالانبياء أطباء أمراض القلوب وانما فائدة العقل وتصرفه أن عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك مايدرك بعين النبوة وأخذنا بأيدينا وسلمنا اليها تسليم العميان الى القائدين وتسليم المرضى المتحيرين الي الاطباء المشفقين والى ههنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهيم مايلقيه الطبيب فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة في مدة الخلوة والعزلة اه وربما أوهم كلام الامام أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الاحكام الشرعية من باب التقليد لكن قال العلامة الشرقاوي ولا يشمل التقليد اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الاحكام الفرعية وكذا في العقائد التي دليلها سمعي وهي التي لا تتوقف عليها دلالة المعجزة على صدق الرسول كالسمع والبصر والكلام ولوازمها وبقية السمعيات كالحشر والنشر فلا يسمى ذلك تقليداً لان التقليد أن تتبع الغير بدون معرفة دليله ولا شك أن قوله صلى الله عليه وسلم أو فعله أو تقريره عين الدليل . وأما التي دليلها عقلي وهي التي تتوقف عليها دلالة المعجزة على صدق الرسول كالقدرة والارادة ونحوهما فان تبعه فيها بعد تصديقه بأنه رسول لم يسم الاتباع المذكور تقليداً أيضاً لان التصديق برسالته فرع عن التصديق بثبوت تلك الصفات له تعالى اذ لا يكون رسولا الا من ظهرت المعجزة على يده ولا توجد المعجزة الا ممن كان متصفاً بتلك الصفات وحينئذ فيكون الاعتماد في ثبوتها له تعالى على الدليل العقلي وهو قولنا ولا توجد المعجزة الخ ويكون قول الرسول أو فعله أو تقريره مؤكداً لذلك وأما ان لم يصدق برسالته بل الرسول عنده

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كواحد من الناس فتبعه من حيث كونه كآحاد الناس فيسمى اتباعه فى ذلك تقليداً * ثم قال نقلا عن الامام حجة الاسلام ولا تظن ان معرفة النبي صلى الله عليه وسلم أمور الدنيا والآخرة تقليداً لجبريا عليه السلام بل انكشف له صلى الله عليه وسلم الاشياء وشاهدها بنور البصيرة كما شاهدت أنت المحسوسات بالعين الظاهرة اه وقال الامام حجة الاسلام أيضاً تكاليف الله عباده ايضا هى تكاليف الانسان عبده الاعمال التي يرتبط بها غرضه وما لا حظ له فيه وما لا يحتاج اليه فلا يكلفه به تكليف الله تعالى عباده يجرى مجرى تكليف الطبيب المريض فاذا غلبت عليه الحرارة أمره بشرب المبردات والطبيب غنى عن شربه لبصيرته بمخالفته ولا تنفعه موافقته ولكن الضرر والنفع يرجعان الى المريض انما الطبيب هادٍ ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطبيب شفي وتخلص وان لم يوفق فخالفه تمادى به المرض وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب سيان فانه مستغن عن بقائه وفنائه فكما ان الله تعالى خلق للشفاء اسباباً فضياً انه كذلك خلق للسعادة اسباباً هو الطاعات ونهي النفس عن الهوى بالمجاهدة لتزكيه لها من رذائل الاخلاق منجيات .ورذائل الاخلاق فى الآخرة مهلكات كما أن رذائل الاخلاط ممرضات فى الدنيا ومهلكات فى العاقبة وما ضاهاه من حياة الآخرة كالسموم وما ضاهاه الى حياة الدنيا للنفوس طبيب كما ان الاجساد أطباء وقد بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام أطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق الفلاح بتمهيد طرق المزكية للقلوب كما قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها * ثم قال ان الطبيب أمره بكذا ونهاه عن كذا فانه زاد مرضه لانه خالف الطبيب وانه صح لانه راعي قانون الطب فلم يقصر فى الاحتماء وبالحقيقة لم يتماد مرض المريض بمخالفة الطبيب لعين المخالفة بل لانه سلك غير طريق الصحة التي أمره الطبيب بها فكذلك التقوي هى الاتمام الذى ينفى عن القلوب

أمراضها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أمراضها وأمراض القلوب تفوت الحياة الآخرة كما تفوت بأمراض الاجساد حياة الدنيا * والمثال الآخر أن ملكا من ملوك الناس يمد بعض عبيده الغائب عن مجلسه بمال ومركوب ليتوجه لملاقاته لينال رتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استغناء الملك عن الاستعانة به وتصميم العزم على أن لا يستخدمه أصلا ثم ان العبد ان ضيع المركوب وأهلكه وأنفق المال في زاد الطريق كان كافراً للنعمة وان ركب المركوب وأنفق المال في طريق مزوداً به كان شاكراً للنعمة لا بمعنى أنه أنال الملك حظا فانه لم يزدد بالانعام اليه والتكليف الحضور حظا لنفسه ولكن أراد بما زاده العبد فاذا وافى مراد السيد فيه كان شاكراً وان خالف عدت مخالفته كفرانا والله تعالى يستوي عنده كفر الكافرين وايمانهم بالاضافة الى جلاله واستغنائه والكفر لا يرضي لعباده الكفر فانه لا يصلح لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضي الطبيب هلاك المرضى ويعالجهم والملك المستغني عن عبده لعبده الشقاوة بالبعد عنه ويريد له السعادة بالقرب منه هو غني عنه قرب أو بعد فهكذا ينبغي أن يفهم أمر التكليف فان الطاعات أدوية والمعاصي سموم وتأثيرها في القلوب ولا ينجو الا من يأتي الله بقلب سليم كما لا تسعد بصحة الا من أتى بمزاج معتدل كما يصح قول الطبيب للمريض قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان عصيتني فلنفسك ان خالفت فعليها كذلك قال الله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وقال من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها * وأما العقاب على ترك الامر وارتكاب النهي فليس العقاب من الله تعالى انتقاما للغضب ومثال ذلك ان من غادر الوقاع عاقبه الله بعدم الولد ومن ترك ارضاع الطفل عاقبه بهلاك الولد ومن ترك الاكل والشرب عاقبه بالجوع والعطش ومن ترك تناول الادوية عاقبه بألم المرض وغضب الله تعالى على عباده عين ارادته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الايلام كما أن الاسباب والمسببات يتأدى بعضها الي بعض في الدنيا بترتيب مسبب الاسباب فبعضها يفضي الى الآلام وبعضها الى اللذات ولا يعرف عواقبها الا الانبياء فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى آلام الآخرة من غير فرق فالسؤال عن أنه لم تفضى المعصية الى العقاب كالسؤال في أنه لم يهلك الحيوان السم ولم يؤدى السم الى الهلاك ولم خلق جسد الانسان على وجه يفعل فيه السم أثرا وينفعل البدن عنه وهو لا ينفعل عن البدن فكذلك الكلام في أنه لم خلق الله تعالي نفس الانسان على وجه تكملها وتنجيها الفضائل وتهلكها الرذائل ثم قال رضي الله عنه وههنا مباحثة أخرى منها ان الله تعالي كيف يأمر بالشيء وينهى عن البحث عنه والبصيرة لا تحصل الا بالبحث عنه وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعى اعتقاداً جازما أو معرفة حقيقية والاعتقاد الجازم يعرف بالتقليد المجرد على سبيل التصديق والايمان والمعرفة تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم ينه عن البحث الخلائق كلهم بل الضعفاء العاجزون عن الاطلاع على حقائق البرهان ومعضلات البحث ومثال ذلك الطبيب الذى يأمر العليل بشرب الدواء وينهه عن البحث عن سبب كون هذا الدواء شافياً فانه يقصر عنه فهمه ويشق عليه ويعجز عنه ويزداد المريض ويستضر به فان وجد على سبيل الندور مريضاً ذكياً سالكا منهاج الطب وعلل الامراض لم ينهه من البحث ولم ينهه عن ذكر المناسبة بين دوائه وبين مرضه بل اذا علم أنه ليس يؤمن بمجرد قوله وليس تقلد محض التقليد لما خص به من الذكاء وما يفهم من أسباب العلة وعلم أنه اذا فهم العلة والمناسبة اشتغل بالعلاج وان لم يكن يفهم أعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة ولم يمنع من البحث اذا علم استقلاله به الا أن ذلك نادر في المرضي جدا والاكثرون يضعفون عن ذلك وكذلك معرفة العلل والاسرار والبحث عنها في الشرعيات من هذا

القبيل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القبيل * ثم قال والوحي الالهي والشرع الحق لايرد بما ينبو عنه العقل فان أراد بنبوّ العقل أن برهان العقل يدل على استحالته كخلق الله تعالى مثل نفسه أو الجمع بين المتضادين فهذا مالايرد به الشرع وان أراد به مايقصر العقل عن ادراكه ولايستقل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال أن يكون في علم الاطباء مثلا جذب المغناطيس للحديد وأن المرأة لومشت فوق حية مخصوصة ألقت الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل بمعنى أنه لايقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع عليه فلا ينبو عنه للحكم باستحالته * ثم قال وأما معنى قول الله تعالى لايسئل عما يفعل وهم يسئلون — وقوله تعالى لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً فالسؤال قد يطلق ويراد به الالزام يقال ناظر فلانا وتوجه عليه سؤاله وقد يطلق ويراد به الاستخبار كما يسأل التلميذ استاذه والله تعالى لايتوجه عليه السؤال بمعنى الالزام وهو المعني بقوله لايسئل عما يفعل اذ لايقال له لم فعل الزام فأما أن لايستخبر ولايستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله لم حشرتني أعمى ومن ترقى عن محل التقليد بأدنى كياسة ولم ينته الى رتبة الاستقلال كان من الهالكين فنعوذ بالله من كياسة لاتنفع فان الجهالة أدنى الى الخلاص والنجاء منها

ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

وقال رضي الله عنه اني تتبعت مدة آحاد الخلق أسأل من يقصر منهم في متابعة الشرع وأسأله عن شبهته وأبحث عن عقيدته وسره وقلت له مالك تقصر فيها فان كنت تؤمن بالآخرة ولست تستعد لها وتيممها بالدنيا فهذه حماقة فانك لاتبيع الاثنين بواحد فكيف تبيع مالا نهاية له بأيام معدودة وان كنت لاتؤمن بها فأنت كافر فدبر نفسك في طلب الايمان وانظر ماسبب كفرك الخفي الذي هو مذهبك باطنا وهو سبب جراءتك ظاهرا وان كنت لاتصرح به تجملا بالايمان تشير ما بذكر الشرع

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فقائل يقول هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك فلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلي وفلان يشرب الخمر وفلان يأكل أموال الاوقاف واليتامى وفلان لا يحترز عن أكل الحرام وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا الى أمثاله * الى أن قال رضي الله عنه وقائل يقول لست أفعل هذا تقليداً ولكني قرأت علم الفلسفة وأدركت حقيقة النبوة وان حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف وانما أنا من الحكماء أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغن فيها عن التقليد هذا منتهى ايمان من قرأ مذهب فلسفة الالهيين منهم وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وابي نصر الفارابي وهؤلاء هم المتجملون منهم بالاسلام وقد انخدع بهم جماعة وزادهم انخداعا ضعف اعتراض المعترضين عليهم اذ اعترفوا بجاحدة علم الهندسة والمنطق وغير ذلك مما هي ضرورية لهم على ما نبهنا عليه من قبل فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف ايمانهم الى هذا الحد ورأيت نفسي مليئة تعنيني بكشف هذه الشبهة حتى كان افضاح هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء لكثرة خوضي في علومهم انقدح في نفسي أن ذلك متعين في هذا الوقت محتوم * وقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل وجود علم خواص الادميين النجوم وغيرها وانما أوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم لانه من نفس علمهم ونحن نبين لكل عالم بفن من العلم كالنجوم والطب والطبيعة مثلا من نفس علمه برهان النبوة * وأما من أثبت النبوة بلسانه وسوى أوضاع الشرع * الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة انما هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص يقتضي طالعه أن يكون متبوعا وليس ذا من النبوة في شيء بل الايمان بالنبوة أن يقر باثبات طور وراء العقل يفتح فيه عين يدرك بها

مدركات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن ادراك المبصرات وجميع الحواس عن ادراك المعقولات وان لم يجوزها فقد أقمت البرهان على امكانه بل على وجوده فان جوز هذا فقد أثبت أن ههنا أمورا تسمي خواص لايدور تصرف العقل حواليها أصلا بل يكاد العقل يكذبها ويقضي باستحالتها فان وزن دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق لفرط برودته والذي يدعي علم الطبيعة بزعم ان مايبرد من المركبات انما يبرد بعنصري الماء والتراب فهما العنصران الباردان ومعلوم ان أرطالا من الماء والتراب لايبلغ تبريدها في الباطن الى هذا الحد فلو أخبر طبيعي بهذا ولم يجرّبه لقال هذا محال والدليل على استحالته أن فيه نارية وهوائية والهوائية والنارية لاتزيده برودة فقدر الكل ماء وترابا فلا يوجب هذا افراط التبريد فان انضم اليه حاران فبأن لايوجب أولي ويقدّر هذا برهانا وأكثر براهين الفلاسفة في الطبيعيات والالهيات مبني على هذ الجنس فانهم تصوروا الامور على قدر ماوجدوه وعقلوه ومالم يألفوه قدروا استحالته ولولم تكن الرؤيا الصادقة مألوفة وادعى مدع أنه عند ركود الحواس يعلم الغيب لانكره المتصرفون بمثل هذا المعقول ولو قيل لواحد هل يجوز أن يكون في الدنيا شيء هو مقدار حبة يوضع في بلدة فيأكل تلك البلدة بجملتها ثم يأكل نفسه فلا يبقى شيأ من البلدة ومافيها ولا يبقى هو في نفسه لقال هذا محال وهو من جملة الخرافات وهذه حالة النار وينكرها من لم ير النار اذا سمعها وأكثر عجائب الآخرة هو من هذا القبيل فنقول للطبيعي قد اضطررت الى أن تقول في الافيون خاصية في التبريد ليس على قياس المعقول بالطبيعة فلم لايجوز في الاوضاع الشرعية أن يكون لها من الخواص في مداواة القلوب وتصفيتها مالايدرك بالحكمة العقلية بل لايبصر ذلك الا بعين النبوة بل قد اعترفوا بخواص هي أعجب من هذا فيما

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أوردوه في كتبهم فليت شعري من يصدق بذلك لم يتسع عقله للتصديق بأن تقديم صلاة الصبح بركعتين والظهر بأربع والمغرب بثلاث هي بخواص غير معقولة بنظر الحكمة وسببها اختلاف هذه الاوقات، وربما تدرك هذه الخواص بنور النبوة والعجب أنالو غيرنا العبارة في عبارة المنجمين لعقلوا اختلاف هذه الاوقات فنقول أليس يختلف الحال في الطالع بأن تكون الشمس في وسط السماء أو في الطالع أو في الغارب حتى يبنون على هذا في تسييراتهم اختلاف الهيلاج وتفاوت الاعمار والآجال، فلا فرق بين الزوال وبين كون الشمس في وسط السماء ولا بين المغرب وبين كون الشمس في الغارب فهل لتصديقه سبيل الا أن ذلك يسمعه بعبارة منجم لعله جرب كذبه مائة مرة ولا يزال يتعاود تصديقه حتى لو قال المنجم اذا كانت الشمس في وسط السماء ونظر الى الكوكب الفلاني والطالع هو البرج الفلاني فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت قتلت في ذلك الثوب فانه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت وربما يقاسي البرد الشديد وربما سمع ذلك من منجم قد عرف كذبه مرات فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البدائع ويضطر الى الاعتراف بأنها خواص معرفتها معجزة بعض الانبياء كيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب فان أنكر فلسفي امكان هذه الخواص في أعداد الركعات ورمي الجمار وعدد أركان الحج وسائر تعبدات الشرع لم نجد بينها وبين خواص الادوية والنجوم فرقا أصلا، فان قال قد جربت شيأ من النجوم وشيأ من الطب فوجدت بعضه صادقا فانقدح في نفسي تصديقه وسقط عني استبعاده ونفرته وهذا لم أجربه فيما أعلم وجوده وتحققه ان أقررت بامكانه * فأقول لا تقتصر في تصديق ما جربته بل سمعت أخبار المجربين وقلدتهم فاسمع أقوال الاولياء

فقد

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فقد جربوه وشاهدوا الحق فى جميع ماورد به الشرع واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على انى أقول وان لم تجربه فيقضى عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعاً فانا لو فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب فمرض وله والد مشفق حاذق بالطب يسمع دعواه معرفة الطب منذ عقل فعجن له والده دواء فقال هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك فماذا يقضيه عقله وان كان الدواء مرا كريه المذاق أن يتناول أو يكذب ويقول أنا لا أعقل مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء ولم أجربه فلا شك أنك تستحمقه ان فعل ذلك وكذلك يستحمقك أهل البصائر فى توقفك * فان قلت فلم أعرف شفقة النبي عليه السلام ومعرفته بهذا الطب * فأقول وبم عرفت شفقة أبيك ليس ذلك أمرا محسوساً لكن عرفته بقرائن أحواله وشواهد أعماله فى مصادره وموارده علما ضروريا لا تماري فيه ومن نظر فى أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماورد من الاخبار فى اهتمامه بارشاد الخلق وتلطفه فى جر الناس بأنواع اللطف والرفق الى تحسين الاخلاق واصلاح ذات البين وبالجملة الى مايصلح به دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري بأن شفقته على أمته أعظم من شفقه لو لد على ولده واذا نظر الى عجائب ماظهر عليه من الافعال والى عجائب الغيب الذى أخبر عنه فى القرآن على لسانه وفي الاخبار الى ماذكره فى آخر الزمان وظهور ذلك كما ذكره علم علما ضروريا أنه بلغ الطور الذى وراء العقل وانفتح له العين التى ينكشف منها الغيب الذى لا تدركه الحواس والامور التي لا يدركها العقل فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضروري بصدق النبي عليه الصلاة والسلام فجرب وتأمل القرآن والاخبار تعرف ذلك بالعيان وهذا القدر يكفى المتفلسفه ذكرناه لشدة الحاجة اليه فى هذا الزمان اه كلام حجة الاسلام مع بعض اختصار * وقد ذكر في ضعف الايمان بسبب سوء سيرة العلماء أن هذا المرض يداوي بثلاثة أمور . أحدها أن تقول ان العالم الذي تزعم أنه يأكل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحرام معرفته بتحريم ذلك الحرام كمعرفتك بتحريم الخمرة أو الربا بل تحريم الغيبة والكذب والنميمة وأنت تعرف ذلك وتفعله لالعدم ايمانك بأنه معصية بل لشهوتك الغالبة عليك فشهوته كشهونك وقد غلبته فعله بمسائل وراء هذا يتميز به عنك لايناسب زيادة زجر عن هذا المخطور المعين. وكم من مؤمن بالطب لا يصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد وان زجره الطبيب عنه ولا يدل ذلك على أنه غير ضار أو على ان الايمان بالطب غير صحيح فهذا محمل هفوة العلماء * الثانى أن يقال العامي ينبغي ان يعتقد أن العالم اتخذ علمه ذخراً لنفسه في الآخرة ويظن أن علمه ينجيه ويكون شفيعاً له حتى يتساهل معه في أعماله لفضيلة علمه وان جاز ان يكون علمه زيادة حجة عليه فهو وان يترك العمل فيدلي بالعلم أما أنت أيها العامي اذا نظرت اليه تركت العمل وأنت عن العلم عاطل فتهلك بسوء عملك ولا شفيع لك * الثالث وهو الحقيقة ان العالم الحقيقي لا يفارق معصية الا في سبيل الهفوة ولا يكون مصراً على المعاصي أصلا اذا العالم الحقيقي من يعرف أن المعصية سم مهلك وأن الآخرة خير من الدنيا ومن عرف ذلك لا يبيع الخير بما هو أدنى وهذا العلم لا يحصل بأنواع العلوم التي يشتغل بها أكثر الناس فلذلك لا يزيدهم هذا العلم الا جراءة على معصية الله تعالى وأما العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفا وذلك يحول بينه وبين المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في العثرات وذلك لا يدل على ضعف الايمان فالمؤمن مفتن تواب وهو بعيد عن الاصرار والاكباب

﴿المبحث الثاني في رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وفيه مطلبان﴾

﴿المطلب الاول * في كيفية الاستدلال على رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم﴾

نظم الدليل في اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يقال محمد صلى الله

عليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عليه وسلم ادعى الرسالة وظهرت المعجزة على وفق دعواه وكل من كان كذلك فهو رسول الله تعالي ينتج محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله جل وعلا أما الصغرى فهي معلومة بالتواتر الذي ينقله الموافق والمخالف والتواتر موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الخالية في الازمنة الماضية والبلدان النائية * فهنا أمران * أحدهما أن التواتر موجب للعلم وذلك بالضرورة فانا نجد من أنفسنا العلم بوجود مكة والمدينة وانه ليس الا بالاخبار * والثاني أن العلم الحاصل به ضروري وذلك لأنه يحصل للمستدل وغيره حتى الصبيان الذين لا اهتداء لهم بطريق الاكتساب وترتيب المقدمات . وأما دليل الكبري فقد تقدم في وجه دلالة المعجزة ﴿ واعلم ﴾ أن ظهور المعجزة على يدينا وسولانا محمد صلي الله عليه وسلم لوجهين (أحدهما) أنه نقل عنه عليه الصلاة والسلام من خوارق العادات ما بلغ القدر المشترك منه أعني ظهور المعجزة حد التواتر وان كانت تفاصيلها آحاداً ولم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها على يديه صلى الله عليه وسلم ولا يختلف مؤمن وكافر أنه قد خرت على يديه صلى الله عليه وسلم عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالي وأن ذلك بمثابة قوله تعالى صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضاً من نبينا ضرورة لانفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف لانفاق الاخبار الوادرة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كانت أفراد ذلك ظنية وردت موارد الآحاد مع أن بعض المعجزات النبوية قد نطق بها القرآن وكثير منها قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك وقلة مطالعتهم للاخبار وروايتها وشغلهم بغير ذلك والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فى صحة هذه القصص المشهورة ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند غيره لأن المراد بكون التواتر محصلا للعلم انما هو عند من علم التواتر وعد أهله أي أهل موضوع التواتر لا عند جميع الخلق ومثاله سهل جدا فانك اذا سألت أحد أهل السياسة وعلماء الجغرافية عن وجود بلدة تسمى (استكهولم) أجابك حالا بأنها موجودة قطعاً وأنها تحت مملكة السويد وأنه لا يرتاب في ذلك كما لا يرتاب فى وجود نفسه فاذا أتيت لجمهور علماء الجامع الازهر وغيرهم من عمد علماء الدين وسألتهم عن تلك البلاد لا تجد عند أحد منهم شعورا بها ولا يجيبك الا بأنى لا أعلم لهذا الاسم من موضوع فهل يكون عدم معرفة الجمهور العظيم من علماء الشريعة قادحاً فى وجود تلك البلاد أو فى كونها تحتا لتلك المملكة أو يكون الحكم بعدم تلك البلاد صحيحاً لعدم ثبوت التواتر لمن لم يشاهدها من أهل العلم بذلك وأيضاً فان أمثال الاخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد فى كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة *وأعلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا . ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا (وثانيهما) أن القرآن العظيم الذي أوحى اليه موجود محفوظ وهو منطو على وجوه من الاعجاز لا تنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلماء فى اعجازه على ستة أوجه والمراد أنها جملة الوجوه التى حصل بها الاعجاز وليس المراد أن من قال بواحد نفى غيره *الوجه الاول حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام وقد خصوا من البلاغة والحكم مالم يختص به غيرهم من الامم وأوتوا من ذربة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اللسان. مالم يؤت انسان. ومن فصل الخطاب. مايقيد الالباب. جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقه. وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب. ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب. ويرتجزون به بين الطعن والضرب. ويمدحون ويقدحون. ويتوسلون ويتوصلون. ويرفعون ويضعون. فيأتون من ذلك بالسحر الحلال. ويطوّقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل. فيخدعون الالباب. ويذللون الصعاب، ويذهبون الاحن. ويهيجون الدمن. ويجرؤون الجبان. ويبسطون يد الجعد البنان. ويصيرون الناقص كاملا. ويتركون النبيه خاملا. منهم البدوي ذواللفظ الجزل. والكلام الفخم والقول الفصل. والطبع الجوهري. والمنزع القوي. ومنهم الحضري ذوالبلاغة البارعة. والالفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة. والطبع ذى السهولة والدعه. والتصرف في القول القليل الكلفة الرقيق الحاشية. الكثير الرونق ذى المعانى الوافية. وكلا البابين في كل مقام مطابق. وفي كل حال موافق. فلهما في البلاغة الحجة البالغة. والقوة الدامغة. والقدح الفالج. والمهيع الناهج. لايشكون أن الكلام طوع مرادهم. والبلاغة ملك قيادهم. قدحوا فنونها. واستنبطوا عيونها. ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها. فقالوا فى الخطير والمهين. وتفننوا فى الغث والسمين. وتقاولوا فى القل والكثر. وتساجلوا فى النظم والنثر. فماراعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته. وفصلت كلماته. وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول. « تضافر ايجازه واعجازه. وتظاهرت حقيقته ومجازه. وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه. وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه. واعتدل مع ايجازه حسن نظمه. وانطبق على كثرة فوائده مختار

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered
وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

لفظه . وهم أفسح ما كان في هذا الباب مجالا . وأشهر في الخطابة رجالا . واكثر في السجع والشعر ارتجالا . وأوسع في اللغة والغريب مقالا . بلغتهم التي بها يتحاورون . ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين . ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملا أجمعين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله . ولم يزل يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء الي أن يعارضوه بالبيان . ولو بسورة واحدة . أو ثلاث آيات متعددة . ولما عجزوا وتعللوا بالنزهات . قال فهاتوها مفتريات وذلك أن المفترى أسهل . والطبع على الاتيان به أقوى وأعجل . ووضع الباطل والمختلق على اختياره أقرب . واللفظ اذا تبع المعني انه حيح كان أصعب . ولذلك قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد . والاول على اثني فضل وبينهما شأو بعيد . فلم يزل يقرعهم أشد التقريع . ويوبخهم غاية التوبيخ المريع ويسفه أحلامهم . ويحط أعلامهم . ويشتت نظامهم . ويذمهم وآلهتهم . ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم . وهم في كل هذا ناكصون . وعن معارضته محجمون . وعن مماثلته مخادعون أنفسهم بالتشغيب والاغراء . والتكذيب والافتراء . وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر . وسحر مستمر . وافك افتراه . وأساطير الاولين اكتتبها . والمباهتة والرضا بالدنيئة كقولهم قلوبنا غلف . وفي أكنة مما تدعونا اليه . وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب . ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون * والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال الله تعالى لهم ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا . ومن تعاطي ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عوراه لجميعهم وسلبهم الله تعالى ما ألفوه من فصيح كلامهم والاقلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم . ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون * وكون القرآن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعارف بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين والمفترين باعجاز بلاغته . وأنت اذا تأملت سائر آيات القرآن خصوصاً ماهو منها بمحل من ايجاز لايرام. وإعجاز لايسام .حققت مابينته من ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها ودباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ماستفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سردها وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها ، وتناصف في الحسن وجه مقابلتها. ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها* قال بعض العلماء ان الذي أورده عليه الصلاة والسلام على العرب من الكلام الذي أعجزهم عن الاتيان بمثله أعجب في الآية وأوضح في الدلالة على من إحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين في اللسن بكلام مفهم المعني عندهم وكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عليه السلام عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل على أن العجز عنه انما كان ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح * ثم ان القرآن

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

باق دون غيره من المعجزات ومنه تستنبط الاحكام الشرعية والعلوم العقلية ولم تستنبط من معجز سواه ولذا قيل معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن باقية الي يوم القيامة وقال أبو سليمان الخطابي وقد كان صلي الله عليه وسلم من عقلاء الرجال عند أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله على الاطلاق وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربه تعالى بأنهم لا يأتون بمثل ماتحداهم به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بأن ذلك من عند الله علام الغيوب وانه لا يقع فيما أخبر عنه خلف لم يأذن له عقله أن يقطع القول فى شيء بأنه لا يكون وهو يكون اه وهذا من أحسن مايكون فى هذا المجال وأبدعه وأكمله وأبينه فانه نادي عليهم بالعجز قبل الاشهاد . فلم يستطع أحد الالمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد. فقال وكان بما ألقي اليهم خبيراً . قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . وقد ورد من الاخبار فى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بعض مانزل عليه على المشركين الذين كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجازه جمل كثيرة *فمن ذلك ماورد عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد يامعشر قريش ألا أقوم الى محمد فأعرض عليه أمورا لعله أن يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا بلي ياأبا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياابن أخي انك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة والمكانة فى النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال النبي صلي الله عليه وسلم قل ياأبا الوليد أسمع

قال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال يا ابن أخي ان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الامر الذي يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك أو نعذر فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال فافعل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً فمضي رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا أبا الوليد قال سمعت قال فأنت وذاك فقام عتبة الي أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس قالوا ماوراءك يا أبا الوليد قال والله قد سمعت قولا ماسمعت بمثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يامعشر قريش أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا مابدا لكم هذا حديث محمد بن كعب عند ابن اسحاق * وزاد فى رواية غيره قال فأجابني بشيء والله ماهو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب رواه البيهقي وغيره * وفى حديث اسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيساً فقال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والله ماسمعت بأشعر من أخي أنيس قد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم وانه انطلق الي مكة وجاء الي أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون . رواه مسلم والبيهقي *وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الى آخر الآية قال أعد فأعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله مافيكم رجل أعلم بالاشعار مني ولا أعلم برجزه ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيأ من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وفي خبره الآخر حين جمع قريشاً عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً فقالوا نقول انه كاهن قال والله ماهو بكاهن ماهو بزمزمته ولا سجعه قالو مجنون قال ماهو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول شاعر قال وما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ماهو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال وما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال فما أنتم قائلون من هذا شيأ الا وأنا أعرف أنه باطل وان أقرب القول أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرّقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون لسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمرّ بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أمره فصدرت العرب عن ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها رواه ابن اسحاق والبيهقي . وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن اسحاق بن يسار قال حدثني اسحاق ابن يسار عن رجل من بني سلمة قال لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال وما أحسن هذا وأجمله أو كل كلامه مثل هذا قال يا أبت وأحسن من هذا وقال بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة أنه منزل من عند الله وأن البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقال انه كلام الله وتحدي الخلق كلهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك اه (وحكي) أبو عبيد أن اعرابياً سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام . وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام . (وحكى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا برجل على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فأملاها فاذا هي قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية (وحكى) الاصمعي أنه رأى جارية خماسية أو سداسية أي بلغت خمسا أو ستا وهي تقول استغفر الله من ذنوبي كلها فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت

أستغفر الله لذنبي كله * قتلت انسانا بغير حله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مثل غـزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم أصـله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فالجمع بين ماذكر فى آية واحدة كما ذكره الدال على نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف لغيره . وذكر القاضي عياض في الشفاء أن بعضهم عـد من وجوه اعجازه مشاكلة بعض أجزائه بعضاً وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهى واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الي غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وفل رونقه وتقلقلت الفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلي الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملأ على الكفر وما ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزى الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتسيير النبي صلي الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته ثم أخذ فى ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا فى أوجز كلام . وأحسن نظام . ومنه الجملة الكثيرة من جهة المعنى التى انطوت عليها الكلمات القليلة . قال وهذا كله الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة داخل في باب بلاغته فلا يجب أن يعد فنا منفردا فى اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة . وقد رام قوم من أهل الزيغ والالحاد أوتوا طرفا من البلاغة وحظا

من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من البيان أن يصنعو شيا يلبسون به فلما وجدوه مكان النجم من يدالمتناول مالوالى السور القصار كسورة الكوثر والنصر واشباههما لايقاع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه لان العجز انما يقع فى التأليف والاتصال * وممن رام ذلك من العرب بالتشبث بالسور القصار مسيلمة الكذاب فانه لم يستحى وانتدب لمقاومة هذا الامر الالهى فافتضح وأتى بمخرقة يتضاحك منها الى قيام الساعة حيث قال ياضفدع نقى كم تنقين. أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين. لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين . فلما سمع أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذا قال انه لكلام لم يخرج من إل قال ابن الاثير أى من ربوبية والاءل بالكسر هو الله تعالى وقيل الاءل هو الاصل الجيد أى لم يجىء من الاصل الذى جاء منه القرآن ولما سمع مسيلمة الكذاب لعنه الله والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والقادحات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر الى غير ذلك من الهذيان وقال آخر ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشى وقال آخر الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا الجليل ففى هذا الكلام مع قله حروفه من السخافة مالا خفاء فيه على من لا يعلم فضلا عمن يعلم* الوجه الثانى من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لاسلوب العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له للوصف الذى صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل فى شىء منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه من جنس كلامهم مستعملة فى نثرهم ونظمهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وذلك تحيرت عقولهم وتدلهمت أحلامهم ولم يهتدوا الي مثله فى جنس كلامهم فلا ريب انه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه . وفى بلاغته قد أصاب المعانى بصائب سهمه . فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة . ودليله القاهر وبرهانه الباهر . مارام معارضته شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب . وذل ذل النقد حول الليوث الغضاب . والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها أو الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والعلم بهذا كله ضرورة قطعا ومن تفنن فى علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ماقلناه وأكثر أئمة أهل السنة يقول فى وجه عجزهم عنه ماذكرنا من انه مما جمع فى قوة جزالته وفصاحة الفاظه وجنس نظمه وايجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها وقيل انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن ولا يكون فمنعهم الله وأعجزهم عنه ولكن هذا القول مرجوح عند أكابر الأئمة ونسبه بعضهم للمعتزلة وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقاورهم وتحديه بأن يأتوا بمثله قاطع وهو بالغ فى التعجيز وأحرى بالتقريع . والاحتجاج بمجيء البشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة وعلى كل حال فما أتوا به ذلك بمقال مع انه لم تزل تقرع أسماع البلغاء بتضليل كل دين غير الاسلام آياته وتحرك لطلب المعارضة على سبيل التعجيز حمية اللسن المتوقدى الفطنة الاقوياء المعارضة نظما ونثرا الخائضين فى كل فن من فنون البلاغة طولا وعرضا بحيث لا تنال عن معارضتهم أمنع كلمة وان لم يعرض

فيها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيها بعجزهم فكيف وهم يسمعون في تعجيزهم صريح قوله تعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ثم تنزل معهم فقال فأتوا بسورة من مثله ثم صرح بعجز الجميع جنهم وانسهم مفترقين أو مجتمعين فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ومع ذلك لم تتحرك أنفتهم وهم المجبولون عليها ومن عادتهم انهم لا يتمالكون معها ضبط أنفسهم عند ورود أدني معارض يقدح فى مناصبهم وان كان في ذلك حتف أنفسهم فكيف بما هو من نوع البلاغة التى هي كلامهم وتدب فيهم دبيبا حتى انهم بها فى كل واد يهيمون لكن القوم أخرسهم ان الامر الهي لا يمكن مقاومته فعجزوا عن معارضة أقصر سورة منه مع تهالكهم على ذلك حتى خاطروا بمهجتهم وأعرضوا عن المعارضة بالحروف الي المقارعة بالسيوف. ولم ينقل عن أحد منهم مع توفر الدواعي الاتيان بشيء مما يناظيه بل صبروا على الجلاء والقتل. وتجرعوا كاسات الصغار والذل. وكانوا من شموخ الأنف وإباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا فكيف اضطرارا وكالافالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم. وأسرع بالنجح وقطع العذر واخذم الخصم لديهم. وهم ممن كان لهم اقتدار على الكلام. وقوة في المعرفة به لجميع الانام. وما منهم الا من جهد جهده، واستنفد ما عنده. فى اخفاء ظهوره. واطفاء نوره. ويأبى الله الا أن يتم نوره. ويعلو ظهوره. فما جلوا فى ذلك خيبة من بنات شفاههم. ولا أتوا بنطفة من معين مياههم. مع طول الامد وكثرة العدد. وتظاهر الوالد وما ولد. بل أبلسوا. فما نبسوا. ومنعوا فانقطعوا. ولم يرم ذلك خطيب. ولا طمح فيه شاعر ولا أديب. ولو طمع فيه لكانه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم انه قد عارض. وقابل وناقض. فدل ذلك العاقل على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عجز القوم مع كثرة كلامهم واستفحال لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته لان سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله وأفسد لامره وأبلغ فى تكذيبه وأسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج عن الاوطان وانفاق الاموال وهذا من جليل التدبير الذي لايخفي على من هو دون قريش والعرب في الرأى والعقل بطبقات ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ والنثور ثم يتحدى به أقصاهم بعد ان ظهر عجز أدناهم فمحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم فى الامر الظاهر والخطاب المكشوف البين مع التقريع بالنقض والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد أعمالهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة فى الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون أكثر منه وقد أتي من أتى بعد العرب وعجزهم عن معارضته ورام ذلك فلم يفلح ولم ينجح . وقد حكى عن غير واحد منهم انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك كما حكي عن يحيي بن حكيم الغزال وكان بليغ الاندلس في زمانه انه قدرام شيأ من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج على منوالها فاعترته خشية ورقة حملته على التوبة والانابة . ويحكى ان ابن المقفع وكان أفصح أهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ فى مكتب قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر الآية فرجع وعما عامله وقال أشهد ان هذا لايعارض أبدا وماهو من كلام البشر قال بعضهم هذه الآية قد اشتملت من أنواع البديع على أربعة وعشرين نوعا

وفيها

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفيها تسع عشرة كلمة وقال العلامة أبو السعود في هذه الآية ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها . وملكت من غرر المزايا ناصيتها . وقد تصدي لتفصيلها المهرة المتقنون. ولعمري ان ذلك فوق مايصفه الواصفون فحري بنا أن نوجز الكلام في هذا الباب . ونفوض الامر الي تأمل أولى الالباب . والله عنده علم الكتاب * الوجه الثالث من اعجازه ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة . وترديده يوجب له محبة وطلاوة . ولا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد . ويعادي اذا عيد . وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات .وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد وقد جعله الله سبحانه في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمح الي الآذن وأحلى على الافهام فالناس اليه أميل والاهواء اليه أسرع ويسر الله تعالى حفظه لمتعلميه . وتقريبه على مستحفظيه . قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه على الغلمان في أقرب مدة مع كونه آية باقية لا تعدم مابقيت الدنيا ومع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية فهو محفوظ من التبديل والتحريف حتى سعى كثير من الملحدة والمعطلة سيما القرامطة في تغييره وتبديل محكمه فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تغيير كلمة من كله ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه بخلاف غيره من الكتب فان بعضها بدل وحرف وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة ألف وثلاثمائة عام وست عشرة سنة لاول نزوله حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد فما منهم من أتي بشيء يؤثر فى معارضته . ولا ألف كلمتين فى مناقضته . ولا قدر فيه على مطعن صحيح . ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بذهن شحيح . بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه فى العجز بيديه . والنكوص على عقبيه * الوجه الرابع من الاعجاز ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار أهل الكتاب لذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن أحد من النصارى

والهود

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه صحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتمنيتهم اياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكنون شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى عليه الصلاة والسلام وما حرّم اسرائيل على نفسه وماحرّم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من أمورهم التي أنزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحى اليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده اياه كأهل نجران وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الي اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الي قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الي احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقى على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتابه ولا أبدي صحيحاً ولاسقيما من كتابه قال تعالي ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين *الوجه الخامس جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلي الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع الله فيه من بيان علم الشرائع والاحكام والتنبيه على طرق الحجج العقليات واقامة الدلائل على وجود الباري تعالى وتوحيده وعلى الحشر والنشر ورفع الشبه وازالة الريب والرد على فرق الامم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رام الخلق بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم وقل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ماحواه من علوم السير وأنباء الامم والمواعظ والامثال والحكم ومحاسن الآداب والشيم والترغيب والترهيب ومدح الاخيار وذم الفجار وتحذير قبائح السجايا ومواقع الدنايا وتدبير السياسات ومراعاة الاوداء ومدافعة الاعداء ومجادلة الاخصام وتبكيت الطغام وأخبار الدار الآخرة من وصف دار النعيم وأحوال سكانها ودار الجحيم وأهوالها ووصف عالم السموات وما في العالم العلوى من الآيات من كواكب وأمطار وسحائب وبروق ورعود وعجائب ووصف الارض وجبالها وسهولها وبحارها وينابيعها وأنهارها وما اشتملت عليه من نباتات وحيوانات ومعادن وأزهار وأثمار وأشجار وأطيار وظلمات وأنوار الى غير ذلك من المعارف زاد الله سرار حتى ماهو حاصل الآن من الاكتشافات الكهربائية والبخارية وغيرها كما يأتى في عدة مواضع من المقصد الثالث * وقد ذكر تعالى جميع ماهو حاصل الآن من تلك الامور وأخبر أنها من علامات الساعة بقوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون .وبالجملة فقد قال بعض العلماء القرآن لم يبق علما من علوم الأوائل والأواخر الا صرح به أو أشار اليه على أساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم يتخالله تضارب قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من شىء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين فجمع فيه مع وجازة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما فى الكتب المنزلة على الانبياء قبله التى ألفاظها على الضعف منه مرات وجمع فيه بين الدليل ومدلوله وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وايجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له يفهم مواضع الحجة والتكليف معاً فى كلام واحد وسورة منفردة * الوجه السادس ما انطوي عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذى أخبر دالا على صدقه وصحته . مثل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى أن قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا . قطع بانهم لا يفعلون وأخبر عن غيب تقضي العادة بخلافه لأنهم كانوا غاية فى البلاغة مع استكافهم أن يغلبوا خصوصاً في الفصاحة فما فعلوا ولا قدروا ومثل قوله تعالى لليهود لما ادعوا دعاوى باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى مخاطباً لرسوله صلي الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم ففى هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه أبداً ففى علمهم تمنيه فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله أبدا وبقوله لن وأخبر فوجد مخبره كما أخبر فلو لم يعلموا ما يلحقهم من الموت لسارعوا الي تكذيبه بالتمني ولو لم يعلم ذلك صلي الله عليه وسلم لخشى أن يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب * وقال بعضهم هذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل وانتشر فان التمنى ليس من عمل القلب فيخفي وانما هو قول اللسان ليت لي كذا ولو كان بالقلب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل أنهم قاله وروي مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

منهم فريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض فصرفهم الله عن تمنيه لعجزهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحى اليه اذلم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته .قال أبو محمد الاصيلي من أعجب أمرهم أنه لم يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم . وقوله تعالى مبديا ماقدره واعتقده المؤمنون يوم بدر من الظفر باحدى الطائفتين العير والنفير واذ يعدكم الله احدي الطائفتين أنها لكم وتودون ان غيرذات الشوكة تكون لكم.وذلك انه كان لقريش قافلتان احداهما ذات غنيمة دون الاخري فأخبر الله تعالي عما في ضمائرهم وهوودّهم للغنيمة دون القتال وأنجز لهم ماوعد ولا شك أن الوعد كان قبل اللقاء لان الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جائز . وقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذا اخبار عن المستقبل لان السين تعين الاستقبال يعني بالجمع كفار قريش يوم بدر وفيه علم من أعلام النبوة لان الآية نزلت بمكة وأخبرهم أنهم سيهزمون في الحرب فكان كما قال وقد كان عددهم مابين تسعمائة الى ألف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان عددالمسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وليس معهم الا فرسان احداهما للزبير بن العوام والاخري للمقداد بن الاسود فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل أبطالهم واغتنام أموالهم . وقوله تعالي في كفار قريش سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى أبو سفيان يامحمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله . قيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق

ندموا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله تعالى الرعب فى قلوبهم فاستمروا راجعين * وقوله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الي قوله لايخلف الله وعده. وسبب نزول هذه الآية أن كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك لان الروم أهل كتاب وفارس عباد أوثان ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى كتابه وفرح المشركون به فأخبر الله تعالي بأن الروم بعد أن غلبوا سيغلبون فى بضع سنين والبضع مابين الثلاثة الى العشرة فغلبت الروم أهل فارس يوم الحديبية وأخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين * وقوله تعالى لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون ضربت عليهم الذلة الآية فكان كل ذلك من انهزامهم كبني قريظة والنضير وأمثالهم ولزوم الذلة لهم وان كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته فهم أذل الكفار فى كل مكان وزمان كما أخبر الله تعالي ومن ذلك أنه ليس لهم مملكة قط بل هم مبددون فى البلدان * وقوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن الله تعالى كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس ويؤذونه فهلكوا * وقوله تعالي والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضرره وقصد قتله * وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية هذا وعد من الله لرسوله صلي الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الارض أئمة الناس والولاة عليهم ويمكن فيها دينهم بأن يظهره على جميع الاديان ويوسع لهم فى البلاد فيملكوها وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم وقد فعل الله تعالي ذلك فيهم ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي وملك الحبشة الذي تولي بعده أصحمة رحمه الله . ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم شعث ما وهى عند موته عليه الصلاة والسلام وأخذ جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الي بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا منها طرفا وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة الى أرض الشام وجيشاً ثالثا صحبة عمرو بن العاص الي بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصري ودمشق ومخاليفها من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله واختار له ما عنده ومن على الاسلام وأهله بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبياء على مثله في قوة سيره وكمال عدله وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر الي آخرها وأكثر اقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر الي أقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه امتدت الممالك الاسلامية الى أقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب الي أقصى ما هنالك أندلس وقيروان وسبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم لما مزق كتابه والله ممزقه وملكه وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً وجبي الخراج من المشارق والمغارب

الى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الامة على حفظ القرآن . وبهذا ظهر قوله صلى الله عليه وسلم الذي ثبت في الصحيح ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها فانه كان كذلك وامتدت في المشارق والمغارب مابين أقصى أرض الهند الي أقصى أرض المشرق الى بحر طنجة حيث لاعمارة وراءه وذلك مالم يملكه أحد من الأمم وقوله تعالي هو الذى أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون هذا ظاهر فى العيان بأن دين الاسلام كما أخبر عال على جميع الاديان وقوله تعالى اذاجاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان كما أخبر دخل الناس فى دين الله فوجا بعد فوج بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة جاءته العرب من أقطار الارض طائعين فما مات صلي الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الي غير ذلك مما يطول استقصاؤه * فهذه ستة أوجه يصح أن يكون كل واحد منها اعجازا فحيث جمعها القرآن فليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزا بأولى من غيره فيكون الاعجاز بجميعها وقد قال تعالي قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله فلم يقدر أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن فى زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا بعده على نظمه وتأليفه وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشياء التي دلت على البعث وآياته والانباء بما كان ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وصلة الارحام الى غير ذلك فكيف يقدر على ذلك أحد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء والشعراء والفهماء من قريش وغيرها وهو صلى الله عليه وسلم فى مدة ما عرفوه قبل نبوته وأداء رسالته أربعين سنة لايحسن نظم كتاب ولا عقد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حسب ولا يتعلم سحراً ولا ينشد شعراً ولا يحفظ خبراً ولا يروى أثراً حتى أكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب المفصل فجاءهم بأخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كانت ذهبت معالم تلك الكتب ودرست وحرّفت عن مواضعها ولم يبق من المستمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها الا القليل ثم حاجّ كل فريق من أهل الملل المخالفة له بمالو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتقنين لم يتهيأ له نقض ذلك ولا سبيل الى جحد الملحد بشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة فى دفع ماقصصناه الا قولهم أساطير الاولين وانما يعلمه بشر فردّ الله قولهم بقوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربى مبين ثم ماقالوه مكابرة العيان فان الذى نسبوا اليه سلمان الفارسي أو العبد الرومى وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور مالا يعدّ من الآيات وأما الرومي فاختلف فى اسمه هل هو بلعام الرومى أو يعيش أو جبر أو يسار وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللدّ والخطباء الالسن وقد عجزوا عن معارضة ماأتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي الكن وقد كان سلمان أو الرومي بين أظهرهم يكلمونه مدى أعمارهم فهل حكى عن واحد منهم شئ من مثل ما كان يجيء به محمد صلي الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك مع أن العلوم الموجودة فى القرآن كثيرة وتعلمها لا يتأتى وان كان المعلم فى غاية الفضل والتحقيق فلو حصل فيهم انسان بلغ في التعليم والتحقيق الى هذا الحد لكان مشارا اليه بالأصابع فى التحقيق والتدقيق فى الدنيا فكيف يمكن تحصيل هذه العلوم العالية والمباحث النفيسة من عند فلان وفلان ومامنع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤب طلبه وقوة جسده أن يجلس الي هذا فيأخذ عنه أيضاً مايعارض به ويتعلم منه مايحتج

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

به على شغبه فلو استعان محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك بغيره لامكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم لان محمدا صلى الله عليه وسلم كأولئك المنكرين فى معرفة اللغة وفى المكنة من الاستعانة . وبعد ذلك كله فان العقل لا يصدق بوجود معلم قد حوى جميع تلك المعارف وتلك الشريعة وأحاط بأطراف تلك العوارف لا فى بلاد الروم ولا فى غيرها وقد ظهر لنا بعد مخالطتنا لهم أن ماجاء به محمد صلي الله عليه وسلم لا يوجد عند علمائهم أجمعين فضلا عن وجوده عند بعضهم بل رأيناهم بعد المخالطة والاطلاع على ماجاء به محمد صلي الله عليه وسلم يعجبون من حسن انتظام الشريعة ويقتبسون منها ما يوافق سياسة بلادهم وبعد ان كانوا غرقى في بحار الجهالة أخذوا يقتبسون من العلماء الاسلاميين مايتقدمون به في الدنيا وجدوا فى ذلك حتي فاقوا بذلك سائر الفلاسفة والحكماء المتقدمين وتم لهم انتظام العمران وتقدم المدنية تصديقا لقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعي لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يغب عن قومه ولا كثرت اخلاطه الي بلاد أهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى فى صغره وشبابه على عادة انبيائهم ثم لم يخرج من بلاد العرب الا فى سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكنه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم .على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ماجاء بالقرآن والشريعة دفعة واحدة وأظهر ذلك للناس فى أول دعواه بل جاء بذلك مفرّقا منجما من أول دعواه الرسالة الى أن تم دينه وانتشر بين الطوائف فكان يأتي بالآية والآيتين والسورة والسورتين من القرآن على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حسب الحوادث التي تحدث بينه وبين أخصامه أوفيما بين أتباعه مشتملا ذلك على مايقتضيه الحال من استدلال أودفع شبهة أوجواب سؤال أوغير ذلك وكذلك أحكام الشريعة كان يبلغها للناس شيأ بعد شيء على حسب المصالح أوالحوادث والمشاكل والسؤالات فيأتي في مقابلة كل حادث يحدث معه في مدة دعواه بما يناسبه ويوافقه من القرآن والشريعة قال تعالى وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وحينئذ فكيف يسوغ لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يتعلم ماجاء به من الشريعة والقرآن مع انه لايخفى ان أمر التعليم لايتأتى في جلسة واحدة ولافي جلسات قليلة ولايتم في الخفية بل التعليم انما يتم اذا اختلف المتعلم الي المعلم أزمنة متطاولة ومددا متباعدة. ولوكان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق ان محمدا عليه السلام يتعلم العلوم من فلان وفلان وهو صلي الله عليه وسلم ما خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر أوقس أومنجم أوكاهن ولاغاب عن بلده لذلك وانما غاب عن بلده مكة في جميع عمره الذى عاشه مع تجار قريش الذين كانوا يأتون البلاد الشامية للتجارة أياما معدودة هي مدة الذهاب والاياب بين مكة وتلك البلاد وقضاء مصالح التجارة وهذه مدة لاتكفي لان يتعلم فيها محمد صلى الله عليه وسلم بابا واحدا من ابواب شريعته التي جاء بها وكل واحد منا يعلم صعوبة التعلم واحتياجه الى الزمان الكافي على ان تعلم ماجاء به محمد صلي الله عليه وسلم للكاتب القارئ هو من الصعوبة والاحتياج الى الزمان المديد بمكان فكيف ومحمد صلى الله عليه وسلم أمي لايقرأ ولايكتب فكيف يجيز العقل تعلمه جميع ذلك مع أميته وقصر زمان غيبته بل لوكان بعد هذا كله لكان مجيء ما اتي به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضاً لكل حجة ومجليا لكل أمر.

وأنت

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأنت اذا تأملت مامنحه الله تعالي به من جوامع الكلم وخصه به من بدائع الحكم وحسن سيره وحكم حديثه قضيت بأن مجال هذا الباب في حقه عليه الصلاة والسلام ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء .وأن بحر علمه ومعارفه زاخر لاتكدره الدلاء . لما خصه الله تعالى به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان فى الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم الي زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم وومى سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابين بما فى كتبهم واعلامهم بأسرارها ومخبآت علومهم وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الي الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها الي المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لاتناقض فيه ولاتخاذل فيما أنزل علينا مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذوعقل سايم شيأ الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وناغر به من الجاهلية اذا سمع مايدعو اليه صوّبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرّم عليهم من الخبائث وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الي فنون العلوم التى اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة وأصولا كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسات العقلية ومعارف عوارف الحقائق القلبية الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لمصالح أمته كالطب والعبارة أي تعبير الرؤيا والحساب وغير ذلك مما لا يعدّ ولا يحدّ فلولا ان محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من جانب الله تعالى وهو الذي هداه الى جميع ذلك وأطلعه عليه وأفهمه أسراره وأمره بتبليغه لما صح فى العقل امكان التصديق باقتداره على الاحاطة بجميع ماجاء به وان مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره فكيف ومحمد صلى الله عليه وسلم ولد فى قوم أميين ونشأ بين أظهرهم كواحد منهم لا يعرف الكتابة ولا القراءة ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة بشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال تعالى هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان

انما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه والمباحثة عنه (ومن) دلائل نبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أن عند قدومه كان العالم مملوأ من الكفر والشرك والفسق* أما اليهود فكانوا من المذاهب الباطلة فى التشبيه وفي الافتراء على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفى تحريف التوراة قد بلغوا الغاية * وأما النصارى فقد كانوا في اثبات التثليث وتحريف الانجيل قد بلغوا الغاية* وأما المجوس فقد كانوا في اثبات الالهين ووقوع المحاربة بينهما وفي تحليل نكاح الامهات والبنات قد بلغوا الغاية* وأما العرب فقد كانوا في عبادة الاوثان والاصنام وفى النهب والغارة قد بلغوا الغاية

وكانت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكانت الدنيا مملوءة من هذه الاباطيل وأهل الارض كلهم كفار ما بين عباد أوثان ويهود ونصارى ضالين وصابئة ودهرية لا يعرفون ربا ولا معادا وبين عباد الكواكب وعباد النار وفلاسفة لا يعرفون شرائع الانبياء ولا يقرون بها ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا أعوان على الرأى الذي أظهره والدين الذى دعا اليه وكانوا مقيمين على عادة الجاهلية في العصبية والحمية والتعادى والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أفعالهم نظر فى عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لائمة وقد نفروا أولا من تصديق دعوى محمد صلى الله عليه وسلم غاية النفور وكذبوه أشد التكذيب حتى خلانه وأقاربه من أعمامه وأولادهم وعشيرته أجمعين وأخذ جميعهم بتوبيخه وتقريعه على دعواه الرسالة وحاولوه بالرجوع عنها والكف عن تسفيه أحلامهم في اعتقاداتهم واحتالوا عليه باطماعه بانهم يشاركونه في أموالهم ويزوجونه اكرم بناتهم اذا هو رجع عما هو فيه ثم انهم بعد ذلك النفور والامتناع أخذوا يتركون عاداتهم المألوفة لهم والموروثة عن آبائهم ويرفضون اعتقاداتهم فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وترادفت الايدى فصاروا ألبا واحدا في نصرته وعنقا واحداً الي طلعته وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته وبذلوا مهجهم وأرواحهم فى نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في إعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم ولا أموال افاضها عليهم ولا غرض فى العاجل أطمعهم فى نيله يحوونه أو ملك أو شرف فى الدنيا يحوزونه بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يجعل الغنى كالفقير والشريف اسوة الوضيع ويأمرهم بالاعراض عن الفخر والاسباب المثمرة نحو الكبر. فهل يلتئم مثل

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هـذه الأمور أو يتفق مجموعها لاحد هـذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكرى لا والذى بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب عاقل في شيء من ذلك وانما هو أمر الهيّ وشيء غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الامن له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين الذى أظهر دينه على كل دين حتى بلغ دينه ما بلغ الليل والنهار. وسارت دعوته مسير الشمس فى الاقطار. فانقلبت الدنيا من الباطل الى الحق. ومن الكذب الي الصدق. ومن الظلمة الي النور وبطلت الكفريات. وزالت الجهالات. في اكثر بلاد العالم وفي وسط المعمورة بمعونة الله تعالي وانطلقت الالسن بتوحيد الله تعالي. واستنارت العقول بمعرفة الله تعالي. ورجع الخلق من حب الدنيا الى حب المولي بقـدر الامكان. ومن دلائل نبوّته صلي الله عليه وسلم التنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبيّ الامي الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وهذا يدل على أنه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات والعاقل لا يسعي فيما يوجب نقصـان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله. فلما قال لهم عليه السلام هذا دل على أن ذلك النعت كان مـذكورا في التوراة والانجيل وذلك من اعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال الله تعالي يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرّفون الكلم عن مواضعه والاّ فهم قاتلهم الله تعـالي قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسـلم كما عرفوا أبناءهم ووجدوه عندهم مكتوبا في التوراة والانجيل وتواتر عندهم تبشير الانبياء به لكن ارادوا ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فدلائل نبوّة نبينا فى كتابيهما طافحة. وأعلام شرائعه ورسالته لائحة. وكيف يغني عنهم انكارهم وهذا اسم النبيّ بالسريانية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مشفح فمشفح محمد وزنا ومعنى بغير شك واعتبارهأنهم يقولون شفحا لاها اذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد شفحاً فمشفح محمد ولأن الصفات التي أقروا بها هي وفاق لاحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه الصفات له ومن خرجت له الامم من بين يديه وانقادت له واستجابت لدعوته ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل واصنامها به اذ لولم تأت هذه الانباء والقصص فى كتبهم مرادا بها النبي صلى الله عليه وسلم لم يك فيما أودع الله عزوجل القرآن دليل على ذلك وفى تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرّعهم به دليل على تواتر النقل بالتصريح به واعترافهم له فانه يقول حكاية عن المسيح اني رسول الله اليكم مصدّقاً لما بين يدىّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ويقول يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ويقول الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد أظلّ مولده ويذكرون من صفته ما يجدون في كتابهم وما تواتر عندهم التصريح به عن الانبياء والرسل فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسداً وخوفاً على الرئاسة ويحتمل أنهم كانوا يظنون انه من بني اسرائيل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسماعيل عظم ذلك عليهم وأظهروا التكذيب فلعنة الله على الكافرين . وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه فكيف يجوز أن يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ماعندهم وما فى أيديهم ويقول من علامة نبوّتي وصدقي انكم تجدونني عندكم مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكر أوليس ذلك مما يزيدهم عنه بعداً . وقد كان غنياً أن يدعوهم بما ينفرهم وأن يستميلهم بما يوحشهم وقد أسلم من أسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتميم الداري وكعب الاحبار وقد وقفوا منه على مثل هـذه الدعاوي . وفى التوراة التي بأيديهم مما ذكره ابن ظفر فى البشر وابن قتيبة في اعلام النبوّة تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسينا هو الجبل الذى كلم الله فيه موسي وساعيرهو الجبل الذى فيه ظهرت نبوّة عيسي وجبال فاران وهو اسم عبرانى وليست ألفه الاولى همزة هي جبال بني هاشم التى كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يتحنث فى أحدها وفيه فاتحة الوحي وهو أحد ثلاثة جبال أحدها أبو قبيس والمقابل له قيقعان الى بطن الوادى والثالث الشرقي فاران ومنفتحه الذى يلي قيقعان الي بطن الوادي وهوشعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على أحد الاقوال

قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض لان تجلى الله من سينا انزاله التوراة علي موسى بطورسينا . ويجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير أرض الخليل بقرية تدعي ناصرة باسمها تسمي من تبعه نصارى فكما وجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل والنبوة فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهى جبال مكة وليس بين المسلمين وأهل الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة وان ادعي أنها غير مكة قلنا أليس فى التوراة في سفر التكوين ان الله أسكن هاجر واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبى الذى أنزل عليه كتاب بعد المسيح أو ليس استعلن وعان بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا فى مشارق الارض ومغاربها فشوه . وفى التوراة أيضاً فى التثنية مما ذكره ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم لميقات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ربه الذين أخذتهم الرجفة خصوصا ثم بني اسرائيل عموما والله ربك يقيم نبياً من اخوتك فاستمع له كالذي سمعت ربك في حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربي لئلا أموت فقال الله تعالى نعم ما قالوا وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء أمرته به وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فانى أنتقم منه . قال وفي هذا الكلام أدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. منها قوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحاق واخوتهم من بنى اسماعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بنى اسحاق لكان من أنفسهم لا من اخوتهم . ومنها قوله نبيا مثلك وقد قال فى التوراة لا يقوم فى بنى اسرائيل أحد مثل موسى وفي ترجمة أخرى مثل موسي لا يقوم فى بني اسرائيل أبدا أى من أنفسهم والا لنا في قول التوراة السابق وسأقيم لهم نبياً مثلك وحينئذ فالمراد به محمد صلى الله عليه وسلم لانه من بني اسماعيل اخوتهم لا من أنفسهم وهو مثل موسى بل أجل لعموم دعوته. وقد ذهبت اليهود الى أن هذا النبي الموعود به هو يوشع ابن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى عليه السلام بل كان خادما له في حياته ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين أن يكون المراد به محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفؤ لموسي لانه يماثله فى نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام والجهاد واجراء النسخ على الشرائع السالفة . ومنها قوله تعالى وأجعل كلامي فى فمه فانه واضح في أن المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه أوحي اليه بكلامى فينطق به على نحو ما سمعه ولا أنزل عليه صحفا ولا ألواحا لانه أمى لا يحسن أن يقرأ المكتوب . وفى الانجيل مما ذكره ابن طغربك فى الدر المنتظم قال يوحنا فى انجيله عن المسيح انه قال أنا أطلب لكم من الاب أن يعطيكم فارفليط آخر يثبت معكم الي الأبد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

روح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقتلوه . وهو عند ابن ظفر بلفظ ان أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب الي أبي فيعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله قال فهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم اه ولم يذكر فصول الفارقليط كما أفاده ابن طغربك سوى يوحنا دون غيره من نقلة الانجيل . وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل هو المخلص فان وافقناهم على أنه المخلص أفضى بنا الامر الي أن المخلص رسول يأتى لخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل انى جئت لخلاص العالم فاذا ثبت أن المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذى سأل الاب أن يعطيهم فارقليط آخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتي فارقليط آخر وان تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاي لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا . قال ابن ظفر وفى الانجيل مما ترجموه ما يدل على أن الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذين يسمعونه ليس هو لي بل الاب الذي أرسلني بهذا الكلام لكم وأما البارقليط روح القدس الذي يرسله أبي باسمي فهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ماقلته لكم فهل بعد هذا بيان أليس هذا صريحا في ان الفارقليط رسول يرسله الله تعالى وهو روح القدس وهو يصدّق بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس بالله وهو يعلم الخلق كل شيء ويذكرهم كل ما قاله المسيح عليه السلام وكل ما أمرهم به من توحيد الله . وأما قوله أبي فهذه اللفظة مبدّلة محرّفة عن لفظ ربي كما فى القرآن حكاية عن عيسى عليه السلام ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن

اعبدوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اعبدوا الله ربي وربكم ومع ذلك ليست منكرة الاستعمال عند أهل الكتابين يقولها المتكلم اشارة الى الرب سبحانه وتعالي لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذى يستمد منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالآباء الروحانية ولم تزل بنو اسرائيل وبنو عيصو يقولون نحن أبناء الله كما فى القرآن وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق . وأما قوله يرسله أبي باسمي فهو اشارة الي شهادة المصطفى له بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن من مدحه وتنزيهه عما افترى في أمره وفى ترجمة أخرى للانجيل انه قال البارقليط اذا جاء ويّخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث . وهو عند ابن طغربك بلفظ فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع من الله ويخبرهم بما يأتى وهو يمجدنى لانه يأخذ مما هو لي ويخبركم فقوله ليس ينطق من عنده وفى الرواية الاخرى ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع من الله الذى أرسله وهذا كما قال تعالى في صفته صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . وقوله وهو يمجدنى فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبرأه وبرأ أمه عليهما السلام مما نسب اليهما وأمر أمته بذلك قال ابن ظفر فمن ذا الذي ويّخ العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلام عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذي أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم وفي زبور داود عليه السلام من مزمور أربعة وأربعين فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا باركك الله تقلد أيها الجبار سيفك فان شرائعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهذا الزمور ينوّه بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التى فاضت من شفتيه هو القول الذى يقوله وهو الكتاب الذى أنزل عليه والسنة التي سنها . وفي قوله تقلد أيها الجبار سيفك دلالة على أنه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيف أمة من الامم الا العرب وكلهم يتقلدونها على عواتقهم . وفى قوله فان شرائعك وسنتك نص صريح على أنه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وقد ذكر صاحب الرسالة الحميدية من العلامات الدالة على رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الموجودة الي الآن في الكتب المنزلة من عند الله تعالى ما ينوف على مائة علامة وقد اكتفينا منها بما ذكرناه نقلا عن المواهب مع بعض زيادة *

* المطلب الثاني في الاستدلال على رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على مقتضى ماتدل عليه الآيات القرآنية *

قال الله تعالى في سورة البقرة (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) أي في شك من القرآن الذي نزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم في كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل والتنزيل النزول على سبيل التدريج فان القرآن نزل نجما فنجما بحسب الوقائع على ما يري عليه أهل الشعر والخطابة فانهم يأتون باشعارهم وخطبهم على قدر الحاجة شيأ فشيأ ولما كان القرآن منزلا كذلك طعنوا فيه بانه مثل كلامهم فذكر الله تعالى ما يزيل شبهتهم وتقريره أن هذا القرآن النازل على هذا التدريج اما أن يكون من جنس مقدور البشر أولا يكون . فان كان الاول وجب اتيانهم بمثله أو بما يقرب منه على التدريج . وان كان الثانى ثبت انه مع نزوله على التدريج معجز فايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدى عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان

فانهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فانهم لما اتخذ نزوله منجما وسيلة الي انكاره جعل ذلك من مباديء الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم فى شأن مانزلناه على مهل وتدريج فهاتوا أنتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه أيسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل واذاعجزواعن نجم منه فعجزهم عن كله أولي وهذا كما ترى غاية في التبكيت وازاحة العلل (فأتوا بسورة) جواب الشرط والامر بالاتيان بالسورة من باب التعجيز وإلقام الحجر كما فى قوله تعالى فأت بها من المغرب وكانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم (من مثله) متعلق بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير عائد الي المنزّل عليه أي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم والاوجه عود الضمير لما نزلنا أى بسورة كائنة من مثله فى البلاغة وعلوّ الرتبة وسموّ الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز ﴿واعلم﴾ أن التحدى بالقرآن جاء على وجوه .أحدها قوله فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدي. وثانيها قوله قل فأتوا بعشر سور مثله. وثالثها قوله قل فأتوا بسورة مثله ونظير هذا كمن يتحدى صاحبه بتصنيفه فيقول ائتنى بمثله ائتنى بربعه ائتني بمسئلة مثله فان هذا هو النهاية فى التحدي وازالة العذر (وادعوا شهداءكم من دون الله) أمرهم أن يحتشدوا فى حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما أتي بجملته واحد من أبناء جنسهم وكلمة من إما متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعني ادعوا متجاوزين الله تعالي للاستظهار من حضركم كائنا من كان أو الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم وأشرافكم الذين تفزعون اليهم فى الملمات. وتعولون عليهم فى المهمات أو القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من أمنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القول عند الولاة أو القائمين بنصرتكم حقيقة أو زعما من الانس والجن ليعينوكم وقيل المعنى ادعوا من دون أولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المتاولة والمنافقة ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله ايذانا بأنهم بأبون أن يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة . واما متعلقة بشهداءكم والمراد بها الاصنام ودون بمعنى التجاوز على أنها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل مادل عليه شهداءكم أى ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى فى اتخاذها كذلك والتعبير عن الاصنام بالشهداء ليبين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من انها بمكان من الله تعالى وانها تنفعهم بشهادتها لهم أنهم على الحق فان ما هذا شأنه يجب أن يكون ملاذا لهم في كل أمر مهم وملجأ يأوون اليه فى كل خطب ملم كأنه قيل أولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم وفى أمرهم بأن يستظهروا فى معارضة القرآن الذي أخرس كل منطيق بالجاء من التهكم بهم مالا يوصف وقيل المراد بالشهداء مداره القوم ووجوه المحافل والمجامع ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية أى ادعوا الذين يشهدون لكم أن ما أتيتم به مثله متجاوزين في ذلك أولياء الله ومحصله شهداء منابين لهم ايذانا بانهم أيضاً لا يشهدون بذلك والمقصود بهذا الامر إرخاء العنان والاستدراج الى غاية النبكيت كأنه قيل تركنا الزامكم بشهداء لاميل لهم الى أحد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فانهم أيضاً لا يشهدون لكم حذارا من اللائمة وأنفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وأمر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الي انكاره سبيل قطعاً (ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أى إن كنتم صادقين في زعمكم أن محمدا عليه الصلاة والسلام قاله من

عند

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عند نفسه فأتوا بسورة من مثله فان عدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاوله لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام لاسيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به قال الامام فخر الدين واعلم أن كون القرآن معجزاً يمكن بيانه من طريقين (الاول) أن يقال ان هذا القرآن لا يخلو حاله من أحد وجوه ثلاثة إما أن يكون مساويا لسائر كلام الفصحاء أوزائداً على سائر كلام الفصحاء بقدر لا ينقض العادة أو زائداً عليه بقدر ينقض العادة والقسمان الاوّلان باطلان فتعين الثالث وانما قلنا إنهما باطلان لانه لو كان كذلك لكان من الواجب أن يأتوا بمثل سورة منه اما مجتمعين أو منفردين فان وقع التنازع و حصل الخوف من عدم القبول فالشهود والحكام يزيلون الشبهة وذلك نهاية في الاحتجاج لانهم كانوا في معرفة اللغة والاطلاع على قوانين الفصاحة في النهاية وكانوا في محبة ابطال أمره في الغاية حتي بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا ضروب المهالك والمحن وكانوا في الحمية على حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل وكل ذلك يوجب الاتيان بما يقدح في قوله والمعارضة أقوى القوادح فلما لم يأتوا بها علمنا عجزهم عنها فثبت أن القرآن لا يماثل قولهم وأن التفاوت بينه وبين كلامهم ليس تفاوتا معتاداً فهو اذن تفاوت ناقض للعادة فوجب أن يكون معجزا فهذا هو المراد من تقرير هذه الدلالة فظهر انه سبحانه كما لم يكتف في معرفة التوحيد بالتقليد فكذا في معرفة النبوّة لم يكتف بالتقليد ﴿واعلم﴾ انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته ومع ذلك فانه في الفصاحة بلغ النهاية التي لا غاية لها وراءها فدل ذلك على كونه معجزا * أحدها أن فصاحة العرب اكثرها

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في وصف المشاهدات مثل وصف بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب أو وصف غارة وليس فى القرآن من هذه الاشياء شيء فكان يجب أن لا تحصل فيه الالفاظ الفصيحة التي اتفقت العرب عليها في كلامهم* وثانيها أنه تعالى راعى فيه طريقة الصدق وتنزه عن الكذب في جميعه وكل شاعر ترك الكذب والتزم الصدق نزل شعره ولم يكن جيدا ألا ترى أن لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما أسلما نزل شعرهما ولم يكن شعرهما الاسلامي في الجودة كشعرهما الجاهلي وان الله تعالي مع ماتنزه عن الكذب والمجازفة جاء القرآن فصيحا كما ترى* وثالثها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق فى القصيدة في البيت والبيتين والباقى لا يكون كذلك وليس كذلك القرآن لانه كله فصيح بحيث يعجز الخلق عنه كما عجزوا عن جملته *ورابعها أن كل من قال شعرا فصيحا في وصف شيء فانه اذا كرّره لم يكن كلامه الثانى فى وصف ذلك الشيء بمنزلة كلامه الاول وفي القرآن التكرار الكثير ومع ذلك كل واحد منها فى نهاية الفصاحة ولم يظهر التفاوت أصلا * وخامسها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الاخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة وأمثال هذه الكلمات توجب تقليل الفصاحة * وسادسها أنهم قالوا إن شعر امرئ القيس يحسن عند الطرب وذكر النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الخوف وشعر الاعشى عند الطلب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء وبالجملة فكل شاعر يحسن كلامه فى فن فانه يضعف كلامه في غير ذلك الفن أما القرآن فانه جاء فصيحا فى كل الفنون على غاية الفصاحة ألا تري انه سبحانه وتعالي قال فى الترغيب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال تعالي وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وقال في الترهيب أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر الآيات وقال أأمنتم من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم الآية وقال وخاب كل جبار عنيد الى قوله ويأتيه الموت من كل مكان وقال في الزجر مالا يبلغه وهم البشر وهو قوله فكلا أخذنا بذنبه الى قوله ومنهم من أغرقنا وقال في الوعظ مالا مزيد عليه أفرأيت ان متعناهم سنين . وقال فى الالهيات الله يعلم ماتحمل كل أنثي وماتغيض الأرحام وما تزداد الي آخره* وسابعها أن القرآن أصل العلوم كلها فعلم الكلام كله في القرآن وذلك لان المقصود منه معرفة الخالق وصفاته واقامة الادلة على ذلك وذلك كله مقرر في القرآن بأوضح طريق لايضل عنه الا كل أعمي يخبط في ظلمات الكفر خبط عشواء. وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن . وكذا علم اصول الفقه وعلم النحو وسائر علوم البلاغة كالبيان والمعاني والبديع وعلم الزهد في الدنيا وأخبار الآخرة واستعمال مكارم الاخلاق . أما علم الفقه وكذا علم أصوله فقد استنبطه الأئمة من القرآن أو من كلام النبي صلي الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ومعلوم أن النبي تابع فى ذلك كله للقرآن قال تعالي وماينطق عن الهوي وقال وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك . وأما علم النحو وعلوم البلاغة فمن المعلوم أنها لاتظهر ولا تتضح الا بالامثلة والشواهد العربية وفى القرآن من ذلك مافيه الكفاية وكمال الوضوح. وأما علم الزهد ومكارم الاخلاق فقد استنبطوه من القرآن والسنة وقد علمت أن القرآن أصل للسنة قطعا . وبالجملة فسائر العلوم التى وضعتها الامة الاسلامية وفاقوا بها سائر الامم فانما أخذوها من القرآن ومن سنة نبيهم فالقرآن انما هو أصل تلك العلوم بل هو أصل العلوم كلها لانك علمت ان أوربا بأسرها كانت غارقة في بحار الجهالة حتي اقتفت آثار الامة الاسلامية فاستمدت منها ما اعتبرته علما ومعرفة فانقطعت اليه بكليتها حتى أتقنته ولم تعبأ به الامة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاسلامية لاعتبارها ان الانقطاع الي ذلك بالكلية هو الجهل الفاضح لقوله تعالي ولكنّ اكثر الناس لايعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون قال الامام فخر الدين ومن تأمل كتابنا في دلائل الاعجاز علم أن القرآن قد بلغ فى جميع وجوه الفصاحة الي النهاية القصوى ❊ الطريق الثاني ❊ أن نقول القرآن لايخلو إما أن يقال انه كان بالغا في الفصاحة الى حد الاعجاز أو لم يكن كذلك فان كان الاول ثبت أنه معجز وان كان الثاني كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة فعدم اتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة ومع توفر دواعيهم على الاتيان بها أمر خارق للعادة فكان ذلك معجزا فثبت أن القرآن معجز على جميع الوجوه (فان لم تفعلوا) اى ما أمرتم به من الاتيان بالمثل لعجزكم (ولن تفعلوا) أي لا يقع ذلك منكم أبدا لاعجاز القرآن قال الامام فخر الدين اعلم ان هذه الآية دالة على المعجز من وجوه أربعة *أحدها انا نعلم بالتواتر أن العرب كانوا فى غاية العداوة لرسول الله صلي الله عليه وسلم وفى غاية الحرص على ابطال أمره لان مفارقة الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من أقوى مايدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع وهو قوله فان لن لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو كان فى وسعهم وامكانهم الاتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه لاتوا به فحيث ما أتوا ظهر المعجز * وثانيها وهو انه عليه السلام وان كان متهما عندهم فيما يتصل بالنبوّة فقد كان معلوم الحال فى وفور العقل والفضل والمعرفة بالعواقب فلو تطرقت التهمة الي ماادعاه من النبوّة لما استجاز أن يتحدّاهم ويبلغ فى التحدي الى نهايته بل كان يكون رجلا خائفا مما يتوقعه من فضيحة يعود وبالها على جميع أموره حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم فلولا معرفته بالاضطرار من حالهم أنهم عاجزون عن المعارضة لما جوّز من نفسه أن يحملهم على المعارضة بأبلغ الطرق * وثالثها انه عليه السلام لو لم يكن

قاطعا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قاطعاً بصحة نبوّته لما قطع في الخبر بأنهم لا يأتون بمثله لانه اذا لم يكن قاطعاً بصحة نبوّته كان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزوّر أبتة لا يقطع فى الكلام ولا يجزم به فلما جزم دل على انه عليه السلام كان قاطعاً فى أمره * ورابعها انه وجد مخبر هذا الخبر على ذلك الوجه لان من أيامه عليه السلام الي عصرنا هذا لم يخل وقت من الأوقات ممن يعادى الدين والاسلام وتشتد دواعيه فى الوقيعة فيه ثم انه مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة قط فهذه الوجوه الاربعة في الدلالة على المعجز مما نشتمل عليها هذه الآية (فاتقوا النار) جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كأنه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلاً من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن أوثر الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الانصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شأنه وتفظيع أمره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق الممكنّ عنه وفيه من الايجاز البديع الذى هو أحد أبواب البلاغة مالا يخفي حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صحّ ذلك كان لزومكم العناد وتركم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار (الى وقودها) أى ما تتقد به (الناس والحجارة) يعني انها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (أعدّت للكافرين) أي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدّة لعذابهم * وقال تعالي فى سورة البقرة أيضا (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم) متعلق بما بعده أى فاذكرونى كما ذكرتكم بارسال رسول منكم يتلو عليكم آياتنا) أي القرآن العظيم وذلك من أعظم النعم لأنه معجزة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

باقية على الدهر ولانه يتلى فينأدى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلي فيستفاد منه مجامع الاخلاق الحميدة (ويزكيكم) أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء طاهرين من دنس الشرك والذنوب ويعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم أزكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال والتزكية عبارة عن التنمية كانه قال يكثركم كما قال اذكنتم قليلاً فكثركم وذلك بأن يجمعهم على الحق فيتواصلوا ويكثروا (ويعلمكم الكتاب) أى مافي القرآن من المعانى والاسرار والشرائع والاحكام التى باعتبارها وصف القرآن بكونه هدى ونوراً فانه عليه السلام كان يتلوه عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه فيبقي على ألسنة أهل التواتر مصونا من التحريف والتصحيف ويكون معجزة باقية الي يوم القيامة وتكون تلاوته في الصلاة وخارجها نوعا من العبادة والقربة ومع ذلك كان يعلم ما فيه من الحقائق والأسرار ليهتدوا بهداه وأنواره (والحكمة) هي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى حكيما الا من اجتمع له الامران من أحكمت الشيء أي رددته عما لا يعيبه فكأنّ الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطأ (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) أى ما ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر اذ لا طريق لمعرفته سوي الوحي وعني بالحكمة والكتاب ما كان للعقل فيه مجال فى معرفة شيء منه . وفيه تنبيه أيضا على انه تعالي أرسله على حين فترة من الرسل وجهالة من الامم فالحال كانوا متحيرين ضالين فى أمر أديانهم فبعث الله تعالى محمدا بالحق حتى علمهم ما احتاجوا اليه فى دينهم وذلك من أعظم أنواع النعم

وفيه تنبيه أيضا على أن العرب كانوا على صورة لا يتلون كتابا ولا يعلمون رسولا ومحمد صلى الله عليه وسلم رجل منهم ليس بصاحب كتاب ثم

اتاهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أتاهم بأعجب الآيات يتلوه عليهم بلسانهم وفيه مافى كتب الانبياء وفيه الخبر عن أحوالهم وفيه التنبيه على دلائل التوحيد والمعاد وفيه التنبيه على الاخلاق الشريفة والنهي عن أخلاق السفهاء وفي ذلك أعظم البرهان على صدقه فقال كما أوليتكم هذه النعمة وجعلتها لكم دليلا (فاذكروني) بالشكر عليها (أذكركم) برحمتى والمعني فاذكروني بالصلاة والتسبيح وسائر أنواع الطاعة أي اذكرنى باللسان والقلب والجوارح والصلاة مشتملة على الثلاثة (واشكروا لي) ما انعمت به عليكم من النعم (ولا تكفرون) بجحدها وعصيان ما أمرتكم به * وقال تعالي في سورة آل عمران مشيرا الى ما ذكره من قصة زكريا ويحيي ومريم وعيسى (ذلك) أي ما ذكرناه فى القصص من حديث من ذكر (من أنباء الغيب) أي من أخبار الغيب التي لا يوقف عليها الا بمشاهدة أو قراءة كتاب أو تعلم من عالم أو بوحي من عند الله تعالى وانعدمت الثلاثة الاول فتعينت الرابعة وهو الوحي (نوحيه اليك) دلالة على صحة نبوتك والزاماً على من يحاجونك من الكفار والضمير في نوحيه عائد على الغيب أى الامر والشأن أنا نوحى اليك الغيب ونعلمك به ونظهرك على قصص من تقدمك مع عدم مدارستك لاهل العلم والاخبار (وما كنت لديهم) أي عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه أي أنهم عالمون لا يشكون أنك لم تقرأ كتابا ولم تصحب من علم تلك الانباء حتى تسمع منهم فلم يبق الا المشاهدة وهي منتفية بالضرورة لكنهم ادعوا هذا المحال لكونه يلزم من انكارهم الوحي أى ان لم يكن بالوحى كما زعموا فلا بدّ من دعوي المشاهدة ولم تكن قال ابن الشيخ فى حواشيه كانه قيل أيها المنكرون لان أوحي اليه والمتهمون فى دعوي نبوته ليس لكم في سبب الاتهام سوى احتمال المشاهدة والعيان وأنه غاية السفه ونهاية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخذلان . ومن أضل ممن عدل عن الاحتمال الثابت بالمعجزات الساطعة والبراهين القاطعة الي احتمال لا يذهب اليه وهم أحد وأيّ حالة أدعى الي الضحك والاستهزاء والسخرية من حال هؤلاء (اذ يلقون أقلامهم) التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دلّ عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ينظرون أوليعلموا أيهم يكفلها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) أي في شأنها تنافسا في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وانما عرفته من جهة الوحي وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره عليه الصلاة والسلام عند إلقاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه الصلاة والسلام ونظير هذه الآية قوله تعالى بعد ذكر قصة يوسف عليه السلام ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وقوله تعالى بعد ذكر قصة موسى عليه السلام وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون * وقال تعالي فى سورة آل عمران أيضاً (لقد منّ الله على المؤمنين) أى أنعم على من آمن مع النبي صلى الله عليه وسلم من قومه وخصهم بالنعمة مع أن البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أي من جنسهم عربيا منلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الي تصديقه والوثوق به ويشرفوا به لا ملكا ولا عجميا قال الامام فخر الدين اعلم أن بعثة الرسول احسان

من

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

من الله الى الخلق ثم انه لما كان الانتفاع بالرسول اكثر كان وجه الانعام في بعثة الرسل اكثر وبعثة محمد صلي الله عليه وسلم كانت مشتملة على الامرين *أحدهما المنافع الحاصلة من أصل البعثة * والثانى المنافع الحاصلة بسبب ما فيه من الخصال التي كانت موجودة في غيره اما المنفعة بسبب أصل البعثة فهى التي ذكرها الله تعالي فى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل قال أبو عبد الله الحليمي وجه الانتفاع ببعثة الرسل ليس الا في طريق الدين وهو من وجوه * الاول ان الخلق جبلوا على النقصان وقلة الفهم وعدم الدراية فهو صلوات الله عليه أورد عليهم وجوه الدلائل ونقحها وكلما خطر ببالهم شك أو شبهة أزالها وأجاب عنها * والثانى أن الخلق وان كانوا يعلمون أنه لا بد لهم من خدمة مولاهم ولكنهم ما كانوا عارفين بكيفية تلك الخدمة فهو شرح الكيفية لهم حتى يقدموا على الخدمة آمنين من الغلط ومن الاقدام على ما لا ينبغي * والثالث أن الخلق جبلوا على الكسل والغفلة والتواني والملالة فهو يورد عليهم أنواع الترغيبات والترهيبات حتى انه كلما عرض لهم كسل أو فتور نشطهم للطاعة ورغبهم فيها * الرابع أن أنوار عقول الخلق تجري مجري أنوار نور البصر ومعلوم أن الانتفاع بنور البصر لا يكمل الا عند سطوع نور الشمس ونوره عقلي الهيّ يجري مجرى طلوع الشمس فيقوى العقول بنور عقله ويظهر لهم من لوائح الغيب ما كان مستترا عنهم قبل ظهوره فهذا اشارة حقيقية الى فوائد أصل البعثة * وأما المنافع الحاصلة بسبب ما كان فى محمد صلى الله عليه وسلم من الصفات فأمور ذكرها الله تعالى في هذه الآية أولها قوله من أنفسهم واعلم أن الانتفاع بهذا من وجوه* الاول أنه عليه السلام ولد في بلدهم ونشأ فيما بينهم وهم كانوا عارفين باحواله مطلعين على جميع أفعاله وأقواله فما شاهدوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

منه من أول عمره الى آخره الا الصدق والعفاف وعدم الالتفات الى الدنيا والبعد عن الكذب والملازمة على الصدق ومن عرف من أحواله من أول العمر الي آخره ملازمته الصدق والامانة وبعده عن الخيانة والكذب ثم ادعي النبوة والرسالة التى يكون الكذب في مثل هذه الدعوى أقبح أنواع الكذب يعلم كل أحد انه صادق فى هـذه الدعوي * الثانى أنهم كانوا عالمين بأنه لم يتلمذ لاحد ولم يقرأ كتابا ولم يمارس درسا ولا تكرارا وأنه الي تمام الاربعين لم ينطق ألبتة بحديث النبوة والرسالة ثم انه بعد الاربعين ادعى الرسالة وظهر على لسانه من العلوم مالم يظهر على أحد من العالمين ثم انه يذكر قصص المتقدمين وأحوال الانبياء الماضين على الوجه الذي كان موجودا فى كتبهم فكل من له عقل سليم علم أن هذا لا يتأتي الا بالوحي السماويّ والالهام الالهي * الثالث انه بعد ادعاء النبوة عرضوا عليه الاموال الكثيرة والازواج ليترك هـذه الدعوي فلم يلتفت الي شيء من ذلك بل قنع بالزهد وصبر على المشقة ولما علا أمره وعظم شأنه وأخذ البلاد وعظمت الغنائم لم يغير طريقه في البعد عن الدنيا والدعوة الي الله والكاذب انما يقدم على الكذب ليجد الدنيا فاذا وجدها تمتع بها وتوسع فيها فلما لم يفعل شيأ من ذلك علم أنه كان صادقا * الرابع أن الكتاب الذي جاء به ليس فيه الا تقرير التوحيد والتنزيه والعدل والنبوة واثبات المعاد وشرح العبادات وتقرير الطاعات ومعلوم أن كمال الانسان فى أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ولما كان كتابه ليس الا في تقرير هذين الامرين علم كل عاقل أنه صادق فيما يقوله * الخامس انه قبل مجيئه كان دين العرب أرذل الاديان وهو عبادة الاوثان وأخلاقهم أرذل الاخـلاق وهو الغارة والنهب والقتل واكل الاطعمة الرديئة ثم لما بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم نقلهم الله ببركة مقدمه من تلك الدرجة التى هي أخس الدرجات الى أن صاروا أفضل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الامم في العلم والزهد والعبادة وعدم الالتفات الى الدنياوطيباتها ولاشك أن فيه أعظم المنة اذا عرفت هذه الوجوه فنقول إن محمدا عليه السلام ولد فيهم ونشأ فيما بينهم وكانوا مشاهدين لهذه الاحوال مطلعين على هذه الدلائل فكان إيمانهم مع مشاهدة هذه الاحوال أسهل مما اذا لم يكونوا مطلعين على هذه الاحوال فلهذه المعاني منّ الله عليهم بكونه مبعوثا منهم فقال اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم (يتلو عليهم آياته) أى القرآن بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي (ويزكيهم) أى يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال وأوضار الأوزار (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أى السنة من بعد ما كانوامن أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم كما قال تعالي (وان كانوا من قبل) أي قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وتزكيته وتعليمه (لفى ضلال مبين) أي بين لاريب في كونه ضلالا وان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية . قال الامام فخر الدين واعلم ان كمال حال الانسان في أمرين في أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وبعبارة أخري للنفس الانسانية قوتان نظرية وعملية . والله تعالي أنزل الكتاب على محمد عليه السلام ليكون سببا لتكميل الخلق فى هاتين القوتين فقوله يتلوعليهم آياته اشارة الى كونه مبلغا لذلك الوحى من عند الله الي الخلق وقوله ويزكيهم إشارة الي تكميل القوة النظرية بحصول المعارف الالهية والكتاب اشارة الي معرفة التأويل وبعبارة أخري الكتاب اشارة الي ظواهر الشريعة والحكمة اشارة الى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها ومنافعها ثم بين تعالي ما تتكمل به هذه النعمة وهو أنهم كانوا من قبل فى ضلال مبين لان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان توقعها اعظم فاذا كان وجه النعمة العلم والاعلام وورد اعقيب الجهل والذهاب عن الدين كان أعظم * وقال تعالى فى سورة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الانفال (هو الذى أيدك بنصره) أي الله الذي قواك بامداد من عنده بلا واسطة سبب معلوم مشاهد في سائر أيامك فان أمر النبي صلى الله عليه وسلم من أول حيانه الي آخر وقت وفاته ساعة فساعة كان أمرا الهيا وتدبيرا علويا (وبالمؤمنين) من المهاجرين والانصار واعلم أن التأييد ليس الا من الله لكنه على قسمين . أحدهما مايحصل من غير واسطة أسباب معلومة ظاهرة . وثانيهما مايحصل بواسطة أسباب ظاهرة معتادة فالاول هو المراد بقوله أيدك بنصره لان أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة . والثاني هو المراد من قوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائط معلومة وهم المؤمنون والله تعالي هو مسبب الاسباب وهو الذى أقامهم بنصره (وألف) أى جمع (بين قلوبهم) مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام وكان فيهم من الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء حتي لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتي يدركوا ثأره فكان دأبهم الخصومة الدائمة والمحاربة ولا نتوقع بينهم الالفة والاتفاق أبدا ثم صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وانقلبت حالتهم فائتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفى الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوا أعوانا يقاتلون عنه ويحمونه حتي قاتل الرجل أخاه وابنه وهذا من أبهر معجزاته صلي الله عليه وسلم ومن ذلك أن الاوس والخزرج كانت بينهم فى الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت الالفة والمحبة فازالة تلك العداوة الشديدة وتبديلها بالمحبة القوية والخالصة التامة مما لا يقدر عليها الا الله تعالي وصارت تلك معجزة لرسول الله صلي الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على

صدقه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صدقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي (لوأنفقت ما في الارض جميعا) أي لتأليف مابينهم (ما ألفت بين قلوبهم) أي تناهت عداوتهم الي حدّ لوأنفقت في اصلاح ذات بينهم مافي الارض من الاموال والذخائر لم تقدر على التأليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بأن تأليفه صلي الله عليه وسلم بينها لايتسني وان أمكن التأليف ظاهرا (ولكن الله الف بينهم) قلبا وقالبا بقدرته الباهرة فانه المالك للقلوب فيقلبها كيف يشاء (إنه عزيز) كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شيء مما يريده (حكيم) بعلم كيفية تسخير مايريده * وقال تعالى في سورة التوبة (يريدون) يعني يريد رؤساء اليهود والنصاري (أن يطفؤا نور الله بافواههم) يعني يريد هؤلاء إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويجدّون في إخفاء الدلائل الدالة علي صحة شرعه وقوة دينه قال الامام فخر الدين المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته وهي أمور كثيرة جدا * أحدها المعجزات القاهرة التي ظهرت على يده فان المعجز اما أن يكون دليلا على الصدق أولايكون فان كان دليلا على الصدق حيث ظهر المعجز لابد من حصول الصدق فوجب كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقا وان لم يدل على الصدق قدح ذلك فى نبوة موسى وعيسي عليهما السلام * وثانيها القرآن العظيم الذى ظهر على لسان محمد صلي الله عليه وسلم مع انه من أول عمره الى آخره ما تعلم وما طالع وما استفاد وما نظر فى كتاب وذلك من أعظم المعجزات * وثالثها ان حاصل شريعته تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لطاعته وصرف النفس عن حب الدنيا والترغيب فى سعادات الآخرة والعقل يدل على انه لاطريق الى الله الا من هذا الوجه * ورابعها أن شرعه كان خاليا عن جميع العيوب فليس فيه اثبات مالا يليق بالله وليس فيه دعوة الى غير الله وقد ملك البلاد العظيمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وما غيره طريقته في استحقار الدنيا وعدم الالتفات اليها ولو كان مقصوده طلب الدنيا لما فعل الامر كذلك فهذه الاحوال دلائل نيرة وبراهين قاهرة في صحة قوله ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة وأنواع كيدهم ومكرهم أرادوا إبطال هذه الدلائل فكان هذا جاريا مجري من يريد ابطال نور الشمس بسبب أن ينفخ فيها وكما ان ذلك باطل وعمل ضائع فكذا ههنا فهذا هو المراد من قوله يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم (ويأبي الله) أي لا يريد (الا أن يتم نوره) أي يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (ولو كره الكافرون) ذلك (هو الذي أرسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) أي القرآن الذي هو هدى للمتقين (ودين) الحق أي الاسلام (ليظهره) أي ليعليه (على الدين كله) أي جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) ذلك الاظهار ووصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول الي الكفر بالله * واعلم ان كمال حال نبينا صلوات الله عليه قد حصل بمجموع أمور * أولها كثرة الدلائل والمعجزات وهو المراد من قوله أرسل رسوله بالهدي * وثانيها كون دينه مشتملا على أمور يظهر لكل أحد كونها موصوفة بالصواب والصلاح ومطابقة الحكمة وموافقة المنفعة في الدنيا والآخرة وهو المراد من قوله ودين الحق * وثالثها صيرورة دينه مستعليا على سائر الاديان عاليا عليها غالبا لاضدادها قاهرا لمنكريها وهو المراد من قوله ليظهره على الدين كله * واعلم أن ظهور هذا الدين بالحجة مقرر معلوم وأما ظهوره بالغلبة والاستيلاء فانه لا دين بخلاف الاسلام الا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع وإن لم يكن ذلك في جميع مواضعهم فقهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها الي ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عباد الاصنام على كثير من بلادهم مما يلى الهند والترك وكذا سائر الاديان فثبت أن الذى أخبر الله عنه في هذه الآية قد وقع وحصل فكان ذلك إخبارا عن الغيب فكان معجزا ويحتمل أن المراد ليظهر الاسلام على الدين كله في جزيرة العرب وقد حصل ذلك فانه تعالى ما أبقي فيها أحدا من الكفار ويحتمل ايضا ان المراد من قوله ليظهره على الدين كله أن يوقف النبي صلى الله عليه وسلم وامته على جميع شرائع الدين ويطلعهم عليها بالكلية حتي لايخفى عليهم منها شيء * وقال تعالى في سورة يونس (اكان للناس) أي أهل مكة استفهام انكار (عجبا) خبر كان (أن أوحينا) أي ايحاؤنا (الى رجل منهم) محمد صلي الله عليه وسلم أى لا ينبغي ولا يليق لهم أن يتعجبوا من ارساله لهم فهذا رد عليهم فى قولهم العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصر نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يقصر عن عظمائهم فى النسب والحسب والشرف وكل ما يعتبرونه فى الرئاسة من كرم الخصال الا في المال ولا مدخل له فى شرف النفس ونجابة جوهرها مع أن خشة المال أليق بحال الانبياء عليهم السلام وماهم بصدده (أن) مفسرة للمفعول المقدر أى أوحينا اليه شيأ هو (أنذر الناس) كافة أى أعلمهم مع الخوف ما أمامهم من البعث وغيره (وبشر الذين آمنوا أن) اى بأن (لهم قدم صدق عند ربهم) اى اعمالا صالحة سابقة قدموها ذخرا لآخرتهم ومنزلة رفيعة يقدمون عليها * قال الامام فخر الدين قوله اكان للناس عجبا لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الانكار لان يكون ذلك عجبا وانما وجب انكار هذا التعجب لوجوه * الاول أنه تعالي مالك الخلق وملك لهم والمالك والملك هو الذي له الامر والنهى والاذن والمنع ولا بد من ايصال تلك التكاليف الي أولئك المكلفين بواسطة بعض العباد واذا كان الامر كذلك كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ارسال الرسول أمرا غير ممتنع بل كان مجوزا فى العقول * الثانى انه تعالى خلق الخلق للاشتغال بالعبودية كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه وقال قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلي ثم انه تعالي كمل عقولهم ومكنهم من الخير والشر ثم علم تعالي أن عباده لايشتغلون بما كلفوا به الا اذا ارسل اليهم رسولا ومنبها فعندهذا يجب وجوب الفضل والكرم والرحمة أن يرسل اليهم ذلك الرسول واذا كان ذلك واجبا فكيف يتعجب منه * الثالث ان ارسال الرسل امر ما أخلي الله تعالي شيأ من أزمنة وجود المكلفين منه كما قال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فكيف يتعجب منه مع انه قد سبقته النظير ويؤكده قوله تعالي ولقد أرسلنا نوحا الي قومه وسائر قصص الانبياء عليهم السلام * الرابع انه تعالي انما أرسل اليهم رجلا عرفوا نسبه وعرفوا كونه أمينا بعيدا عن أنواع التهم والاكاذيب ملازما للصدق والعفاف ثم انه كان أميا لم يخالط اهل الاديان وما قرأ كتابا اصلا ألبتة ثم انه مع ذلك يتلو عليهم أقاصيصهم ويخبرهم عن وقائعهم وذلك يدل على كونه صادقا مصدقا من عند الله ويزيل التعجب وهو المراد من قوله هو الذى بعث في الامبين رسولا منهم وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك * الخامس أن مثل هذا التعجب كان موجودا عند بعثة كل رسول كما في قوله والي عاد أخاهم هودا والي ثمود أخاهم صالحا الي قوله أو عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم * السادس أن هذا التعجب إما أن يكون من إرسال الله تعالي رسولا من البشر او سلموا انه لا تعجب فى ذلك وانما تعجبوا من تخصيص الله تعالي محمدا عليه الصلاة والسلام بالوحي والرسالة اما الاول فبعيد لان العقل شاهد بان مع حصول التكليف لابد من منبه ورسول يعرفهم تمام مايحتاجون اليه فى أديانهم كالعبادات وغيرها واذا ثبت هذا فنقول

الاولى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاولى ان يبعث اليهم من كان من جنسهم ليكون سكونهم اليه اكمل وإلفهم به أقوى كما قال تعالي ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا * واما الثانى فبعيد لان محمدا عليه الصلاة والسلام كان موصوفا بصفات الخير والتقوي والأمانة وما كانوا يعيبونه الا بكونه يتيما فليل المال وهذا في غاية البعد لانه تعالى غني عن العالمين فلا ينبغي أن يكون قلة المال سببا لنقصان الحال عنده ولا أن يكون الغنى سببا لكمال الحال عنده كما قال تعالي وما اموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفي فثبت ان تعجب الكفار من تخصيص الله تعالي محمدا بالوحى والرسالة كلام فاسد * وقال تعالي فى سورة يونس أيضا (قل لوشاء الله ماتلوته عليكم) تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى وبرهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيئته يعنى لوشاء الله لم ينزل هذا القرآن ولم يأمرني بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) أى ولا اعلمكم الله القرآن على لساني ولا أشعركم به أصلا (فقد لبثت فيكم عمرا) أى قد مكثت وأقمت بينكم دهرا مديدا مقدار أربعين سنة تحفظون تفاصيل أحوالى وتحيطون بمالدىّ خبرا (من قبله) أي من قبل نزول القرآن لا أتعاطى شيأ مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن أسرار الحقائق وأحكام الشرائع (أفلا تعقلون) أى أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا أنه ليس الا من الله والحق الذي لامحيد عنه أن من له أدنى مسكة من العقل اذا تأمل فى أمره عليه الصلاة والسلام وأنه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل لم يمارس فيه علما ولم يصاحب عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بزّت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم . وحوى فحواه بدائع أصناف العلوم . كاشف عن أسرار الغيب من وراء أستار الكمون .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ناطق بأخبار ما قد كان وماسيكون * لايبقي عنده شائبة اشتباه * في أنه وحي منزل من عند الله * قال الامام فخر الدين ان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلي الله عليه وسلم من أول عمره الي ذلك الوقت وكانوا عالمين بأحواله وانه ما طالع كتابا ولا تلمذ لاستاذ ولا تعلم من احد ثم بعد انقراض أربعين سنة على هذا الوجه جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس علم الاصول ودقائق علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق وأسرار قصص الاولين وعجزت عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء وكل من له عقل سليم فانه يعرف أن مثل هذا لايحصل الابالوحي والالهام من الله تعالى فقوله لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به حكم منه عليه الصلاة والسلام بأن هذا القرآن وحي من عند الله تعالي لامن اختلاق ولا من اختعالي وقوله فقد لبثت فيكم عمرا من قبله إشارة الى الدليل الذي قررناه وقوله أفلا تعقلون يعني أن مثل هذا الكتاب العظيم اذا جاء على يد من لم يتعلم ولم يتلمذ ولم يطالع كتابا ولم يمارس مجادلة يعلم بالضرورة انه لايكون الا على سبيل الوحي والتنزيل وانكار العلوم الضرورية يقدح في صحة العقل فلهذا السبب قال أفلا تعقلون * وقال تعالى في سورة يونس أيضا (وما كان هذا القرآن) أي الجامع لكل خير مع التأدية بأساليب الحكمة المعجزة لجميع الخلق (أن يفتري) أى افتراء خبر كان على حد زيد عدل في وجوهه الثلاثة يعني وما كان ينبغي لهذا القرآن أن يختلق ويفتعل (من دون الله) أي غيره (ولكن تصديق الذي بين يديه) أى أمامه أي قبله من الكتب الالهية المنزلة على الانبياء قبله أي مصدقا لها وموافقا لها (وتفصيل الكتاب) أى وتبيين ما فرضه الله وأنبنه من الشرائع والحقائق (لاريب فيه) أي منتفيا عنه الريب أى الشك (من رب العالمين) اى كائنا من رب العالمين قال الامام فخر الدين انه تعالي بين في هذا المقام ان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اتيان محمد عليه السلام بهذا القرآن ليس على سبيل الافتراء على الله تعالى ولكنه وحي نازل عليه من عند الله لان المفتري هو الذي يأتي به البشر والقرآن معجز لا يقدر عليه البشر فصار حاصل هذا الكلام ان هذا القرآن لا يقدر عليه أحد الا الله عز وجل ثم انه تعالى احتج على هذه الدعوي بأمور * الحجة الاولي قوله ولكن تصديق الذي بين يديه وتقرير هذه الحجة من وجوه * أحدها أن محمدا عليه السلام كان رجلا أميا ما سافر الى بلدة لاجل التعلم وما كانت مكة بلدة العلماء وما كان فيها شيء من كتب العلم ثم انه عليه السلام أتى بهذا القرآن فكان هذا القرآن مشتملا على أقاصيص الاولين والقوم كانوا في غاية العداوة له فلو لم تكن هذه الاقاصيص موافقة لما في التوراة والانجيل لقدحوا فيه ولبالغوا في الطعن فيه ولقالوا لانك جئت بهذه الاقاصيص لا كما ينبغي فلما لم يقل أحد ذلك مع شدة حرصهم على الطعن فيه وعلى تقبيح صورته علمنا انه أتي بتلك الاقاصيص مطابقة لما في التوراة والانجيل مع انه ما طالعهما ولا تلمذ لاحد منهما وذلك يدل على انه عليه السلام انما أخبر عن هذه الاشياء بوحي من قبل الله تعالي * الحجة الثانية ان كتب الله المنزلة دلت على مقدم محمد عليه السلام على ما استقصينا في تقريره واذا كان الامر كذلك كان مجيء محمد عليه السلام تصديقا لما في تلك الكتب من البشارة بمجيئه صلى الله عليه وسلم فكان هذا عبارة عن تصديق الذي بين يديه * الحجة الثالثة انه عليه السلام أخبر في القرآن عن الغيوب الكثيرة في المستقبل ووقعت مطابقة لذلك الخبر كقوله تعالى الم غلبت الروم الآية وكقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وكقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وذلك يدل على ان الاخبار عن هذه الغيوب المستقبلة انما حصل بالوحي من الله تعالى فكان ذلك عبارة عن تصديق الذي بين يديه فالوجهان الاولان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اخبار عن الغيوب الماضية والوجه الثالث اخبار عن الغيوب المستقبلة ومجموعها عبارة عن تصديق الذى بين يديه *النوع الثانى من الدلائل المذكورة فى هذه الآية قوله تعالي وتفصيل كل شيء واعلم ان الناس اختلفوا فى أن القرآن معجز من أى الوجوه فقال بعضهم انه معجز لاشتماله على الاخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة وهذا هو المراد من قوله تصديق الذي بين يديه ومنهم من قال انه معجز لاشتماله على العلوم الكثيرة واليه الاشارة بقوله وتفصيل كل شيء *وتحقيق الكلام في هذا الباب أن العلوم اما أن تكون دينية أو ليست دينية ولا شك أن القسم الاول أرفع حالا وأعظم شأنا واكمل درجة من القسم الثاني وأما العلوم الدينية فاما أن تكون علم العقائد والاديان واما ان تكون علم الاعمال أما علم العقائد والاديان فهو عبارة عن معرفة الله تعالي وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أما معرفة الله تعالى فهى عبارة عن معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله ومعرفة صفات اكرامه ومعرفة أفعاله ومعرفة أحكامه ومعرفة أسمائه والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريعها وتفاصيلها على وجه لايساويه شيء من الكتب بل لا يقرب منه شيء من المصنفات * وأما علم الاعمال فهو اما أن يكون عبارة عن علم التكاليف المتعلقة بالظواهر وهو علم الفقه ومعلوم أن جميع الفقهاء انما استنبطوا مباحثهم من القرآن واما أن يكون علما بتصفيه الباطن ورياضة القلوب وقد حصل فى القرآن من مباحث هذا العلم ما لا يكاد يوجد في غيره كقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي فثبت أن القرآن مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة عقليها ونقليها اشتمالا يمتنع حصوله في سائر الكتب فكان ذلك معجزا واليه الاشارة بقوله وتفصيل الكتاب أما قوله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لاريب فيه من رب العالمين فتقريره ان الكتاب الطويل المشتمل على هذه العلوم الكثيرة لابد وان يشتمل علي نوع من أنواع التناقض وحيث خلا هذا الكتاب عنه علمنا أنه من عند الله وبوحيه وتنزيله كما قال تعالي ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * وقد ذكروا في تفسير سلامته عن الاختلاف ثلاثة أوجه * الاول قال أبو بكر الاصمّ معناه ان المنافقين كانوا يتواطئون في السر علي أنواع كثيرة من المكر والكيد والله تعالي كان يطلع الرسول عليه الصلاة والسلام علي تلك الاحوال حالا فحالا ويخبره عنها على سبيل التفصيل وما كانوا يجدون فى كل ذلك الا الصدق فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى والا لما اطرد الصدق فيه ولظهر فى قول محمد أنواع الاختلاف والتفاوت فلما لم يظهر ذلك علمنا أن ذلك ليس الا باعلام الله تعالي * والثانى وهو الذى ذهب اليه أكثر المتكلمين ان المراد منه أن القرآن كتاب كبير وهو مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتنافضة لان الكتاب الكبير الطويل لا ينفكّ عن ذلك ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا أنه ليس من عند غيرالله * ونضرب لهذا مثلا وهو أن الواحد من السياسيين لا يمكنه أن يكتب القوانين الطويلة بحيث لا يقع في شيء من موادها خلل ونقصان مع اشتمالها على نوع واحد من العلوم حتي لو رأينا القوانين الطويلة مصونة عن مثل هذا الخلل والنقصان لكان ذلك معدودا في الاعجاز ولا يمكن أن يكون ذلك أبدا الا اذا كانت مطابقة لما ورد به الشرع الشريف وبقدر ما فيها من المخالفة للشرع بقدر ما يحصل فيها من الخلل والنقصان * الوجه الثالث فى تفسير قولنا القرآن سليم عن الاختلاف ما ذكره أبو مسلم الاصفهاني وهو أن المراد منه الاختلاف في رتبة الفصاحة حتي لا يكون في جملته ما يعدّ فى الكلام الركيك بل بقيت الفصاحة فيه من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أوله الي آخره علي نهج واحد ومن المعلوم أن الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة فاذا كتب كتابا طويلا مشتملا علي المعاني الكثيرة فلا بد وأن يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا أنه المعجز من عند الله تعالي (أم يقولون افتراه) أي بل أيقولون افتراه محمد عليه الصلاة والسلام والهمزة لانكار الواقع واستبعاده أي هذا القول منهم في غاية البعد والشناعة (قل) تبكيتا لهم واظهاراً لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) أي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى فانكم مثلي في العربية والفصاحة (وادعوا من استطعتم) أى فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به على اتيان مثله ان لم يف عقل الواحد والاثنين منكم في استخراج مايعارض القرآن (من دون الله) أى غيره فانه تعالى وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) في أني افتريته فان ما افتراه أحد من المخلوقين يفتريه غيره لانه فوق كل ذى علم عليم فاذا عرفتم عجزكم حال الاجتماع وحال الانفراد عن هذه المعارضة فحينئذ يظهر أن نظمه وتنزيله ليس الا من قبل الله تعالى * قال الامام فخر الدين انه تعالي قال فى سورة البقرة من مثله وقال ههنا فأتوا بسورة مثله لان محمدا عليه السلام كان رجلا أميا لم يتلمذ لاحد ولم يطالع كتابا فقال في سورة البقرة فاتوا بسورة من مثله يعنى فليأت انسان يساوى محمدا عليه السلام في عدم التلمذة وعدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوي هذه السورة وحيث ظهر العجز ظهر المعجز فهذا لا يدل على ان السورة في نفسها معجزة ولكنه يدل على أن ظهور مثل هذه السورة من انسان مثل محمد عليه السلام في عدم التلمذة والتعلم معجز ثم انه تعالي بين في هذه السورة ان تلك السورة في نفسها معجزة فان الخلق

وان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وان تتلمذوا وتعلموا وطالعوا وتفكروا فانه لا يمكنهم الاتيان بمعارضة سورة واحدة من هذه السور فلا جرم قال تعالي فى هذه الآية فأتوا بسورة منله ولا شك ان هـذا ترتيب عجيب فى باب التحدّي واظهار المعجز * أما قوله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقـين فالمراد منـه تعليم انه كيف يمكن الاتيان بهـذه المعارضـة لوكانوا قادرين عليها * وتقريره أن الجماعة اذا تعاونت وتعاضدت صارت تلك العقول الكثيرة كالعقل الواحد فاذا توجـوا نحو شيء واحد قدر مجموعهم على ما يعجز كل واحد منهم فكانه تعالي يقول هب أن عقل الواحد والاثنين منكم لا يفي باستخراج معارضة القرآن فاجتمعوا ولبعن بعضكم بعضا فى هـذه المعارضة فاذا عرفتم عجزكم حالة الاجتماع وحاله الانفراد عن هذه المعارضة فحينئذ يظهر ان تعذر هذه المعارضة انما كان لان قدرة البشر غير وافية بها فحينئذ يظهر أن ذلك فعل الله لا فعل البشر وقال تعالي في سورة المؤمنون (أفلم يدبروا القول) أى أفلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم وصحة المدارل والاخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به * قال الامام فخر الدين بين تعالي أن القول الذي هو القرآن كان معروفا لهم وقـد مكنوا من التأمـل فيه من حيث كان مباينا لكلام العرب فى الفصاحة ومبرأ عن التناقض في طول عمره ومن حيث ينبه علي ما يلزمهم من معرفة الصانع ومعرفة الوحـدانية فلم لا يتدبروا فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا الي الحق (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع أى بل أجاءهم عن الكتاب ما لم يأت آباءهم الاولـين حتى استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعنى أن مجيء الكتب من جهته تعالي الي الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالي لا يكاد يتسنى انكاره وأن مجيء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القرآن علي طريقته فمن أين ينكرونه * قال الامام فخر الدين انهم عرفوا بالتواتر أن الرسل كانت تتواتر علي الامم وتظهر المعجزات عليها وكانت الامم بين مصدق ناج وبين مكذب هالك بعذاب الاستئصال أفما دعاهم ذلك الى تصديق الرسول (أم لم يعرفوا رسولهم) اضراب وانتقال كما تقدم أى بل ألم يعرفوه عليه السلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام * قال الامام فخر الدين نبه سبحانه بذلك على انهم عرفوا منه قبل ادعائه الرسالة كونه في نهاية الامانة والصدق وغاية الفرار من الكذب والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين (فهم) أي فتسبب عن جهلهم به أنهم (له) أى نفسه أو القول الذى أتي به (منكرون) فيكونوا ممن جهل الحق لجهل حال الآتى به وفى هذا غاية التوبيخ لهم بجهلهم وبغباوتهم بانهم يعرفون انه أصدق الخلق وأعلاهم في كل معنى جميل ثم كذبوه (أم يقولون به جنة) أى بل أيقولون به جنون مع انه أرجح الناس عقلا وأثقبهم ذهنا واتقنهم رأيا وأوفرهم رزانة قال الامام فخر الدين انهم كانوا يعلمون بالضرورة انه أعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان يأتى بمثل ما أتى به من الدلائل القاطعة والشرائع الكاملة (بل جاءهم بالحق) أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الاسلام (واكثرهم للحق) من حيث هو حق أي حق كان (كارهون) لما فى جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج * وزاغوا عن الطريق الانهج * وانما قيد تعالى الحكم بالاكثر لان بعضهم بترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه وتقليداً لآبائه أو لقلة فطنته وعدم فكرته وبعضهم يتبعه توفيقا من الله تعالي وتأييدا (ولو اتبع الحق أهواءهم) استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة أى لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لاهوائهم الباطلة ومراداتهم الفاسدة وشهواتهم العاطلة (لفسدت السموات والارض ومن فيهن)وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام وما به قوام العالم ليس الاالحق الذي من جملته الاسلام والتوحيد والعدل ونحو ذلك * وللاستاذ السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله فى بيان مفاسد من ينكر النبوة كلام نفيس وقد أحببنا أن نلخص منه هنا ما يأتى وهو أن مقصد أرباب الطريقة الدهرية محو الاديان ووضع أساس الاباحة والاشتراك فى الاموال والابضاع بين الناس عامة وقد كدحوا لاجراء مقصدهم هذا وبالغوا فى السعي اليه وتلونوا لذلك في ألوان مختلفة وتقلبوا فى مظاهر متعددة وكيفما وجدوا فى أمة أفسدوا أخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالزوال وأيما ذاهب ذهب فى غور مقاصد الآخذين بهذه الطريقة تجلى له أن لا نتيجة لمقدماتهم سوي فساد المدنية وانتقاض بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية اذ لاريبة في أن الدين مطلقاً هو سلك النظام الاجتماعى ولن يستحكم أساس للتمدن بدون الدين ألبتة وأول تعليم لهذه الطائفة اعدام الاديان وطرح كل عقد ديني * كان الانسان ظلوما جهولا خلق الانسان هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً * جبل الانسان على الحرص وكأنه منهوم لشرب الدماء لم يحرم الانسان من لطف مبدعه فكما أبدعه ألزم الدين وجوده فتمسك الناس منه بأصول وانطبعوا به على خصال توارثها الابناء عن الآباء في قرون بعد قرون ومهما غيروا وبدلوا كانت بقايا ما ورثوه لا تزال تشرق على عقولهم بأنوار من المعرفة يهتدون بها الي سعادتهم ويقيمون في ضوئها أساس مدنيتهم ولم يبطل أثرها في تعديل أخلاقهم وكف أيديهم عن التطاول الي الشرور والمفاسد وبهذا كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للاقدمين من أهل القرون الاولى ما كان لهم من نوع الثبات والبقاء وطائفة الطبيعيين كلما ظهرت في أمة سعت في قلع تلك الاصول وافساد تلك الخصال حتي اذا لمع لها بارق من النجاح وهت أركان الأمة وانهارت اى هوّة لاضمحلال والعدم وهذه الطائفة هى الآن كما كانت تسلك منهج أسلافها الاولين * هؤلاء جحدة الالوهية لا يزالون يسعون لقلع أساس قصر السعادة الانسانية القائم بجدران العقائد الدينية والخصال النبوية . أعاصير أفكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع وتلقى بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط به من عرش المدنية الانسانية الى أرض الوحشية الحيوانية . وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها أوهاما باطلة ومجعولات وضعية . قالوا ان الانسان في المنزلة كسائر الحيوانات وليس له من المزايا ما يرتفع به على البهائم بل هو أخس منها خلقة وأدنى فطرة فسهلوا بذلك على الناس إتيان القبائح وهوّنوا عليهم اقتراف المنكرات ومهدوا لهم طرق البهيمية ورفعوا عنهم معائب العدوان مع أن كل عاقل يترفع بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية ويستنكف عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب انه كلما قوى العقل اشتد به النفور عن مخالطة الحيوانات فى صفاتها وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الي العالم العقلى وكلما سما عقله أوفى على المدنية وأخذ منها بأوفر حظ حتي قد ينتهي به الحال الي ان يكون واحدا من أهل المدنية الفاضلة يحيا مع اخوانه الواصلين معه الي درجته على قواعد المحبة واصول العدالة وتلك نهاية السعادة والانسانية في الدنيا وغاية مايسعى اليه العقلاء والحكماء فيها * وان المدنية الفاضلة التي مات الحكماء على حسرة من فقدها لا تختط في العالم الانساني الا بالدين الاسلامى واعتقاد الانسان بأنه أشرف الحيوانات أعظم صارف له عن مضارعة الحمر الوحشية في معيشتها والثيران البرية فى حالتها

ومضاربة

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومضاربة البهائم السائمة والدواب الهاملة والهوام الراشحة لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية ولا تهتدي طريقاً لحفظ حياتهما وتقضى آجالها في دهشة الفزع ووحشة الانفراد * هذه العقيدة أشد زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدي لافتراس بعضهم بعضا كما يقع بين الاسود الكاسرة والوحوش الضارية والكلاب العاقرة واشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات وهذه العقيدة أحجي حاد للفكر فى حركاته وانجح داع للعقل في استعمال قوته واقوي فاعل في تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل ان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد بل يظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل والي أى حد تصل بهم الشرور وبأى منزلة من الدناءة تكون نفوسهم وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية * ذهبوا الى انه لاحياة للانسان بعد هذه الحياة وانه لايختلف عن النباتات الارضية تنبت في الربيع مثلا وتيبس فى الصيف ثم تعود ترابا والسعيد من يستوفي في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية وبهذا الرأي الفاسد اطلقوا النفوس من قيد التأثم ودفعوها الي أنواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض ويسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة والوقوع في كل رذيلة وأعرضوا بالعقول عن الكمال البشرى وأعدموها الرغبة فى كشف الحقائق * هذا الوباء المهلك والطاعون المجتاح أعني الطبيعيين لايصيب أهل الحياء لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم وابائها عن وضع أقدامها فى منازل الحيوانية المحضة وأنفتها من الاشتراك في الاموال والابضاع واباحة التناول مما يختص بالغير منها * ولهذا عمد هؤلاء المفسدون الي خلة الحياء ليزيلوها أو يضعفوها فقالوا ان الحياء من ضعف النفس ونقصها فاذا قويت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النفوس وتم لها كمالها لم يغلبها الحياء فى عمل ما كائنا ما كان * فمن الواجب الطبيعي فى زعمهم ان يسعى الانسان فى معالجة هذا الضعف أى الحياء ليفوز بكمال القوة أي قلة الحياء وبهذه الدسيسة يخلطون بين الانسان والهمل ويمزجونه بالهامجات من النعم ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال الدواب والانعام من اباحة كل عمل والاشتراك فى كل شهوة ويهونون عليه اتيان ماتأتيه فى نزواتها ولايخفي ان الامانة والصدق منشأهما فى النفس الانسانية أمران الايمان بيوم الجزاء وملكة الحياء وقد ظهر أن من أصول مذاهب هذه الطائفة ابطال تلك العقيدة ومحو هذه الملكة الكريمة فيكون تأثير آرائهم في اضاعة الخيانة وترويج الكذب أشد من تأثير دعوة داع الى نفس الخيانة والكذب فان منشأ الفضيلتين مادام في النفس أثر منه يبعثها على مقاومة الداعى الي الرذيلتين فيضعف أثر دعوته والمؤمن بالجزاء المبرقع بالحياء ان سقط فى الخيانة أو الكذب مرة وجد من نفسه زاجرا عنه، امرة أخرى أما لو محى الايمان والحياء وهما منشأ الصدق والامانة من لوح النفس فلا يبقى منها وازع عن ارتكاب ضديهما * ويزيد في شناعة ماذهبوا اليه ان فى أصولهم الاباحة والاشتراك المطلقين فيزعمون أن جميع المشتهيات حق شائع والاختصاص بشيء منها يعد اغتصابا فلم يبق للخيانة محل فان الاحتيال لنيل الحق لايعد خيانة ومثلها الكذب فانه يكون وسيلة للوصول الى حق مغتصب في زعمهم فلا يعد ارتكابا للقبيح * لاجرم أن آراء هذه الطائفة مروّجة للخيانات باعثة على افتراء الاكاذيب عاملة بالا نفس على ارتكاب الشرور والرذائل واتيان الدنايا والخبائث وان أمة تفشو فيها هذه الحوالق لجديرة بالفناء جالية عن اباحة البقاء * فقد انكشف الخفاء بما بينا عن فساد مشارب هذه الطائفة وعن وجه سوقها الامم والشعوب الى مهاوي الهلكة والدمار * وأقول انها من أشد الاعداء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

للنوع الانساني كافة فان ماهاج في رؤوس أبنائها من الماليخوليا يخيل لهم أن الاصلاح فيما يزعمون ويصور لهم حقيقة النجاح فى صور ما يتوهمون فيبعثهم هذا الفساد لايقاد النار فى بيت هذا النوع الضعيف ليمحوا بذلك رسمه من لوح الوجود *فان من الظاهر عند كل ذي ادراك ان أفراد هذا النوع يحتاجون في بقائهم الى عدة صنائع لولم تكن أهلكتهم حوادث الجوّ وأعوزهم القوت الضرورى والصنائع المحتاج اليها تختلف أصنافها وتتفاوت درجاتها فمنها الخسيس والشريف ومنها السهل ومنها الصعب وهذه الطائفة الدهرية تسعى لتقرير الاشتراك في المشتهيات ومحو حدود الامتياز ودرس رسوم الاختصاص حتي لايعلو أحد عن أحد ولا يرتفع شخص عن غيره في شيء مّا ويعيش الناس كافة على حد التساوي لايتفاوتون في حظوظهم* فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح فى سعيها هذا ولاق هذا الفكر الخبيث بعقول البشر مالت النفوس الي الاخذ بالاسهل والا فضل فلا تجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ولامن يتعاطى الحرف الخسيسة طلبا للمساواة في الرفعة فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة وتعطلت المعاملات وبطلت المبادلات وأفضى الي تدهور هذا النوع فى هوّة الهلاك *نعم ان أفكار المصابين بالماليخوليا لاتنتج أحسن من هذه النتيجة ولوفرضنا محالا وعاش بنو الانسان على هذه الطريقة العوجاء فلاريب أن تمحى جميع المحاسن وضروب الزينة وفنون الجمال العملى ولا يكون لبهاء الفكر الانساني أثر ويفقد الانسان كل كمال ظاهر أوباطن صورى أومعنوى ويعطل من حلى الصنائع وتغرب عنه أنوار العلم والمعرفة ويصبح فى ظلام جهل وبلاء أزل وينقلب كرسى مجده وينثل عرش شرفه ويصحر فى بادية الوحشية كسائر أنواع الحيوان ليقضى فيها أجلا قصيرا مفعما بضروب من الشقاء محاطا بانواع من المخاوف محشواً باخلاط من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأموال والأهوال فان المبدأ الحقيقي لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص والرغبة فى الامتياز فهما الحاملان على المنافسة السائقان الى المباراة والمسابقة ولهما طرفا افراط وتفريط كسائر الخصال الشريفة فلو سلبتهما أفراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالي الامور وأغمضت العقول عن كشف أسرار الكائنات واكتناه حقائق الموجودات وكان الانسان فى معيشته على مثال البهائم البرية ان أمكن له ذلك وهيهات هيهات * متي ظهر الطبيعيون في أمة نفذت وساوسهم في صدور الاشرار من تلك الامة واستهوت عقول الحمقاء الذين لا يهمهم الا تحصيل شهواتهم ونيل لذاتهم من أى وجه كان لموافقة هذه الآراء الفاسدة لأهوائهم الخبيثة فيميلون معهم لترويج مشرب الطبيعي واذاعته بين العامة غير ناظرين الى ما يكون من أثره * ومن الناس من لا يساهمهم فى آرائهم ولا يضرب فى طرقهم الا أنه لا يسلم من مضارّها ومفاسدها فان الوهن يلم بأركان عقائده والفساد يسري لاخلاقه من حيث لا يشعر حيث ان أغلب الناس مقلدون في عقائدهم منقادون للعادة فى أخلاقهم وأقل التشكيك وأدنى الشبهة يكفي علة لزعزعة قواعد التقليد وضعضعة فوائم العادة * وان هؤلاء الطبيعيين بما يقذفون بين الناس من أباطيلهم يبذرون في النفوس بزور المفاسد فلا يلبث أن تنمو فى تراب الغفلة فتكون ضريعا زقوما * ولهذا قد يعم الفساد أفراد الامة التى تظهر فيها هذه الطائفة وكل لا يدري من أى باب دهم الفساد على قلبه فتشيع بينهم الخيانة والغدر والكذب والنفاق ويهتكون حجاب الحياء وتصدر عنهم شنائع تنكرها الفطرة البشرية يأتون ما يأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تحرج وكل منهم وان كان يدعى بلسانه أنه مؤمن بيوم الجزاء وفى نفسه أن ذلك اعتقاده واعتقاد آبائه الا أن عمله عمل من يعتقد أن لا حياة بعد هذه

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحياة لسريان عقائد الطبيعيين الي قلبه وهو فى غفلة عن نفسه فلهذا تغلب عليهم الاثرة وهو افراط الشخص في حبه لنفسه الي حد لو عرض في طريق منفعته مضرة كل العالم لطلب تلك المنفعة وان حاق الضرر بمن سواه ومن لوازم هذه الصفة أن صاحبها يؤثر منفعته الخاصة على المنافع العامة ويبيع جنسه وأمته بأبخس الاثمان بل لا يزال به الحرص على هذه الحياة الدنيئة يبعث فيه الخوف ويمكن فيه الجبن حتي يسقط به فى هاوية الذل ويكتفي من الحياة بمدها وان كانت مكتنفة بالذلة محاطة بالمسكنة مبطنة بالعبودية فاذا وصلت الحال فى أمة الي أن تكون آحادها على هذه الصفات تقطعت فيها روابط الالتئام وانعدمت وحدتها الجنسية وفقدت قوتها الحافظة وهوت عروش مجدها وهجرت الوجود كما هجرها *

﴿ المقصد الثالث في الطبيعيات ﴾

وفيه مقدمة وثمانية مباحث * المقدمة في معرفته تعالي من حيث انها ألذ الاشياء وأشرفها وأظهرها وفى سبب قصور أفهام الخلق عنها واتباعهم للاوهام في كيفية تكون الاجسام * وفيها مطلبان

﴿ المطلب الاول في معرفته تعالى وسبب قصور الافهام عنها ﴾

قال الامام حجة الاسلام في القلب غريزة تسمي النور الالهي لقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمي نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعانى لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الهية ولنسم تلك الغريزة عقلا وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها وليس يخفى أن فى العلم والمعرفة لذة حتي ان الذى ينسب الي العلم والمعرفة ولو فى شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الي الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتي ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدى بالعلم والتمدح به فى الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لايطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهى منتهي الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا أثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالي وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتي أن الذى يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر ذلك يجد له لذة وأن يتقاضاه طبعه وأن يفحص عنه فان علم بواطن أحوال رئيس وأسرار تدبيره في رئاسته كان ذلك ألذ وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فان اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه فى أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحبه له اكثر لان لذته فيه أعظم فبهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها وشرفها بحسب

شرف

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

شرف المعلوم فان كان فى المعلومات ما هو الاجلّ والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل فى الوجود شيء أجلّ وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور أن تكون حضرة فى الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك فى أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأحري ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين أن العلم لذيذ وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره فى مملكته من منتهى عرشه الي تخوم الارضين فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرئاسة وهى مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر للشهوة وكمخالفة لذة النظر الي الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر الي ما دونه في الجمال وانما تعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الي الصورة الجميلة علم أنها ألذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به أن لذة الغلبة في الشطرنج أقوي عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ونقول اللذات تنقسم الي ظاهرة كلذة الحواس الخمس والي باطنة كلذة الرئاسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة أغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرئاسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار اللحم والحلاوة وان كان علىّ الهمة كامل العقل اختار الرئاسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره للرئاسة يدل على أنها ألذ عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذى لم تكمل معانيه الباطنة يعد كالصبيّ أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرئاسة وكما أن لذة الرئاسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية ألذ من الرئاسة التى هى أعلي اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأنه أعدلهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر* وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرئاسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رئاسته وفناء من عليه رئاسته وكونه مشوباً بالكدورات التى لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالي ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين الي أسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا تضيق عنهم بكبرها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلايزال العارف بمطالعتها فى جنة عرضها السموات والارض يرتع فى رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هى أبدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالي ومحلها الروح الذي هو أمر ربانى سماوي وانما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن حبسها فاما أن يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولا تظنن أن هذا مخصوص بالمقتول فى المعركة فان للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفى الخبر أن الشهيد يتمني فى الآخرة أن يرد الي الدنيا فيقتل مرة أخري لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذاً جميع أقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الي أن يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت فى جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا الا انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم فى اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر لذة الرئاسة وهى باطنة أقوى فى ذوى الكمال من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرئاسة ولكن يؤثرون الرئاسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرئاسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التى بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقي الا أن يقال من ذاق عرف ولعمرى طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التى قوى حرصهم على طلبها فانها أيضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح مايكاد يطير به ويتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الاشياء وأنه لا لذة فوقها ومثال أطوار الخلق في لذتهم مانذكره وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتي يكون ذلك عنده ألذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فتترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرئاسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالي اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوي وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب فى سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرئاسة بعد العشرين وحب العلوم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرئاسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرئاسة ويشتغل بمعرفة الله تعالي والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون واعلم أن بحر المعرفة لا ساحل له فالاحاطة بكنه جلال الله محال ومهما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وأسرار مملكته وقويت طلب من الانسان زيادة استكمال فى المعرفة فانه لواجتمع أهل الارض والسماء على أن يحيطوا بعلمه تعالي وحكمته في تفصيل خلق بعوضة أو نملة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ولهذا قال تعالى لاعرف الخلق وقل رب زدني علما * وقال صلي الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع فى العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعى ذلك زمانا لا محالة مع أن سائر الخلق نظرهم مقصور على شهوات الدنيا وذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة وقوتها واتساعها واستيلاؤها على القلب يحصل بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها وذلك يجرى مجرى وضع البذر فى الارض بعد تنقيتها من الحشيش ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء واليها الاشارة بقوله تعالي اليه يصعد الكلم الطيب أى المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالجمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولا من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما أن من كان معتدل المزاج اذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال اليه ومهما أحبه حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ولا يتوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجدّ البالغ فى الطلب والنظر المستمرّ فى الله تعالي وفى صفاته وفى ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الي الاقوياء ويكون أول معرفتهم الله تعالى ثم به يعرفون غيره والي الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل . والي الاول الاشارة بقوله تعالى أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله تعالى شهد الله انه لا اله إلا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي . والي الثاني الاشارة بقوله تعالي سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق وبقوله عزّ وجلّ أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وبقوله تعالي قل انظروا ماذا فى السموات والارض وبقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ما تري في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل تري من فطور ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير * وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر فى آيات خارجة عن الحصر (فان قلت) كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الي المحبة (فاعلم) أن الطريق الاعلى هو الاستشهاد

بالحق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حدّ فهم اكثر الخلق فلا فائدة فى ايراده فى الكتب * وأما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من أعلى السموات الي تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالي وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهي بل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولكن يمكن الرمز الى مثال من كل نوع على الايجاز ليقع التنبه لجنسه كما سيأتى في مباحث النظر * واعلم أن المؤمنين مشتركون فى أصل الحب لاشتراكهم فى أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفى حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت أسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معانى يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معني فاسداً بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء أهل السلامة من أصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالي فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم الآية فان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعى مثلا يشتركون فى حب الشافعى رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون فى معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتمّ واعجابه به وحبه له أشد فان من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف بفضله أحبه لامحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفاً آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ماعظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري مافي التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعاميّ يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالي فيه حتي يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعني معرفة عجائب صنع الله تعالي بحر لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة فى الحب لا حصر له والتفاوت فى المحبة هو السبب للتفاوت فى سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا * واعلم ان أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الي الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضدّ من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها لمعني لا تفهمه الا بمثال وهو أنا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة

* الباطنة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جليّ عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان تعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظر الى كل ماني العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالي وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الاشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرّفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا مالا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أو لا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فانا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق فى الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرّف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان * أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفي مثاله * والآخر ما يتناهي وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستناره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتي لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره * واختفى عن البصائر كما اختفى عن الابصار بظهوره * ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث فى الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق ولا غروب لها لكنا نظنّ انه لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد فى الاسود الا السواد وفى الأبيض الا البياض فأما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع أن النور أظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طربان ضده فالله تعالي هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أوغيبة أوتغير لانهدّت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلاجرم أورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال أمره يعلم أن الافعال أثر من آثار قدرته تعالي فهي تابعة لها فلا وجود لها بالحقيقة دونه اذ به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الافعال من حيث انه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزاً له الي غيره كمن نظر في شعر انسان أوخطه أوتصنيفه من حيث انه أثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الي غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظراً الا في الله ولا عارفاً الا بالله ولا محبا الا له وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الي نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله ولكن وجود مثل هذا في الناس عزيز بسبب قصور الافهام عن معرفة الله تعالي وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأي على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالي خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لايحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذى سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة فالناس فى طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سرّ الامر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا * فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

﴿ المطلب الثانى فى اتباع الفلاسفة للظنون والاوهام ﴾
﴿ فى كيفية تكوّن الاجسام ﴾

اعلم أن الفلاسفة لما قصرت أفهامهم عن معرفة الله تعالي استهوت عقولهم الاهواء الي البحث فى كيفية تكوّن الاجسام وما أودع في العوالم العلوية والسفلية من الامور الغائبة عن الحس والعقل ولم يمكنهم الوصول في ذلك الي حق اليقين فاقتنعوا بالاوهام والظنون وصاروا فى طغيانهم يعمهون وقد ارشد الله تعالي الي ضلال امثالهم من الكفرة ومن سلكوا مثل طرقهم القاتم

الاعماق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاعماق في آيات كثيرة من القرآن فمنها قوله تعالى فى سورة البقرة (صم بكم عمي) وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما أنهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلي عليهم من الآيات والذكر الحكيم وأبوا أن يتلقوها بالقبول وينطقوا بها ألسنتهم ولم يجلوا ماشاهدوا من المعجزات الظاهرة على رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم ينظروا الي آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر وأصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية (فهم لا يرجعون) أى هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذى تركوه وضيعوه أوعن الضلالة التى أخذوها * وقوله تعالى في سورة البقرة أيضا (صم بكم عمي فهم لايعقلون) أي لايكتسبون الحق بما جبلوا عليه من العقل الغريزى لان اكتسابه انما يكون بالنظر والاستدلال ومن كان كالاصم والاعمى في عدم استماع الدلائل ومشاهدتها لايستدل على الحق ولايتعقله لان طريق التعقل بالتدبر فى مبادئ الامور المعقولة والتأمل في ترتيبها انما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسدّ عليهم أبواب التعقل وطرق الفهم بالكلية * وقوله تعالي في سورة النساء (ومن يشاقق الرسول) أى يخالفه فيما جاء به من الحق (من بعد ماتبين له الهدى) ظهرله الحق بالوقوف على المعجزات الداله على نبوّته (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أى طريقهم الذى هم عليه من الدين ويخالف ما مضي عليه السلف الصالح من جماعة المسلمين (نوله ما تولي) اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بأن نخلى بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) أى ندخله فيها (وساءت مصيرا) يعنى وبئس المرجع الي النار * وقوله تعالى في سورة الانعام (والذين كذبوا بآياتنا) أى بحجج الله وأدلته على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

توحيده (صم) يعني عن سماع الحق (وبكم) عن النطق به (في الظلمات) أي في ضلالات الكفر حائرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الأصم الأبكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيأ باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة وأما اذا كان مع ذلك أعمى أو كان فى الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية (من يشاء الله يضلله) تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من أهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان أصلا أى من يشاء الله اضلاله أي أن يخلق فيه الضلال يضلله أى يخلقه فيه لكن لا ابتداءً بطريق الجبر من غير أن يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الي كسبه وتحصيله (ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط) طريق (مستقيم) لايضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه وهو دين الاسلام * وقوله تعالي فى سورة الانعام أيضاً (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) المراد بمن في الارض الناس وبأكثرهم الكفار والمعنى لا تطعهم في آرائهم الفاسدة الناشئة من الجهل بالله تعالي فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله أى يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق (ان يتبعون الا الظن) أي جهالاتهم وآرائهم الباطلة كأنه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيأ فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب فى أن الضالّ المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون (وان هم الا يخرصون) أى يقدّرون أنهم على شيء وأنى لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقة الخرص ما يقال عن ظن وتخمين (ان ربك هو أعلم) أى عالم (من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) تقرير لمضمون الشرطية وتاكيد لما يفيده من التحذير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أي هو أعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين * وقوله تعالي في سورة الانعام أيضا (أومن كان ميتا فأحييناه) أى أعطيناه القوي المدركة والمتحركة (وجعلنا له) مع ذلك من الخارج (نورا) عظيما (يمشى به) أي بسببه (فى الناس) أي فيما بينهم آمنا من جهتهم (كمن مثله) أى صفته العجيبة (فى الظلمات) أي هو في الظلمات (ليس بخارج منها) يعنى من تلك الظلمات وهذا كما تري مثل أريد به من بقى فى الضلالة بحيث لا يفارقها أصلا كما أن الاول مثل أريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينة الي طريق الحق يسلكه كيف يشاء (كذلك) أى كما زين للمؤمن من ايمانه (زين) أي من جهة الله تعالى بطريق الخلق أو من جهة الشيطان بطريق الوسوسة (للكافرين) التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالمزخرفات التى يوحونها اليهم (ما كانوا يعلمون) ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصى * قال الامام فخر الدين وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وأيضا الميت لا يهتدي الي شيء والجاهل كذلك والهدى علم وبصر والعلم والبصر سبب لحصول الرشد والفوز بالنجاة وقوله وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس عطف على قوله فأحييناه فوجب أن يكون هذا النور مغايرا لتلك الحياة قال والذي يخطر بالبال والعلم عند الله تعالى أن الارواح البشرية لها أربع مراتب في المعرفة * فأولها كونها مستعدة لقبول هذه المعارف وذلك الاستعداد الاصلي يختلف في الارواح فربما كانت الروح موصوفة باستعداد كامل قوي شريف وربما كان ذلك الاستعداد قليلا ضعيفا ويكون صاحبه بليداً ناقصاً * والمرتبة الثانية أن يحصل لها العلوم الكلية الاولية وهى المسماة بالعقل * والمرتبة الثالثة أن يحاول ذلك الانسان تركيب تلك البديهيات ويتوصل بتركيبها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الى تدرّف المجهولات الكسبية الا أن تلك المعارف ربما لا تكون حاضرة بالفعل ولكنها تكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها يقدر عليه * والمرتبة الرابعة أن تكون تلك المعارف القدسية والجلايا الروحانية حاضرة بالفعل ويكون جوهر ذلك الروح مشرقاً بتلك المعارف مستضيئاً بها مستكملاً بظهورها فيه اذا عرفت هذا فنقول * المرتبة الاولى وهى حصول الاستعداد فقط هى المسماة بالموت * والمرتبة الثانية وهى أن تحصل العلوم البديهية الكلية فيه فهى المشار اليها بقوله فاحييناه * والمرتبة الثالثة وهى تركيب البديهيات حتي يتوصل بتركيباتها الى تعرف المجهولات النظرية فهي المراد من قوله تعالى وجعلنا له نوراً * والمرتبة الرابعة وهى قوله يمشى به فى الناس اشارة الي كونه مستحضراً لتلك الجلايا القدسية ناظرا اليها وعند هذا تتم درجات سعادات النفس الانسانية * ويمكن أن يقال أيضاً الحياة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن ايصال نور الوحي والتنزيل به فانه لا بد فى الابصار من أمرين من سلامة الحاسة ومن طلوع الشمس فكذلك البصيرة لا بد فيها من أمرين من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي والتنزيل فلهذا السبب قال المفسرون المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال هو نور الدين ومنهم من قال هو نور الحكمة والاقوال بأسرها متقاربة والتحقيق ما ذكرناه وأما مثل الكافر فهو كمن فى الظلمات ليس بخارج منها وفى قوله ليس بخارج منها دقيقة عقلية وهى أن الشيء اذا دام حصوله مع الشيء صار كالامر الذاتي والصفة اللازمة له فاذا دام كون الكافر في ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت تلك الظلمات كالصفة الذاتية اللازمة له يعسر ازالتها عنه نعوذ بالله من هذه الحالة وأيضاً الواقف فى الظلمات يبقى متحيرا لا يهتدي الى وجه الصواب والصلاح فيستولى عليه

الخوف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخوف والفزع والعجز والوقوف * وقوله تعالي فى سورة الانعام أيضاً ردا على من يستدل على باطله بما لم يحط به علما (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم (فتخرجوه لنا) أي فتظهروه لنا (أن تتبعون الا الظن) أي ما يتبعوه فى ذلك الا الظن الباطل من غير علم ويقين (وان أنتم الا تخرصون) تكذبون فيه * وقوله تعالى في سورة الانعام أيضا (وان هذا صراطى) أي ديني (مستقيما) أي لا اعوجاج فيه ودخل فيه كل ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام وهو المنهج القويم والصراط المستقيم (فاتبعوه) أي فاتبعوا جملته وتفصيله (ولا تتبعوا السبل) يعنى الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة (فتفرق بكم) بحذف احدي التائين والباء للتعدية أي فتفرقكم أيادى سبا حسب تفرقها (عن سبيله) وهو اتباع الوحي واقتفاء البرهان (ذلكم) اشارة الي ما مرّ من اتباع سبيله تعالي وترك اتباع سائر السبل (وصاكم به لعلكم تتقون) اتباع سبل الكفر والضلالة * وقوله تعالى في سورة الاعراف (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض) تحذير عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات أى دلائل قدرته تعالي المنصوبات في الآفاق والانفس لخلق السموات والارض وما بينهما والمراد بالآيات ما يعمّ الآيات التنزيلية والآيات التكوينية ومعني صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ماهم عليه من التكبر والمعنى سأطبع على قلوب الذين يعدّون أنفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعوا بآياتى التنزيلية والتكوينية ولا يغتنموا مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم فتكونوا أمثالهم (بغير الحق) أى يتكبرون بما ليس بحق وهو آراؤهم الباطلة وأفكارهم العاطلة أوحال كونهم ملتبسين بالدين الغير الحق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(وان يروا) أي يشاهدوا (كل آية) من الآيات المنزلة أو الخارقة للعادة (لا يؤمنوا بها) أي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي (وان يروا سبيل) أي طريق (الرشد) أى الصلاح فى النظر للتوصل الى الحق الذى جاء من عند الله (لا يتخذوه سبيلا) أى طريقا يسلكونه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله أصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ (وان يروا سبيل الغيّ) أي الضلالة (يتخذوه سبيلا) أى يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم (ذلك) اشارة الي ما ذكر من تكبرهم وعدم إيمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام على سبيل الغيّ (بانهم) أي حاصل بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا) الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها (وكانوا عنها غافلين) لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل . ويجوز أن يكون ذلك اشارة الي ما ذكر من الصرف أى سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى وبلقائهم الدار الآخرة أو لقائهم ما وعده الله تعالي في الآخرة من الجزاء (حبطت أعمالهم) أي ظهر بطلان أعمالهم التي كانوا عملوها فلا ينتفعون بها (هل يجزون) أى لا يجزون (الا ما كانوا يعملون) أى الا جزاء ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي * وقوله تعالي فى سورة الكهف (ما أشهدتهم) أي ما أشهدت جميع الخلق (خلق السموات والارض) حيث خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق أنفسهم) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض وقيل الضمير للكفار والمعني ما أشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على أسرار التكوين (وما كنت متخذ المضلين) أى الذين يضلون الناس عن الدين (عضدا) أي

اعوانا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اعوانا في شأن الخلق وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة رأيهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجليّ الذي لايكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الي التصريح به وفي الآية ردّ صريح على مايذكره الفلاسفة فى العالم العلوىّ والسفليّ وما يزعمونه من النشوء والارتقاء ونحو ذلك من ضلالاتهم وانما قال ماأشهدتهم وما كنت متخذ ولم يقل ماشهدوا وما كانوا عضدا للاشعار بأنهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وأنهم بمعزل عن استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء أنفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصاري ما يتوهم في شأنهم أن يبلغوا ذلك المبلغ بأمر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون * وقوله تعالي في سورة الحج وسورة لقمان (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم)أي بغير علم ضروري (ولاهدًى) أى استدلال ونظر لان الدليل يهدي الي المعرفة (ولا كتاب منير) أى وحى مظهر للحق أى يجادل فى شأنه تعالي من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعى أو يجادل لابعلم آتيناه من لدنا كشفا ولا بهدي أرسلناه اليه وحيا ولا بكتاب يتلي عليه وعظا * وقوله تعالى في سورة الطور (أم خلقوا من غير شيء) أي خالق (أم هم الخالقون) أنفسهم ولا يعقل مخاوق بغير خالق ولا معدوم يخلق (أم خلقوا)أى على وجه الشركة (السموات والارض)فهم بذلك عالمون بما فيهما على وجه الاحاطة واليقين(بل لا يوقنون) أى ليس لهم نوع يقين أصلا (أم عندهم خزائن ربك) أى خزائن الغيب أوهو اشارة الي الاسرار الالهية المخفية عن الاعيان (أم هم المسيطرون) أى الغالبون على الامور يدبرونها كيف شاؤا (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به الى السماء(يستمعون فيه) أى هل لهم قوة الاستماع من السماء فيعلمون أن مايزعمونه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى بحجة واضحة تصدق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

استماعه (أم له البنات ولكم البنون) تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعدّ من العقلاء فضلا عن الترقي الي عالم الملكوت والتطلع على الأسرار الغيبية * قال الامام فخر الدين فان قيل كيف وقع لهم نسبة البنات الي الله تعالي مع ان هذا أمر في غاية القبح لا يخفي علي عاقل والقوم كان لهم العقول التي هي مناط التكليف وذلك القدر كاف في العلم بفساد هذا القول نقول ذلك القول دعاهم اليه اتباع العقل وعدم اعتبار النقل ومذهبهم في ذلك مذهب الفلاسفة حيث يقولون يجب اتباع العقل الصريح ويقولون النقل بمعزل لا يتبع الا اذا وافق العقل واذا وافق فلا اعتبار للنقل لان العقل هناك كاف ثم قالوا الوالد يسمى والداً لانه سبب وجود الولد ولهذا يقال اذا ظهر شيء من شيء هذا تولد من ذلك يقولون الحمى تتولد من عفونة الخلط فقالوا الله تعالى سبب وجود الملائكة سبباً واجباً لا اختيار له فسموه بالوالد ولم يلتفتوا الى وجوب تنزيه الله في تسميته عن التسمية بما يوهم النقص ووجوب الاقتصار في أسمائه على الاسماء الحسني التي ورد بها الشرع لعدم اعتبارهم النقل فقالوا يجوز اطلاق الاسماء المجازية والحقيقية على الله تعالى وصفاته فسموه عاشقاً ومعشوقاً وسموه أبا ووالدا ولم يسموه ابناً ولا مولودا باتفاقهم وذلك ضلالة اه والمراد بالملائكة عندهم هي النفوس الفلكية التي هي الهيولي والمادة وعلى ما ذكر فمعني الآية أم لاجله حصل الموادّ التي تسمونها بنات لتولد بعضها عن بعض حصول المعلول عن علته ولاجلكم حصل البنون الذين هم أولادكم الذكور فتمتازون بذلك عنه سبحانه وتعالي عما يقول الظالمون علوّا كبيرا (أم تسألهم أجراً) رجوع الى خطابه عليه الصلاة والسلام واعراض عنه أى بل أتسألهم أجرا على تبليغ الرسالة (فهم) لذلك (من مغرم) أى من التزام غرامة فادحة (مثقلون) يعنى أثقلهم ذلك المغرم الذى سألتهم فلذلك لا يتبعونك قال الامام فخر الدين وجه

التعلق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التعلق هو أنهم لما اطرحوا الشرع واتبعوا ماظنوه عقلا وسموا الموجود بعدم العدم مولودا ومتولدا والموجد والداً وعلةً لزمهم الكفر بسببه والاشراك فقال لهم ما الذى يحملكم على اطراح الشرع وترك اتباع الرسول صلي الله عليه وسلم هل ذلك لطلبه منكم شيأ فما كان يسعهم أن يقولوا نعم والا فلا يبقي لهم الا أن يقولوا لا فنقول لهم كيف اتبعتم قول الفلسفي الذي يسوغ لكم قول الزور وما يوجب الاستخفاف بجانب الله تعالى لفظا ان لم يكن معني كما تقولون ولا تتبعون الذى يأمركم بالعدل في المعنى والاحسان في اللفظ ويقول لكم اتبعوا المعنى الحق الواضح واستعملوا اللفظ الحسن المؤدب وهذا فى غاية الحسن من التقدير (أم عندهم الغيب) أي علم ما غاب عنهم (فهم يكتبون) أى يجدّدون للناس كتابة جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم ويضرهم * قال الامام فخر الدين هو على الترتيب الذى ذكرناه كأنه تعالي قال لهم بم اطرحتم الشرع ومحاسنه وقلتم ما قلتم بناء على اتباعكم الاوهام الفاسدة التي تسمونها المعقولات والنبي صلي الله عليه وسلم لا يطلب منكم أجرا وانتم لا تعلمون فلا عذر لكم لان العذر اما في الغرامة وإما فى عدم الحاجة الي ماجاء به ولا غرامة عليكم فيه ولا غني لكم عنه فان قيل كيف التقدير قلنا لا حاجة الي التقدير بل هو استفهام متوسط على ما ذكرنا كأنه قال أتهديهم لوجه الله تعالى أم تسألهم أجرا فيتمنعون أم لا حاجة لهم الي ما تقول لكونهم عندهم الغيب فلا يتبعون (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون) أى أم يريدون كيدا من الشيطان وازاغته فيحصل مرادهم كأنه تعالي قال أنت لا تسألهم وهم لا يعلمون الغيب فهم محتاجون اليك وأعرضوا فقد اختاروا كيد الشيطان ورضوا بازاغته ويحتمل ان يقال ان المراد والله اعلم أن يريدون كيد الله فهو واصل اليهم وهم عن قريب مكيدون وترتيب الكلام هو أنهم لما لم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يبق لهم حجة فى الاعراض فهم يريدون نزول العذاب بهم والله أرسل اليهم رسولا لايسألهم أجرا ويهديهم الى مالا علم لهم ولا كتاب عندهم وهم يعرضون فهم يريدون اذاً أن يهلكهم ويكيدهم لان الاستدراج كيد والاملاء لازدياد الاثم كذلك قال تعالي والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون وأملي لهم ان كيدي متين وقال تعالى ولايحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين * فان قيل ما الفائدة فى قوله تعالي فالذين كفروا هم المكيدون وما الفرق بين معني هذا الكلام ومعني قول القائل أم يريدون كيداً فهم المكيدون نقول الفائدة كون الكافر مكيداً في مقابلة كفره لافي مقابلة ارادته الكيد ولو قال أم يريدون كيداً فهم المكيدون كان يفهم منه انهم ان لم يريدوه لا يكونوا مكيدين والمعني على ما ذكرناه أتهديهم لوجه الله أم تسألهم أجراً فتثقلهم فيمتنعون عن الاتباع أم عندهم الغيب فلا يحتاجون اليك فيعرضون عنك أم ليس شيء من هذين الامرين الاخيرين فيريدون العذاب والعذاب غير مدفوع عنهم بوجه من الوجوه لكفرهم فالذين كفروا معذبون (أم لهم اله غير الله) بعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) أى عن اشراكهم أو عن شركة ما يشركونه (وان يروا كسفاً) قطعة (من السماء ساقطاً) لتعذيبهم (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) غليظ أو متراكب أى هم فى الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وفيه اشارة الي انهم اذا علموا وتيقنوا سقوط قطع من السماء وعجزوا عن التكذيب ولم يمكنهم أن يقولوا لم يقع شيء على الارض يرجعون الي التأويل والتخييل بقولهم سحاب مركوم أونحو هذا كأنهم يدفعون مايورد عليهم بأنه مخالف للسحاب بصلابته

وغلظته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وغلظته فيقولون انه ركام فصار صلباً قوياً*قال الامام فخر الدين ان العرب في الجاهلية كانت في الاصل على مذهب الفلاسفة وهم يقولون بالطبائع فيقولون الارض طبعها التكوين والسماء طبعها يمنع الانفصال والانفكاك فقال الله تعالى ردّاً عليهم فى مواضع ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً ابطالاً للطبائع وايثاراً للاختيار فى الوقائع فقال ههنا ان أتينا بشيء غريب فى غاية الغرابة فى أظهر الاشياء وهو السماء التى يرونها أبداً ويعلمون ان أحدا لا يصل اليها ليعمل بالادوية وغيرها ما يوجب سقوطها لأنكروا ذلك فكيف فيما دون ذلك من الامور والذي يؤيد ما ذكرناه أنهم كانوا على مذهب الفلاسفة فى أمر السماء وانهم قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أي ذلك فى زعمك ممكن فأما عندنا فلا اهـ واعلم ان في الآية أيضاً ردّاً على المتأخرين من الفلاسفة وإخباراً عن الغيب وذلك لانهم يقولون ان الكواكب كارضنا هذه وانها مسكونة بعوالم مادية من جنسنا وانهم يرون امامها بواسطة المكرسكوب قطعاً فيقولون كما أخبر الله تعالى فى هذه الآية انها سحاب مركوم فوق سطح تلك الكواكب كالسحاب الذي يكون مركوما فوق سطح أرضنا مع أنه يحتمل والله أعلم أن تلك القطع هي كسف ساقط من السماء يخلقه الله تعالي هناك ليهلكهم به ثم يصرفه عنهم رحمة بعباده المؤمنين كما قال تعالى يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء وقد ردّ الله تعالى عليهم أيضاً فى قولهم ان سكان الكواكب اجسام مادية بقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون .

وبيان ذلك انه لا فرق بين قول من يقول ان الملائكة الذين هم سكان الكواكب التي هي السموات إناث على زعمهم وبين قول من يقول انهم أجسام مادية فهذه الآية ترد عليهم جميعا (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يموتون أى اذا بلغوا فى الكفر والعناد الى هذا الحد وتبين أنهم لا يرجعون عن الكفر فدعهم حتى يموتوا عليه (يوم لا يغني عنهم كيدهم) أي الذي يرومونه بالاقوال المتناقضة (شيأ) من الاغناء فى دفع شيء يكرهونه من الموت ولا غيره كما يظنون انه يغنى عنهم فى غير ذلك من أحوال هذه الدار (ولا هم ينصرون) يمنعون من العذاب فى الآخرة * وقوله تعالي فى سورة النجم (ان هى) أي كون الملائكة أناثا كما ذكره الامام فخر الدين ومثل ذلك كونها أجساما مادية من جنسنا كما يزعم المتأخرون من الفلاسفة (الا أسماء) محضة ليس تحتها مما تنبئ عنه من المعنى شيء ما أصلا (سميتموها) صفة لاسماء وضميرها لها والمعنى جعلتموها أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا فانها ليست باناث حقيقة ولا أجسام مادية أى ما هى الا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها (أنتم وآباؤكم) بمقتضى أهوائكم الباطلة (ما أنزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (ان يتبعون) التفات الي الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضي الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم أى ما يتبعون فى ما ذكر من التسمية واعتقاد معناها (الا الظن) الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا (وما تهوي الانفس) أي تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء قال الامام فخر الدين قوله تعالي ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس أمران مذكوران يحتمل أن يكون ذكرهما لامرين تقديريين يتبعون الظن فى الاعتقاد ويتبعون ما تهوي الانفس في العمل والعبادة وكلاهما فاسد لان الاعتقاد ينبغي أن يكون مبناه على اليقين وكيف يجوز اتباع الظن فى الامر العظيم وكلما كان الامر أشرف وأخطر كان الاحتياط فيه أوجب وأحذر وأما العمل فالعبادة مخالفة للهوى فكيف تبني على متابعته (ولقد جاءهم من ربهم الهدي) على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فلم يرجعوا عما هم عليه قال الامام فخر الدين يجوز بناء الامر على الظن الغالب عند العجز عن درك اليقين والاعتقاد ليس كذلك لان اليقين لم يتعذر علينا والي هذا أشار بقوله ولقد جاءهم من ربهم الهدي أي اتبعوا الظن وقد أمكنهم الاخذ باليقين وفى العمل يمتنع ذلك أيضا ثم قال وقوله تعالي ولقد جاءهم من ربهم الهدي اشارة الي انهم على حال لا يعتد به لان اليقين مقدور عليه وتحقق بمجيء الرسل وقال العلامة أبو السعود فيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوي النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من أى شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلي الله عليه وسلم وانزال الكتب أقبح ثم قال تعالي (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه علي الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق أى يسمون كل واحد منهم (تسمية الانثي) فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية الانثي وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها فى الشناعة والفظاعة باستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأساً قال الامام فخر الدين الذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين لا يؤمنون بالرسل ولا يتبعون الشرع وانما يتبعون ما يدعون انه عقل فيقولون أسماء الله تعالى ليست توقيفية ويقولون الولد هو الموجود من الغير ويستدلون عليه بقول أهل اللغة كذا يتولد منه كذا يقال الزاج يتولد من الاجر بمعني يوجد منه وكذا القول فى بنت الكرم وبنت الجبل ثم قالوا الملائكة وجدوا من الله تعالي فهم أولاده بمعنى الايجاد وأقول هذا هو عين مذهب المتأخرين من الفلاسفة فانهم يقولون في سكان السموات انها أجسام مادية أى تتولد من المادة وليس ثمة عندهم اله سوى المادة قال الامام فخر الدين ثم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

انهم رأوا في الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فقال ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى أي كما سمى الاناث فانهم اغتروا بالتاء واغترارهم باطل لان التاء تجيء لمعان غير التأنيث الحقيقي والبنت لا تطلق الا على المؤنث الحقيقي بالاطلاق (وما لهم به من علم) أى لاعلم لهم بما يقولون أصلا (ان يتبعون الا الظن) أى الذى يتخيلونه لانهم لم يشاهدوا خلق السموات والارض ولم يسمعوا مايقولونه من رسول ولم يروه فى كتاب (وان الظن لايغنى من الحق شيأ) من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشيء لايدرك الا بالعلم والظن لااعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وانمايعتدبه فى العمليات ومايؤدى اليها قال الامام فخر الدين ان الظن يتبع في الامور المصلحية والافعال العرفية أوالشرعية عند عدم الوصول الى اليقين واما في الاعتقادات فلا يغني الظن شيأ من الحق ويحتمل أن يقال المراد من الحق هو الله تعالي ومعناه أن الظن لايفيد شيأ من الله تعالي أي الاوصاف الالهية لاتستخرج بالظنون (فاعرض عن من تولي عن ذكرنا) أي فاعرض عن من أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينيّ وهو القرآن المنطوى على علوم الاولين والآخرين المذكّر لامور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها (ولم يرد الا الحياة الدنيا) راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من أعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لاتزيده الدعوة الا عناداً وإصراراً على الباطل لتقيده بالمحسوسات كالبهائم قال الامام فخر الدين ان الامر بالاعراض موافق لآية القتال وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أمر

بازالة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بازالة شبههم والجواب عنها فقيل له وجادلهم بالتى هي أحسن ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له اعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الا الظن ولا يتبعون الحق وقائلهم والاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي فى معالجة القلوب على ترتيب الاطباء فان ترتيبهم ان المزاج اذا امكن اصلاحه بالغذاء لا يستعملون الدواء وما امكن اصلاحه بالدواء الضعيف لا يستعملون فيه الدواء القوي ثم اذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد والجراحة فالنبي صلي الله عليه وسلم أولاً أمر بذكر الله الذي هو غذاء القلوب فان بذكر الله تطمئن القلوب كما انّ بالغذاء تطمئن النفوس ولهذا قال أولا قولوا لا اله الا الله فانتفع به أبو بكر ومن كان مثله رضى الله عنهم ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال أو لم يتفكروا قل انظروا أفلا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا أتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال أعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فقوله عن من تولى الخ اشارة الي ما قلنا فان التولى عن ذكره تعالي كناية عن ملزومه الذى هو ترك النظر في دلائل وجوده ووحدته وسائر صفاته ومن ترك النظر في دلائل الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه فلا يبقي في الدعاء فائدة فلم يبق الا ترك المعالجة والمسارعة الى المقاتلة ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ أى ايثار الحياة الدنيا مبلغهم من العلم أي ذلك الايثار غاية ما بلغوه من العلم أو اسم الاشارة عائد الي الظن أى غاية ما يبلغون بالعلم أنهم يأخذون بالظن مع أنه لا يفيد شيأ فى الاعتقاد كما تقدم وانما المعول عليه فى ذلك هو خبر النبي صلى الله عليه وسلم المؤيد بالبرهان القطعي*

قال صاحب الرسالة الحميدية ان النصوص التى ترد فى الشريعة المحمدية ويعتمد عليها في الاعتقاد كما يعتمد عليها في الاعمال والاحكام تنقسم الى قسمين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

متواتر ومشهور فالمتواتر ما ثبت قطعيا وروده في هذه الشريعة لما توفر فيه من الاسباب الموجبة للعلم اليقينيّ بوروده فيها والمشهور ما ثبت وروده فيها ثبوتا قريبا من القطعي لما توفر فيه من الاسباب الموجبة لطمأنينة القلب بوروده وهي فوق الظنّ ودون اليقين ثم ان كلا من المتواتر والمشهور إما أن يدل على معني لا يحتمل الدلالة على سواه فلا يقبل الصرف والتأويل الي معنى آخر ولنسم هذا القسم بمتعين المعنى وإما ان يدل كل من المتواتر والمشهور على معنى ظاهر متبادر منه ويحتمل الدلالة على معنى آخر وان كان بعيدا ولنسم هذا القسم بظاهر المعنى ثم ان حكم النص المتعين المعنى في الشريعة المحمدية انه ان كان متواترا يجب التصديق بوروده وبمعناه المتعين وانكار وروده أو تكذيب معناه يوجب الكفر والخروج عن الدين الاسلامي ولا يجوز تأويله وصرفه الي معني آخر اذ هو لا يحتمل التأويل ولا يناقض شيء منه الدليل العقلي القاطع حتي يحتاج لتأويله وإن كان مشهورا فيجب أيضاً التصديق بوروده وبمعناه وانكار وروده أو تكذيب معناه يعدّ ضلالا وفسقا ولا يجوز تأويله وصرفه الي معني آخر اذ هو لا يحتمل التأويل كما تقدم وحكم النص الظاهر المعني انه ان كان متواترا يجب التصديق بوروده وبمعناه المتبادر وانكار وروده أو تكذيب معناه بدون تأويل يكون كفراً أيضاً ولا يجوز تأويله الا اذا قام دليل عقلي قاطع يدل على ما يناقض معناه المتبادر منه فحينئذ يؤول ويصرف الى معنى غير معناه المتبادر على سبيل الاحتمال بحيث يصح التوفيق بينه وبين ما دلّ عليه الدليل العقليّ القاطع وان كان مشهورا يجب التصديق بوروده وبمعناه المتبادر أيضا وانكار وروده أو تكذيب معناه لا يوجب الكفر بل الضلال والفسق والملخص ان النص المتعين المعنى من المتواتر والمشهور لايسوغ تأويله اذ لا يوجد في

العقل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العقل ما يناقضه والنص الظاهر المعني منهما لا يجوز تأويله وصرفه عن معناه المتبادر منه الا اذا قام في العقل دليل قاطع على ما يناقض معناه الظاهر وانما جاز حينئذ تأويله لان الجمود على اعتقاد المعنى المتبادر منه ورفض ما يدلّ عليه الدليل العقليّ القاطع يقتضي هدم الاصل وهو العقل الذى ثبت به رسالة الرسول المتكلم بتلك النصوص الشرعية اذ لولا العقل لما وصلنا الى الاستدلال على صدقه فى دعواه الرسالة فاذا هدم الاصل هدم الفرع لا محالة فرفض الدلائل العقلية رجوع على الدلائل النقلية بالنقض وهو خلاف المطلوب هكذا الحكم في كل نص ظاهر المعنى ناقضه الدليل العقلى القاطع يرجع فيه الى التأويل وذلك قاعدة كلية في الشريعة المحمدية كما في كثير من الكتب كتفسير الامام فخر الدين ومثله في المقاصد والمواقف واما اذا قام الدليل العقلي غير القطعى وهو الظني مناقضا للمعنى المتبادر من نص الشريعة فلا يسوغ تأويل ذلك النص وصرفه الي معنى آخر غير المتبادر منه بل يجب البقاء علي الاعتقاد بمعناه الظاهر ومن المعلوم ان الدليل العقلى القاطع هو الذى يدل علي مدلوله دلالة يقينية لا تحتمل النقيض وأما الدليل العقلى الظني فهو الذى يدل على مدلوله دلالة راجحة تحتمل النقيض ولو احتمالا بعيداً فبذلك الاحتمال ينزل عن درجة اليقين ولا يعتمد عليه فى المعتقدات الاسلامية ولا يكون معارضاً للمعنى الذى يظهر من نصوص الشريعة المتواتر أو المشهور ولا يسوغ عنده تأويل ذلك الظاهر البتة ثم قد يوجد في الشريعة المحمدية نص لا تتوفر له الشروط التي يبلغ بها درجة المتواتر أو المشهور فلا يكون ثبوت وروده يقينيا ويسمى بالآحاد وهو ينقسم أيضا الي متعين المعنى وظاهر المعنى وحكمه في الشريعة الاسلامية ان يعتمد عليه في الاعمال الشرعية اذ يكفي في حقها الظن ولا يعتمد عليه استقلالا في المعتقدات الاسلامية حيث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ان ثبوت وروده ظني لا يقيني فلا يكفر منكر وروده أو معناه كما هو منصوص في كتب الاصول ولكن الآحاد اذا نقلها العدول وصارت معتمد الفقهاء في الفروع فلا يجوز انكارها حيث لم يعارضها معارض عقلي قاطع لئلا يجر ذلك الي انكار المتواتر والمشهور والعياذ بالله تعالي نعم اذا اكتنف الآحاد ما يقويه ويجعله مفيداً لليقين فيعتمد عليه حينئذ في المعتقدات أيضاً كما يعتمد على المتواتر والمشهور فيها اذا علمت ذلك فاعلم ان الذى ورد في الشريعة المحمدية من النصوص المتواترة أو المشهورة التي يعتمد عليها في الاعتقاد فى خصوص خلق الاكوان وتنوع الانواع انما هى نصوص لم يبين فيها تفاصيل الخلق وكيفياته لان الشريعة المحمدية بل وسائر الشرائع انما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق الي معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال والى كيفية عبادته وأداء شكره والي الاحكام التي توصلهم الي انتظام المعاش وحسن المعاد وأما تعريفهم بكيفية خلق العالم فأمر تعجز عن ادراك حقيقته عقولهم فلا تلفت الشرائع اليه أولا وبالذات نعم قد تذكر مثلا خلق السموات والارضين وابرازها من العدم واختلاف أنواع المخلوقات فى التنوعات وكيفية تدبير الاكوان واعطاء كل نظامه على سبيل الاجمال لاجل أن يكون ذلك دليلا عقليا للناس على وجود اله للعالم وعلى اتصافه بالعلم والقدرة والحكمة الي غير ذلك وقد تفصل بعض تلك المباحث لداع يدعو الى ذلك يكون مرجعه الي مقاصدها وأما تفصيل خلقها وكيفيات تكونها أو تكون الشمس والكواكب والارض كما يزعم الماديون من أن أصلها السديم ثم تكونت منه الشمس ثم انفصلت عنها الكواكب ومنها أرضنا على النواميس التي يذكرونها فى كتبهم أو على طريقة أخرى فجميع ذلك انما يذكر على سبيل الفرض والتخمين كما يظهر من التأمل في شرحهم لها في كتبهم على أنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لو فرضنا أنهم اثبتوا تلك الفروض بالدلائل القاطعة التي لا تحتمل النقيض ولا مجال للعقل في رفضها (وهيهات ذلك) فنحن حينئذ نقول ان الله تعالي أوجد الشمس وكوّنها وفصل منها الكواكب والارض على الكيفية التي يذكرونها والنواميس التى قالوها في ذلك التكوين تكون عندنا أسبابا عادية ولا تأثير لها فى نفسها كالنواميس التي وضعها الله تعالى فى تكوّن بقية العوالم فالنبات مثلا يتكوّن بواسطة الماء والنور والتراب وليس لذلك تأثير فى ايجاد النبات وانما المؤثر الحقيقى هو الله تعالي لكن جرت عادته فى وضع تلك الاسباب وايجاد مسبباتها عندها وعلى كل فالمقصود وهو الاستدلال بالآثار على مؤثرها حاصل لكن لا نلتزم القول به حتي تقوم عندنا الادلة القاطعة على ثبوت الكيفية التى قالوا بها في تكوّن الشمس وانفصال الكواكب والارض عنها والا فنحن نقتصر في الاعتقاد على النصوص التي وردت فى شريعتنا ونتبع رأى جمهور علمائنا على مافي ذلك من الاجمال ونفوّض علم تفصيل ذلك الى الله تعالي لاننا لم نكلف بالبحث عن تفصيل ذلك واذا سئلنا عنه أو عن أمثاله من كل ما لم يرد في شريعتنا تصريح فيه ولم تقم الادلة القاطعة عليه بل كانت أدلته ظنية فان كان ينافى نصوص شريعتنا رفضناه وامتنعنا عن القول به وان لم يناف تلك النصوص قلنا يحتمل الصحة ويحتمل خلافها اذ هو أمر مظنون هذا ثم المدار في اعتقادنا في شأن عوالم الكون ان نعلم علما جازما أنها حادثة فلا بدّ لها من محدث وهو الله تعالى أحدثها وأوجدها من العدم ونوّعها الى أنواعها التي تشاهد الآن وأن جميع ذلك لم يكن بتأثير طبيعة أو ناموس والنواميس التي تشاهد في تكوين بعض الكائنات انما هي أسباب عادية وضعها الله تعالي لذلك وهو غنيّ عنها قادر على احداث تلك الكائنات بدونها فعلى موجب هذه العقيدة وموجب ظاهر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النصوص الشرعية وبحسب القاعدة المتقدمة من ان الواجب فى الشريعة المحمدية اعتقاد المعانى المتعينة والمعاني الظاهرة من نصوصها المتواترة والمشهورة ما لم يعارض المعانى الظاهرة دليل عقلي قاطع يلجىء الي تأويلها يجب أن يكون اعتقادنا أن الله خلق كل نوع من عوالم الارض مستقلا ابتداء عن البقية ولا يسوغ لنا بمقتضي حكم شريعتنا كما تقدم أن نعدل عن اعتقادنا الظاهر من النصوص الشرعية الى الاعتقاد بخلافه من نحو النشوء واشتقاق بعض الانواع من بعض كما يقول المادّيون وكيف يسوغ لنا العدول عن قول الله تعالي عالم الغيب والشهادة الي قول جاهل لم يقم على قوله دليل قاطع يضطرنا الي تأويل نصوص شريعتنا مع أن الله تعالي يقول وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء والادلة التى يذكرونها في كتبهم على النشوء ما هى الا ظنون وفروض لم تخرج عن دائرة الاحتمال الذي يسقط به الاستدلال كما يظهر من الاطلاع عليها مع خلو الفرض وما دام الحال كذلك فلا نصرف النصوص الشرعية عن ظواهرها بل لا يسوغ لنا صرفها نعم لو قام الدليل القاطع على أن وجود الانواع انما هو بطريق النشوء وان كل نوع منها مشتق من الآخر كان علينا حينئذ أن نؤول تلك النصوص الشرعية المخالفة لذلك للتوفيق بينها وبين ما قام عليه ذلك الدليل جريا على القاعدة المتقدمة ولكن دون ذلك خرط القتاد (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) (إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين) وبعد ذلك لا يخفى أن النشوء عندنا لو ثبت هو غير النشوء عند المادّيين لانه لو ثبت عندنا نقول هو بخلق الله تعالي لما قام عندنا من الدليل على انه لا خالق ولا مؤثر سواه والنواميس التي ترافقه ما هى الاّ أسباب عادية ولا تأثير لها ألبتة وأما النشوء عندهم فهو على زعمهم بتأثير تلك النواميس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الاول فى ما يقوله الفلاسفة من تأثير العلة والطبيعة فى الأكوان * وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الاول في الفرق بين الفعل بالعلة والفعل بالطبيعة والفعل بالاختيار

اعلم أن الفلاسفة لما رأوا اطراد الارتباط بين الاسباب والمسببات توهموا أن الذوات هي الموجدة للافعال المرتبطة بها وبنوا على ذلك ان الفاعل اما أن يكون أوجب الفعل لذاته أو اقتضاه بطبعه أو أوجده باختياره ووجه الحصر أن كل فاعل لا يخلو اما أن يصح منه الترك لفعله أولا فالذى يصح منه الترك هو الفاعل بالاختيار والذى لا يصح منه الترك اما أن يمكن أن يمنعه مانع من الفعل أولا * فالذي يمكن أن يمنعه منه مانع هو الذي ينشأ عنه الفعل بطبعه وحقيقته من غير أن يكون له ارادة واختيار فيه مع التوقف على وجود شرط وانتفاء مانع * والذي لا يمكن ان يمنعه مانع من الفعل هو الذى ينشأ الفعل عن ذاته من غير أن يكون له ارادة ولا اختيار فيه بلا توقف على وجود شرط وانتفاء مانع ولهذا يلزم اقتران العلة بمعلولها كحركة الاصبع مع حركة الخاتم التي هى فيه مثلا ولا يلزم اقتران الطبيعة بمطبوعها كاحراق النار مع الحطب لانه قد لا يحترق بالنار لوجود مانع وهو البلل فيه مثلا أو تخلف شرط كعدم مماسة النار له * واعلم أن تقسيم الافعال الى ذاتية وطبيعية واختيارية تقسيم اصطلاحى ولا مشاحة في الاصطلاح لكن المؤثر فى الثلاثة عندنا واحد وهو الله الفاعل المختار سبحانه وتعالى ولاثبات ذلك نقول ان الفلاسفة مع عدم اعترافهم بما ذكرنا يقولون ان الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا هو الفاعل بالذات على الاطلاق ولذلك يسمونه سبحانه وتعالى علة العلل وأما غيره تعالى فلابدّ أن يكون فعله مقيدا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالطبيعية أوالاختيار . وبيان ذلك أن حركة الخاتم مثلا معللة بحركة الاصبع وكلاهما مقيد بما أودع في الانسان من القدرة والاختيار وحركة العربات مثلا معللة بحركة الوابور وكلاهما مقيد بما أودع فى الماء من القوة الطبيعية وهى البخار وباعتبار ما ذكرنا تنحصر جهات التأثير في الفاعل بالطبيعية والفاعل بالاختيار واذا علمت ذلك نقول انه لاتأثير للاسباب العادية فيما قارنها لا بطبعها ولا بقوة أودعت فيها فلا تأثير للنار في الحرق ولا للطعام فى الشبع ولا للماء في فى الرى ولا للشمس في الضوء ولا للسقمونيا في الاسهال وهكذا الى ما لا ينحصر وقد غلط قوم فى تلك الاحكام العادية فجعلوها عقلية واسندوا وجود كل منها لما جرت العادة انه يوجد معه اما بطبعه أو بقوة أودعت فيه فأصبحوا وقد باؤا بهوس ذميم وبدعة شنيعة وشرك عظيم مع انه لامدخل للعقل في شيء من تلك الاحكام فان الحكم العقلى هو ما يدرك العقل ثبوته او نفيه من غير توقف علي تكرر ولا وضع واضع كما تقدم توضيحه ولا يمكن أن يدرك العقل ثبوت الرى للماء او الشبع للطعام أو الاسهال للدواء الا بعد تكرر ذلك علي الحس بخلاف ثبوت التحيز للجرم فانه يحكم به العقل ابتداء من غير توقف علي شيء أصلا اما ثبوت تلك الآثار لاسبابها ليس الا بمجرد العادة ولا شيء فيها يلزم العقل بالحكم بانها مقتضية لها بذاتها مثلا الحرارة تذيب الثلج والبرودة تجمد الماء واذا نظر الي حقيقتها لم يظهر للعقل وجه اقتضائهما لذينك الاثرين كما يظهر وجه اقتضاء الجسم للتحيز ووجه اقتضاء الجسمين ان لا يحلا في حيز واحد مثلا فاذا قلنا لهم ولم لم يكن الحال في الحرارة والبرودة بالعكس أيقولون لان الحرارة تضعف قوة الملاصقة والبرودة تقويها فنقول لهم ولم لم يكن الامر بالعكس وهلم جرا فما يسعهم بعد ذلك الا ان يقولوا ما كان اختصاص كل منهما بخاصته الا بتخصيص مخصص مختار وذلك لان الاجسام متماثلة فى الحقيقة الجسمية فلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يصح أن ينفرد أحدها عن الآخر بصفة واجبة لذاته كأن ينفرد أحدها بالتحيز دون الآخر لان ما وجب لاحد المثلين يجب للآخر والا لزم أن يكون مثلا غير مثل وهو تهافت لا يعقل واذا كان كذلك كان اختصاص كل جرم بما اختص به ليس واجبا لذاته والا لزم اتصاف كل جرم بتلك الخاصة وحينئذ فلا بدّ من مخصص مختار خارج عن حقيقتها خص كل واحد منهابما اختص به وهو الله تعالى وكذا لا تأثير لقدرتنا فى شيء من أفعالنا الاختيارية كحركاتنا وسكناتنا وقيامنا وقعودنا ومشينا ونحوها بل جميع ذلك مخلوق لمولانا جلّ وعز بلا واسطة وقدرتنا أيضاً مثل ذلك عرض أيّ وصف وجودى مخلوق لمولانا جلّ وعز مقارن تلك الافعال الاختيارية وتتعلق بها تعلق مقارنة فقط من غير تأثيرلها في شيء من ذلك وجعل الله سبحانه وجود تلك القدرة مقارنة للفعل شرطاً فى وجوب التكليف وهذا الاقتران والتعلق لهذه القدرة الحادثة بتلك الافعال من غير تأثير لها أصلا هو المسمي عند الامام الاشعرى ومن تبعه بالكسب والاكتساب وبحسب الكسب تضاف الافعال الي العباد كقوله تعالي لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وأما الاختراع والايجاد فهو من خواصّ مولانا جلّ وعز لايشاركه فيه شيء سواه تبارك وتعالي ولما أضيفت الافعال للعبد من جهة الكسب أثيب وعوقب عليها نظراً لما عنده من الاختيار الذى هو سبب عادى فى ايجاد الله الفعل والقدرة هذا هو مذهب أهل السنة وخالفهم المعتزلة فقالت القدرية منهم ان العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه وقالت الجبرية ان الافعال كلها مستوية وانه لا قدرة تقارن شيأ منها عموماً وإن العبد مجبور على الفعل كالريشة المعلقة في الهواء ولا كسب له فيه أصلا فأنكروا بهذا المذهب ماتحكم به بداهة العقل من الفرق بين حركة المرتعش وحركة المختار ولو لم يكن فى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مذهبهم الا ثبوت جهل بأمر يدرك ضرورة من غير مصادمة للشريعة لكان أمر سهلا اذ غاية ما يلزم فيه التناهي في الغباوة وضعف العقل كيف والمذهب مصادم للشريعة لانها جاءت باسقاط التكليف بالافعال التي لا تتيسر بحسب العادة بان كانت ليست فى وسع العبد وطاقته وبالتكليف بما تيسر منها على العبد عادة فعله وتركه ولو استوت الافعال كلها كما يقول أهل الجبر لكانت الافعال حينئذ لا شيء منها في وسع المكلف عادة فلا تكليف اذن بشيء منها لقوله تعالي لا يكلف الله نفساً الا وسعها وهذا ابطال للكتاب والسنة واجماع الأمة فالقدرية فرطوا حيث قالوا بأن العبد يخلق فعله الاختيارى والجبرية أفرطوا حيث قالوا بأنه لا كسب له فيه وأهل السنة توسطوا حيث قالوا بأن العبد لا يخلق فعله لكن له فيه الكسب وخير الامور أوساطها لانه خرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغا للشاربين والاستدلال على بطلان مذهب القدرية من وجوه (الاوّل) أن العبد لو كان خالقاً لافعاله لكان عالما بتفاصيلها لكنه لا يعلم تفاصيل أفعاله فليس خالقاً لها * وبيان الملازمة بين المقدّم والتالي ان الخلق ايجاد الشيء بالقدرة والاختيار فهو موقوف على العلم التفصيلي لان الأزيد والأنقص مما أتى به ممكن وكذا كل فعل من أفعاله يمكن وقوعه على وجوه مختلفة وأنحاء شتي فوقوع ذلك المعين لاجل القصد اليه بخصوصه والقصد اليه بخصوصه موقوف على العلم به بخصوصه وأما بيان الاستثنائية وهى قولنا لكنه لا يعلم تفاصيل أفعاله فهو ان المشي من موضع الي موضع قد يشتمل على سكنات متخللة وعلى حركات بعضها أسرع وبعضها أبطأ ولا شعور للماشي بذلك بل قد يصدر عن النائم أفعال لا علم له بها أصلا وعلي كل حال فلا شعور للعبد بتفاصيل أفعاله ولا كمياتها ولا كيفياتها وهذا فى أظهر أفعال العبد وأما اذا تأملت في حركات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أعضائه في المشى والاخذ والبطش ونحو ذلك وما يحتاج اليه من تحريك العضلات وتمديد الاعصاب ونحو ذلك كما سيأتى في مبحث النظر فى الانسان فالأمر أظهر (الثاني) ان كل فعل منسوب للعبد هو صالح لتعلق قدرة الله تعالي به وحينئذ فلا يخلو اما أن يكون حصول هذا الفعل بقدرة الله تعالى وقدرة العبد فيلزم اجتماع مؤثرين علي أثر واحد وهو باطل ضرورة واما ان يكون بقدرة العبد وارادته فقط فيلزم وقوع شئ في الكون قهراً عن الله تعالى وهو مايقع من العبد مخالفاً لأوامره تعالي وأيضاً ان اللازم فى تعدد الاله ثبوت العجز للاله عند عدم نفوذ ارادته وذلك بعينه لازم فى مذهب القدرية فانهم جعلوا تعلق قدرة العبد وارادته بالفعل مانعاً من تعلق قدرة الله تعالي وارادته بذلك الفعل مع القطع بان ذلك الفعل من جملة الممكنات التى يجب تعلق قدرته تعالي وارادته بها لئلا يلزم التخصيص بغير مخصص فصار اذن هذا الفعل قد توجهت نحوه قدرة العبد وقدرة مولانا جلّ وعلا وارادة العبد وارادة مولانا سبحانه وتعالي لما عرفت من عموم تعلق قدرته تعالى وارادته ثم زعمت القدرية مجوس هذه الامة ان الذى نفذ وأثر في الفعل والحالة هذه انما هو أضعف القدرتين وأضعف الارادتين وهما قدرة العبد الفقير الحقير وارادته وهل هذا القول الشنيع الاقول باثبات التسريك له تعالي ووسم له بنقيصة العجز وغلبة الغير له واذا كان عجز الاله بتقدير نفوذ ارادة اله آخر يماثله قادحا في ألوهيته وموجبا لنقصه فكيف بعجزه لنفوذ قدرة عبده وارادته ولا ينفعهم مايجيبون به من عدم لزوم عجزه تعالي عن ذلك الفعل الذي أوجده عبده قالوا لانه تعالى قادر ان يوجد ذلك الفعل بان يسلب عبده القدرة عليه والارادة له ويلجئه الى الفعل لانا نقول عجز الاله وكونه مغلوبا على ايجاد ممكن ما مستحيل مطلقا وهذا الجواب منهم قدا قتضي انه تعالي لا يتمكن من ايجاد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فعل العبد الا عند عدم قدرة العبد وارادته فما أشبه ضلالهم هذا بمن يصف انسانا بقدرة عظيمة لا يغلبه معها قدرة أحد ولذلك الانسان عبيد ويقول ان ذلك السيد القوي في غاية لا يغالب واحدا من أولئك العبيد الا اذا احتال عليه بان يسلبه أسباب القدرة من الاكل ونحوه حتي لا تكون للعبد قدرة أصلا أما اذا مكنه من الاتصاف بقدرة وان كانت أضعف بكثير من قدرته وارادته لم يقدر ان يفعل معه فعلا تتوجه اليه قدرة ذلك العبد وارادته وصارت قدرة ذلك العبد وارادته تغلبان قدرة سيده الموصوف بغاية القوة وهذا نظير ما تخيلوه من الجواب فنعوذ بالله من الخذلان * وأن تلعب بعقولنا التوهمات والشيطان (الثالث) ان القدرة عندهم هي سلامة الاعضاء ثم انهم يوافقون على انه اذا حصلت القدرة والداعي تعين وجود الفعل فالداعي ان كان من الانسان احتاج الي داع آخر يبعثه ويحركه فاما ان يدور أو يتسلسل وكلاهما محال فبطل القول بان الداعي من العبد فلم يبق الا أن الداعي أمر يوقعه الله في نفس العبد يبعثه على وجود الفعل مع سلامة الاعضاء فيتعين بهما ايجاد الفعل وايقاعه والمعتزلي يضطر الي الاعتراف بذلك اذ لا محيد له عنه حتي قال أبو الحسين البصري من المعتزلة لولا مسألة الداعي والقدرة تم دست الاعتزال فاذا تقرر ان سلامة الاعضاء من الله تعالي وان الداعي من الله تعالى كان الفعل مخلوقا لله تعالي * الرابع قوله تعالي والله خلقكم وما تعملون وقوله تعالى الله خالق كل شيء وقوله تعالي انا كل شيء خلقناه بقدر وقوله تعالي أفمن يخلق كمن لا يخلق في مقام التمدح بالخالقية وكونها مناطا لاستحقاق العبادة وغير ذلك من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي لا تحصر فانها تدل على ما قاله أهل السنة وأجمع عليه السلف الصالح قبل ظهور البدع من أن الله تعالى هو الخالق بالاختيار لكل ممكن يبرز الي الوجود ذاتا كان أو قولا لها أو فعلا لا يشاركه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تعالي في ملكه جميع الممكنات شيء أيّ شيء كان وان التأثير والايجاد خاصية من خواصه تعالي يستحيل ثبوتهما لغيره قالت القدرية لو كان الله تعالي خالقاً لافعال العباد لكان هو القائم والقاعد والآكل والشارب الي غير ذلك وهذا جهل عظيم منهم لان الفعل يسند لمن قام به اسنادا حقيقياً لا لمن أوجده فالمتصف بالشيء من قام به ذلك الشيء لا من أوجده يقال ابيضّ الثوب أو هو أبيض ولا يقال لمن أوقع له البياض انه أبيض وحينئذ فلا يلزم من كون الفعل مخلوقا لله تعالي ان يسند اليه فيقال قام الله أو قعد الله أو نحو ذلك كما ألزمتنا المعتزلة بذلك قالوا لو كان الله تعالي خالقا لافعال العباد لبطل قاعدة التكليف والمدح والذم والثواب والعقاب فيلزم أن لا يمدح ولا يذم ولا يثاب ولا يعاقب على شيء من أعماله والجواب ان ذلك انما يتوجه على الجبرية القائلين بانه لا فعل للعبد أصلا وان حركاته بمنزلة حركة الجمادات لا قدرة للعبد عليها ولا قصد ولا اختيار وأما نحن فنثبت القدرة والاختيار له والكسب لافعاله على ما حققناه على انه قد تقرر المدح بالجمال وحسن الخلق ونحو ذلك مما لا كسب للممدوح فيه أصلا كما تقرر الذم باضداده وتقرر مدح الجمادات وذمها كالثياب والابنية ونحوها باعتبار ما اتصفت به من الاوصاف مع انها لم تفعلها وأيضا الثواب والعقاب فعل الله وتصرّف له فيما هو خالص حقه والافعال الواقعة على يد العبد أمارات وضعها الشارع على الثواب والعقاب ولو شاء وضع غيرها من الألوان والطعوم ونحوها أمارات عليهما . قالوا اذا كان الله هو الخالق لافعال العباد فكيف يحسن ان يعاقبهم عليها وكيف لا يكون عقابهم حينئذ ظلما . والجواب انه سبحانه لما أجرى عادته بامداد العبد بالارادة والقدرة والمقدور على وجه التوالي ومهما صمم العبد عزمه على فعل أمدّه سبحانه بخلقه وخلق القدرة عليه طاعة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كان ذلك الفعل أو معصية كما قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء الى أن قال ومن أراد الآخرة الآية ثم قال سبحانه اثرهما كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فرتّب الامداد على الارادة منهم اذا شاء فصار العبد بحسب الظاهر كانه موجد لفعله حتي ان الوهم والخيال لا يشكان في ذلك وقد ضلّ بهما كثير من الخلق ولولا ان الله سبحانه أيّد عقول أهل السنة فخرقوا حجب التوهمات المظلمة وبرزوا الى شموس المعرفة فأدركوا بها الامر كيف هو لكانوا كغيرهم وان كان العبد بحسب الظاهر كأنه موجد له فتعليق الثواب والعقاب على فعله حسنان شرعا وعرفا وعقلا ولهذا حسن أن يمدح ويذم على تلك الافعال وكان كسبه للقبيح مع ورود النهى عنه موجبا لاستحقاق الذم والعقاب فلا يكون عقابه ظلما على ان الظلم منفى عنه تعالى بطريق السلب المحض كما تسلب الغفلة عن الجدار والعبث عن الريح فان الظلم انما يتصور ممن يمكن ان يصادف فعله ملك غيره ولا يتصور ذلك فى حق الله تعالى أو يمكن ان يكون عليه أمر فيخالف فعله أمر غيره فلا يتصور من الانسان ان يكون ظالما في ملك نفسه بكل ما يفعله الا اذا خالف أمر الشرع فيكون ظالما بهذا المعني فمن لا يتصور منه أن يتصرف فى ملك غيره ولا يتصور منه أن يكون تحت أمر غيره كان الظلم مسلوبا عنه فان فسر الظلم بمعني سوى ذلك فهو غير مفهوم فلا يتكلم عليه بنفى ولا اثبات * وحكى ان عبد الجبار الهمداني المعتزلي قاضى قزوين دخل على الصاحب بن عباد وزير المعز وعنده الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني من أئمة اهل السنة فلما رأي الاستاذ قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ على النور سبحان من لا يقع من ملكه الا ما يشاء فقال عبد الجبار أيشاء ربنا ان يعصى فقال الاستاذ أيعصى ربنا

قهرا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قهراً فقال عبد الجبار أرأيت ان منعني الهدى وقضا عليّ بالردى أحسن اليّ أم أساء فقال الاستاذ ان منعك ما هو لك فقد أساء وان منعك ما هو له فهو مالك يتصرف في ملكه كيف يشاء (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فانقطع عبد الجبار عن المناظرة وانصرف الحاضرون وهم يقولون ليس بعد هذا جواب والله كأنه ألقم حجراً وقال بعضهم انه قد ثبت أن الخالق حكيم لا يخلق شيأ الا وله عاقبة حميدة وان لم نطلع عليها فنجزم بان ما نستقبحه من الافعال له فيها حكم ومصالح كما في خلق الاجسام الخبيثة الضارة المؤلمة وسيأتي توضيح ذلك بأجلى بيان فى المبحث الاول من المقصد الرابع

﴿ المطلب الثانى فى شرح مذهب الفلاسفة في كيفية ﴾
﴿ تكوّن العالم بالعلة أو الطبيعة ﴾

زعمت الفلاسفة ان العالم موجود بالعلة أو الطبيعة ولو كان كذلك للزم قدم العالم أو استمرار عدمه وكلا اللازمين باطل فبطل الملزوم * أما بطلان اللازم فمعلوم بمشاهدة وجود العالم وبما قدمناه فى مبحث الوجود من الالهيات من البراهين على حدوث العالم * وأما بيان لزوم أحد الامرين اذا قدر صانع العالم طبيعة أو علة فهو ان الطبيعة والعلة لا يخلوان اما ان تكونا قديمتين أو حادثتين فان كانتا قديمتين لزم قدم العالم لان فعل العلة والطبيعة انما هو باللزوم لا بالاختيار وقدم الملزوم يقضي بقدم لازمه وان كانتا حادثتين افتقرتا الي علة أو طبيعة ودار أو تسلسل والدور والتسلسل محالان كما تقدم في مبحث القدم من الالهيات فكون العلة والطبيعة حادثتين محال فوجود العالم الموقوف عليهما محال والمحال مستمر العدم فقد لزم استمرار العدم للعالم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والعيان يكذب ذلك * والحاصل انه يلزم قدم العالم ان فرضت العلة أو الطبيعة قديمتين أو استمرار عدمه ان فرضتا حادثتين وكلا اللازمين باطل فالملزوم وهو كون صانع العالم علة أو طبيعة باطل فتعين ان يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب وربك يخلق مايشاء ويختار ويلزم أيضا على تقدير العلة أو الطبيعة قديمتين وجود مالا نهاية له فيلزم وجود جميعها دفعة وهذا المحال فى الحقيقة لايختص لزومه بفرض قدم العلة أو الطبيعة بل يلزم أيضا في فرض حدوثهما فان قالوا نختار أن الصانع للحوادث طبيعة وانها قديمة قولكم فيلزم قدم تلك الحوادث غير مسلم لان عدم المفارقة انما يلزم في العلة مع معلولها لان تلازمهما لا يتوقف على شيء أما ملازمة الطبيعة مطبوعها فتتوقف على عدم الموانع ووجود الشرائط كلها كما نقول مثلا تأثير النار بطبعها في احتراق الشيء يتوقف على وجود شرط وهو مسها مثلا لذلك المحترق وانتفاء مانع وهو بلل ذلك الممسوس مثلا أما اذا وجد مانعها أو انتفى شرطها فتوجد هى مع عدم مطبوعها الذي هو الاحتراق فاذا تقرر ذلك فنقول صانع هذه الحوادث طبيعة قديمة لكن تأخر مطبوعها ولم يكن قديما لمانع من وجوده ازلا أو فوات شرط فلما انتفى المانع ووجد الشرط فيما لا يزال وجدت تلك الحوادث فلا يلزم على هذا قدم الحوادث ولا استمرار عدمها كما زعمتم قلنا لا يصح أن يكون ثم مانع والا لوجب ان يكون فى الازل مانع منع من مقارنة الفعل لوجود الطبيعة لزم ان لا يوجد الفعل أصلا لا في الازل ولا فيما لا يزال لان ذلك المانع الذى منع من مقارنة الفعل المطبوع لوجود طبيعته لا يكون مانعا الا اذا كان موجودا مع الطبيعة في الازل والا لزم قدم حوادث العالم لعروّ الطبيعة المؤثرة فيها عن المانع ازلا فيلزم ان يكون المانع من وجود العالم قديما واذا كان قديماً لزم أن لا يوجد شيء من العالم حتي ينعدم مانعه القديم لكن عدم القديم محال كما سبق

في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في مبحث البقاء من الالهيات فوجود العالم المتوقف عليه محال والعيان يكذب ذلك وحينئذ بطل القول بان عدم مقارنة الفعل المطبوع لوجود طبيعته لاجل وجود مانع ولايصح قولكم ان الفعل المطبوع وهو العالم تأخر عن وجود طبيعته لتخلف شرط في الازل فلما حصل الشرط فيما لايزال حصل الفعل لما يلزم عليه من التسلسل أوعدم القديم وبيان ذلك انه لو توقف تأثير الطبيعة القديمة على شرط ولم يقارن الفعل المطبوع لطبيعته لعدم ذلك الشرط في الازل فلما وجد الشرط فيما لايزال وجد الفعل فنقول انعدام ذلك الشرط في الازل اما لمانع أولفقد شرط آخر لايصح ان يكون لمانع لانه حينئذ قديم فلاتوجد العوالم الااذا وجد الشرط ولا يوجد الشرط الااذا زال ذلك المانع فيلزم عدم القديم وان كان انعدام ذلك الشرط لتخلف شرط آخر فتخلف ذلك الشرط الآخر لايصح ان يكون لمانع لما سبق فيكون لتخلف شرط رابع وهكذا كل شرط انعدم فانعدامه لانعدام شرطه وهلمّ جرا فحيث وجدت العوالم فوجودها بوجود تأثير الطبيعة ولا يوجد تأثير الطبيعة الا بوجود الشروط جميعها التي كان تخلف كل واحد منها لتخلف الآخر فيقع بوجود العالم التسلسل لوجود شروط لانهاية لها والتسلسل محال كما تقدم فما أدى اليه وهو أن عدم مقارنة الفعل المطبوع لوجود طبيعته القديمة لفقد شرط باطل وبما تقرر ظهر بطلان تأثير العلة أو الطبيعة في ايجاد العالم واعلم أن الفلاسفة بعد أن زعموا ذلك تحيرت أفكارهم واضطربت آراؤهم في كيفية تكوّن العالم أما المتقدمون منهم فذهبت طائفة منهم الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها وأثبتت أن سلسلة الموجودات مادية أو مجردة تنتهي الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرأ الذات عن التأليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيه وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الاول لجميع
الكائنات مجردة كانت أو مادية واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين ومنهم
فيثاغورس وسوقراط وأفلاطون وارسطو ومن أهل مذهبهم كثير
ومذهب هؤلاء في كيفية وجود الكائنات هو أنهم قالوا إن الواحد لا يصدر
عنه الا الواحد والواجب تعالي واحد حقيقي لا تكثر فيه بوجه من
الوجوه فلا يصدر عنه ابتداء الا واحد فقالوا الصادر عنه تعالي أولا العقل
الاول فللعقل الاول ثلاثة أوجه وجوده من المبدإ الاول ووجوبه بالنظر
اليه أي الى المبدإ الاول وامكانه في ذاته فبالاعتبار الاول يصدر عنه عقل
ثان وبالاعتبار الثاني يصدر عنه النفس المجردة للفلك الاول وبالاعتبار الثالث
يصدر عنه الفلك الاول ويصدر عن العقل الثاني على هذا الوجه عقل ثالث
وفلك ثان ونفس مجردة للفلك الثاني وهكذا الي فلك القمر فتكاملت العقول
عشرة والافلاك تسعة والعقل العاشر المدبر لفلك القمر يسمي بالعقل الفعال لكثرة
فعله وتأثيره في عالم العناصر فانه الذي يفيض الكون والفساد على ما تحت
ذلك الفلك من العناصر الاربعة وهي النار تحت فلك القمر والهواء تحت
كرة النار والماء تحت كرة الهواء والتراب تحت كرة الماء فالوا ويتركب من
العناصر الاربعة المذكورة المواليد الثلاثة وهي المعدن والنبات والحيوان
وتركيبها بعد حصول المزاج وهو كيفية متشابهة الاجزاء حصلت من تفاعل
العناصر الاربعة بحيث يكسر كل سورة الآخر بلاغلبة والا لكان المكسور
كاسرا كذا قرروه وهو باطل كما في النزهة البهجة قال لان الانكسار
والكسران وقعا على التعاقب لزم انقلاب المكسور كاسرا وهو محال أو معا
لزم اجتماع الضدين وهو باطل وقال شرف الدين ابن التلمساني في
شرح المعالم الامتزاج الموجب لحصول الانواع المختلفة والاشخاص المتباينة

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اذا حصل في العناصر لا يخلو اما أن يبقى كل عنصر على ما كان عليه أولا فان لم يبق فما الموجب لانتفاء صورته التي كان عليها وتماس الاجسام لا يوجب نفي ما فيها من المعاني لعدم التضاد والتناقي مع تعدد المحال فانه ان اتحد محلها لزم تداخل الأجرام وهو محال اذلو جاز ذلك لجاز وجود جملة العالم في حيز خردلة وان لم تنتف صورتها وجب بقاء الأمر فيها على ما كان قبل الامتزاج فان قالوا الماء الحار اذا لاقى الماء البارد مثلا كسب الحارة من سورة البارد والبارد من سورة الحار فتحصل كيفية ثالثة وهي كونه فاترا قلنا تأثير احدى الكيفيتين في الاخري اما ان يكون في زمن واحد أو على التعاقب فان كان في زمن واحد لزم ان يجامع وجود كل واحد منهما عدمه ضرورة أن المؤثر لابد وان يكون حاصلا حال حصول أثره فيكون كل واحد منهما من حيث كونه مؤثرا موجودا ومن حيث كونه أثرا معدوما وان كان على التعاقب وجب وجود الاول حال عدمه لتحقق اعدامه الثاني وهو محال باتفاق قال العلامة السنوسي ولو فرض وجود الاول بعد عدمه وأعدم الثاني لزم أيضا أن يوجد الثاني بعد عدمه ليعدم الاول ويسلسل فلاتحصل الكيفية الثالثة أبدا اه ومن هنا يعلم ان مايذكره المتأخرون من الفلاسفة من تفاعل العناصر الكيماوى باطل بل الصورة التي تحدث عند امتزاج عنصر بآخر انما تحصل بخلق الله تعالى قال العلامة السنوسي واذا عرفت هذا عرفت ان تركيب امتزاج العناصر التي يذكرها الاطباء والطبائعيون وانحلالها واعتدالها لا تأثير له في وجود شيء ولا في فساده ولا أن باعتدال الطبائع يكون صحة الاجسام ولا ان بغلبة بعضها تكون الامراض كما يزعمون بل لو كان الجسم بسيطا لم يتركب الامن نوع واحد لقبل من الكون والفساد عند أهل الحق والسنة ما يقبله عند تركيبه من الانواع (ونحو ماذكره المتقدمون مايذكره

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المتأخرون من أن الامراض تكون بجراثيم حية تدخل الجسم) واختياره جل وعلا خلق شيء عند خلقه شيأ آخر لايدل على أن لاحد مخلوقيه أثراً في مخلوقه الآخر لا بالاختيار ولابغيره بل وجوده وعدمه فيما يتعلق هنا بالتأثير سواء اه قال صاحب النزهة البهجة وأما كيفية تمازج العناصر فأمر يعجز الاذهان تصوره والمقرر فيه عندهم انه قال في كتب السمعيات والطبيعيات ان الكواكب فصلت مواد العناصر حتي جمعتها كيفية قامت عنها المولدات وهوباطل لان الكواكب يستحيل اجتماعها على نسب طبيعية بحيث تفصل مايجب فى الوقت الواحد في سائر البقاع لان الشمس مثلا اذا كانت في الجدى فما الذي يصل نحو الاقليم الرابع منها وبالعكس فى الحبشة وهكذا البواقي ودوام الحركة يمنع مناسبة المسامتة وقال أفلاطون وفيثاغورس ومقراطيس ان الامتزاج كان باعطاء العناصر قوة الاجتماع لما بينها من الانقلاب والتناسب وهذا أشكل من السابق لانه يستلزم اخراج العنصر عن موضعه بلا قاسر وهو محال والالجاز ارتفاع التراب عن الماء واستقرار الهواء تحته اه ثم انه يرد عليهم أن الوجوه الثلاثة للعقل الاول ان كانت أمورا وجودية فلابد لها من مصادر متعددة ولايصح أن تصدر من الواجب تعالى والابطل قولكم الواحد لايصدر عنه الا الواحد وان كانت امورا اعتبارية امتنع ان يصير لها مدخل فى صدور الامور الوجودية عن العقل الاول وأيضا يرد عليهم ان استناد الفلك الثاني مع مافيه من الكواكب المختلفة المقادير المتكثرة كثرة لاتحصي الى جهة واحدة في العقل الثاني كما زعموا مشكل جدا وكذلك استناد الصور والاعراض التي فى عالمنا هذا مع كثرتها الفائتة عن الحصر الى العقل الفعال مشكل أيضا وبالجملة لايخفي على الفطن المنصف ضعف ما اعتمدوا عليه فى هذا المطلب فان مايذكرونه من العقول

والنفوس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والنفوس من الامور الغيبية التى لايمكن اثبات شيء منها الا على مقتضي ما وردت به الادلة السمعية قال تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وقال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول قال العلامة السنوسى ومما يبطل مذهب الفلاسفة القائلين بالتعليل النافين عن الصانع الاختيار والارادة ان يقال لهم ما بال الافلاك وقفت على عدد مخصوص ولم تكن اكثر منه ولا أقل ولم كانت على تلك المقادير المخصوصة ولم تكن اكبر منها ولا اصغر وما بال الاعلى منها يتحرك حركة واحدة من المشرق الى المغرب وباقى الافلاك يتحرك حركتين احداهما الحركة اليومية من المشرق الي المغرب والاخري حركاتها فى البروج من المغرب الي المشرق وما بال الحركات كلها اختصت بما بين المشرق والمغرب ولم تكن فيما بين الجنوب والشمال مثلا ولم اختص كل واحد من السبعة السيارة بفلكه المخصوص مع جواز ان يكون في غيره ولم اختصت سائر الكواكب الثابتة بالفلك الثامن ولم تكن في غيره ولم كان الفلك التاسع أطلس من الكواكب ولم كان بعض الكواكب اكبر من بعض ولم كان بعضها يلي القطب الشمالي وبعضها يلى القطب الجنوبى وبعضها على سمت الرؤس وبعضها مائلا عنه ولا موجب للتخصيص بجميع ماذكر على أصلكم وهل مذهبكم في اسناد ذلك الي غير الفاعل المختار الذي يخص ماشاء بما شاء الا تلاعب لا يرضي بقوله الا مسلوب العقل والايمان ومن لم ينفعه الله بشيء مما تعب في تعلمه وصار يهذو بهذيان المجانين وغير المميز من الصبيان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اه وذهبت الطائفة الاخري من الفلاسفة الي نفى كل موجود سوى المادة والماديات وان وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيأ وراءه وعرفت هذه الطائفة بالماديين ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف فى صور المواد وخواصها والتنوع الواقع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

[redacted] ها نسبه الأقدمون منهم الي طبيعتها وهذا [redacted] العرب بالطبيعيين ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا في تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات فذهب فريق منهم الي أن وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نرى انما هو من الاتفاق واحكام الصدفة وعلى ذلك اتقان بنائها واحكام نظامها لا منشأله الا الصدفة وكانما أدت بهم سخافة الفهم الي تجويز الترجيح بلا مرجح وقد أحالته بداهة العقل ورأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس ومن رأيه أن العالم مجمع أرضيات وسماويات مؤلف من أجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت أشكال الاجسام وهيآتها بقضاء العناية المطلقة

*وذهب فريق آخر الى أن الاجرام السماوية والكرة الأرضية كانت على هيئتها هذه من أزل الآزال ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا أن في كل بزرة نباتا مندمجا فيها وفي كل نبات بزرة كامنة ثم في هذه البزرة الكامنة نبات وفيه بزرة الي غير النهاية وعلى هذا زعموا أنّ في كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيوانا تامّ التركيب وفي كل حيوان كامن في الجرثومة جرثومة أخرى يذهب كذلك الي غير نهاية وغفل أصحاب هذا الزعم عما يلزمهم من وجود مقادير غير متناهية في مقدار متناه وهو من المحالات الاولية

*وزعم فريق ثالث أن سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما أن الأجرام العلوية وهيئتها قديمة بالشخص ولكن لا شيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبزور النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبزرة هي بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشاكله من جرثومة وبزرة أخرى وفاتهم ملاحظة أن كثيراً من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها أو زائدها ومال جماعة منهم الى الابهام في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النبات فقالوا ان انواع النبات والحيوانات تقلبت في أطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتي وصلت الي هيآتها وصورها المشهودة لنا وأول النازعين الي هذا الرأى أبيقور أحد أتباع ديوجينس الكلبي ومن مزاعمه أن الانسان في بعض أطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور الي طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصور الحسنة والخلق القويم ولم يقم دليلا ولم يستند علي برهان فيما زعمه من أن مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقي الانواع ولما كشفت علوم الجيولوجيا (طبقات الارض) عن بطلان القول بقدم أنواع الحيوان والنبات رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ومذهب هؤلاء فى كيفية تكوّن العوالم علويها وسفليها أنهم زعموا أن أصل هذا العالم من سماويات وأرضيات أمران المادة وقوتها (حركتها) قالوا وهما قديمتان متلازمتان من الازل لا يتصور انفكاك احداهما عن الاخري أما المادة فهى الاثير المالئ الخلاء وهو الهيولي في أبسط ما يمكن تصورها وأما القوة فهى حركات أجزائها الفردة قالوا ونقول انه ليس لتلك الحركة سبب الا نفسها ثم ان الاجرام السماوية وهى الكواكب والكائنات الارضية من جمادية وحيوانية ونباتية تكونت من المادة بواسطة حركتها وحدثت بعد أن لم تكن حدوث المعلول عن علته بمقتضي الضرورة وليس للمادة ولا لحركتها ادراك وقصد فى تكوين شيء منها فبتجمع تلك الاجزاء على كيفيات مخصوصة حصل مادة سديمية أى أجسام صغيرة وتجمعت على بعضها بناموس الجاذبية وتكونت كرة ودارت على محورها والتهبت بمقتضى نواميس أخري فكانت تلك الكرة هي الشمس ثم أخذت بقية الكواكب تنفصل عنها بمقتضي دورتها وتتكون كرات وتدور على محورها ومن جملتها أرضنا التي نحن عليها ثم بعد

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

انفصالها ودورانها على محورها مدة من الزمان أخذت تبرد قشرتها وتتكون طبقاتها ثم اختلفوا فى بحثين * الاول بحث تكوّن الجرائيم النباتية والحيوانية فذهبت جماعة الى أن جميع الجرائيم على اختلاف أنواعها تكوّنت عند ما أخذ التهاب الارض فى التناقص ثم انقطع التكوّن بانقضاء ذلك الطور الارضىّ وذهبت أخرى الى أن الجرائيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصا فى خط الاستواء حيث تشتد الحرارة وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجرائيم حياة نباتية أو حيوانية وما الفاعل في بسائط الجرائيم والموجب لالتئامها والحافظ لكونها وكيف أن غير الحى من الاجزاء يصير حيا بالتغذية فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال وغاية ما قالوه أن الحياة ظاهر من ظواهر تفاعل العناصر وامتزاجها الكيماوى وأنه ليس للحيوان روح غير حياته هذه وخالفهم الحيويون منهم فقالوا ان الحياة شيء آخر تحل فى الجسم وظن قوم منهم أن تلك الجرائيم كانت مع الارض عند انفصالها عن كرة الشمس وهو ظن عجيب لا ينطبق على أصلهم من أن الارض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة وكيف لم تحترق تلك الجرائيم ولم تمح صورها فى تلك النيران المستعرة * والبحث الثاني من موضع اختلافهم صعود تلك الجرائيم من حضيض نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج (النقص) الى ما تراه من الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة فمنهم قائل بان لكل نوع جرثومة خاصة به ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها فى الاطوار الحيوية وتجذب اليها ما يلائمها من الاجزاء الغير الحية ليصير جزأ لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه وقد غفلوا عما أثبته التحليل الكيماوى من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلا وظهور تماثل النطف في العناصر البسيطة فما منشأ التخالف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فى طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها ومنهم ذاهب الي أن جراثيم الأنواع كافة خصوصا الحيوانية متماثلة فى الجوهر متساوية في الحقيقة وليس بين الانواع تخالف جوهري ولا انفصال ذاتي ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الي جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الي صورة نوعية أخري بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواسر الخارجية ورأس القائلين بهذا القول دروين وقد ألف كتابا فى بيان أن الانسان كان قرداً ثم عرض له التنقيح والتهذيب فى صورته بالتدريج على تتالى القرون المتطاولة وبتأثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتي ارتقى الي برزخ (أوران أوتان) ثم ارتقي من تلك الصورة الي أول مراتب الانسان فكان صنف اليم وسائر الزنوج ومن هناك عرج بعض افراده الي أفق أعلى وأرفع من أفق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي وعلى زعم دروين هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكرّ الدهور وأن ينقلب الفيل برغوثا كذلك ويسمي هذا المذهب مذهب النشوء والارتقاء وكيفية تكوّن المعادن والاجسام الحيوية على هذا المذهب هو أنهم زعموا أنه بتجمع أجزاء المادة بواسطة حركتها تكوّنت العناصر التي تزيد على الستين وبتجمع بعضها وامتزاجه على نسب مخصوصة تكوّنت المعادن والاجسام الحيوية وأول مكوّن لهذه هو مادة زلالية مكونة من عدة عناصر بين الجامد والسائل لها قوة الاغتذاء والانقسام والتوالد سموها (برتوبلاسم) أى المكون الاول وبانقسامها تكونت الخلايا التى تتركب منها الاجسام العضوية وحدث بتجمعها أبسط الحيوانات وأوسط النباتات ثم أخذت تتوالد وتتكاثر تلك الحيوانات والنباتات البسيطة بمالازمها من أربعة نواميس الاول تباين الافراد فكل فرد لا يشابه أصله تماماً ومن التباينات الذكورة والانوثة الثاني انتقال التباينات من الاصول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الي فروعها مع الاخذ بتباينات أخرى فحدث عن ذلك بين الافراد القوي والضعيف والمتحمل للكوارث الخارجية وغير المتحمل والذي تناسبه الظروف والذي لا تناسبه الثالث تنازع البقاء بين الافراد فيهلك الضعيف وغير المتحمل والذى لا تناسبه الظروف ويبقى ماهو بخلاف ذلك والرابع لانتخاب الطبيعى وهو اختيار الطبيعة وحفظها للاحسن والاكمل فبكرور الملايين من السنين وصلت الحيوانات والنباتات الي ما وصلت اليه بحركة أجزاء المادة الاضطرارية والجرى على هذه النواميس فهذا خلاصة مذهب الفلاسفة فى كيفية وجود الكائنات علويّها وسفليها وقد ظهر لك من كثرة اختلافاتهم وتشعيباتهم في مذاهبهم أن العقول عاجزة عن ادراك نظام الموجودات علي ماهى عليه فى نفس الامر والغرض من نقل ما ذكر ابداء ماذكروه من التمويهات ليتحقق ويتبين للعاقل أنه لا ثبت أي لا حجة لهم فيما يقولونه ويعتقدونه ولا معوّل على ما ينقلونه عن أوائلهم وانما هى خيالات فاسدة وتمويهات باردة يظهر ضعفها بأوائل النظر ثم البعض بالبعض يعتبر

﴿ المطلب الثالث فيما قالوه في المادة وما بنوه ﴾
﴿ على ذلك من النشوء والارتقاء ﴾

قد تلخص مما تقدم أن مذهب المتأخرين من الماديين يشتمل على ثلاث ادعاآت * الاول أن المادة وحركة أجزائها الفردة قديمتان متلازمتان من الازل لا تنفكان عن بعضهما * الثانى أن تنوّعات المادة من سماويّات وأرضيات حادثة لا سيما الانواع الحيوية منها فان اكتشافاتهم لطبقات الارض ألزمتهم بالحكم بأن أنواع الحيوانات والنباتات قد حدثت فى الارض

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بعد أن لم تكن وقدروا حدوثها بالملايين من السنين وحكموا بمقتضي ذلك أن الانسان من أحدثها حيث آثاره لم توجد الا فى الطبقات العليا من الارض ولم يوجد له آثار في الطبقات السفلي وذلك يدل على تأخره فى الحدوث وقد اختلفوا في تقدير مدة حدوثه كما هو موجود فى كتبهم * الثالث أن جميع التنوعات للمادة قد حدثت عنها بواسطة حركة أجزائها الملازمة لها من الازل على وجه الضرورة بمقتضى النواميس التى اكتنفتها ولم يكن للمادة ولا لحركتها اختيار فى ذلك ولا ارادة والمعني في ذلك كما هو صرح به فى كلامهم أن التنوعات حدثت عن المادة وحركتها حدوث المعلول عن علته فالتنوعات معلول وهما علة لها والعلة في الحقيقة عندهم هى الحركة ولكن لما كانت لا تنفك عن المادة ولا تنفك المادة عنها حتي قالوا لا تتصور احداهما بدون الاخرى اعتبرتا كشيء واحد هو العلة وانما جاز هذا للتلازم الحاصل بينهما اذا علمت ذلك فاعلم أن صريح العقل يحكم بان الشيء لا يتخلف عن علته المستلزمة له ألبتة فان كانت علته حادثة كان هو حادثا عقبها بدون تأخر وان كانت قديمة كان هو قديما تابعاً لها فى القدم لا يتأخر عنها أيضا والالزم وجود العلة بدون المعلول وهو محال اذا ثبت هذا فنقول ان قولكم بقدم المادة وحركتها اللتين هما علة التنوعات الكونية من جماد ونبات وحيوان يلزم منه قدم هذه التنوعات المعلولة لهما وانتم لا تقولون بقدمها حسبما ثبت في علومكم الطبيعية واكتشافاتكم لطبقات الارض فكيف صح الحكم بان تلك المعلولات حادثة مع أن علتها موجودة من الازل فما دامت علتها توجب حصولها بالاضطرار فما الذي أخر حدوثها الي مدة كذا مليونا من السنين ولاي شيء لم توجد قبل ذلك وان قلتم حتى توفرت الشروط لحدوث المعلولات وانتفت الموانع قلنا ان ذلك باطل لما تقدم فى المطلب الاول فيلزمكم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لزوما لا دافع له أن تقولوا بحدوث المادة وحركة أجزائها التى تزعمونها وتبنون عليها تنوع الانواع الكونية على وجه الضرورة بدون قصد منها ولا رويّة ولا ادراك ولا تدبير حتى بلغت مابلغته من النظام العجيب الغريب الذي يحكم صريح العقل بانه محتاج الى أتم القدرة واكمل العلم وأسمى الحكمة والتدبير ونذكر ههنا برهانا آخر يدل على حدوث المادة وهو أنه لايخفي أن المادة لاتخلو عن صورة تقوم بها ولايمكن أن يتصور وجود المادة خالية عن كل صورة كما أنه لايمكن ان يتصور وجودها خالية عن التحيز وأخذ قدر من الفراغ فلابد أنها تكون ذات صوراما أثيرية أوسديمية أوعنصرية أومعدنية أونباتية أوحيوانية ولذلك فلتم انها في وجودها الاول الذي قبل تنوع الانواع منها كانت في أبسط مايمكن تصوره وان الصور التي تلبسها المادة انما هي ناشئة عن الحركة التي تتحركها وان الحركة والمادة غير منفصلتين فهذا صريح بانكم لم تعتبروها في ذلك الحين خالية عن جميع الصور لان عقولكم لاتقبل ذلك ثم ان كل صورة تقوم في المادة لاشك انها حادثة لانها تزول ويطرأ عليها العدم ولو كانت أبسط صورة كالصورة التى فهم من كلامكم انها كانت للمادة قبل تنوع أنواعها لانه شوهد عدمها وخلفها الصور النوعية بعدها وكل مايطرأ عليه العدم ويقبله يستحيل عليه القدم كما تقدم فى مبحث البقاء من الالهيات واذا كانت الصور الملازمة للمادة حادثة فلا يمكن أن تكون المادة قديمة لما يترتب عليه من وجود حوادث لاأول لها فانه باطل كما تقدم فى مبحث الوجود من الالهيات واذا لم تكن المادة قديمة كانت حادثة واداً فلا بد لها من محدث والالزم الترجيح بلا مرجّح وهو محال كما تقدم فى مبحث الوجود أيضا واذا ثبت هذا فنقول ان ذلك المحدث لابد أن يكون واجب الوجود لذاته وقد فرغنا من اثبات ذلك في مقصد الالهيات فالذي

نقوله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نقوله الآن ان ذلك المحدث الذي هو مصدر المادة اما أن يكون حدوثها عنه بطريق العلة والضرورة بدون ارادة واختيار واما أن يكون حدوثها عنه بطريق الارادة والاختيار أى انه هو الذى أراد وجودها واختاره وعين لها الوقت الذى وجدت فيه لا جائز أن يكون حدوثها عنه بطريق العلة لانه لو كان ذلك وهو قديم للزم ان تكون المادة قديمة ويتبعها قدم التنوعات اذ حيث لا اختيار ولا ارادة هناك فلم تكن التنوعات الا بطريق العلة ولا يجوز أن تكون حادثة متأخرة عن علتها وقد ثبت حدوث كل من المادة وتنوعاتها فلم يكن حدوث المادة عن ذلك المحدث بطريق العلة فلم يبق الا أنها حدثت بارادته واختياره واذا ثبت ذلك نقول ان ذلك الموجد لتلك المادة التي تنوعت الى تلك الانواع العجيبة الغريبة من سماويات وأرضيات جمادية ونباتية وحيوانية لا شك أنه قادر اكمل القدرة وعالم أتم العلم سواء كان هو الذى نوع تنوعات المادة الى أنواعها وأوجد تلك الكائنات الغريبة مع ذلك الاحكام كما سيأتي توضيحه أو أنه أوجد المادة الصالحة لتلك التنوعات والتطور من طور الي طور والاستحالة من صورة الي صورة بموجب النواميس القائمة بها وحركة أجزائها الفردة كما تقولون فعلى كل من الامرين تحصل الدلالة القاطعة على كمال قدرته وعلمه لان الذى يوجد شيأ بسيطا ثم يقلبه الى أنواع لا تعد ولا تحصى ويستخرج منه الغرائب والعجائب مع غاية الاتقان والاحكام أو الذي يوجد شيأ بسيطا قابلا بمقتضى نواميس قائمة فيه أن يؤل الى انقلابه الي أنواع تفوق الحد غرابة متقنة محكمة لا يشك عاقل بوجوب قدرته وعلمه واستحالة عجزه وجهله كذا قال صاحب الرسالة الحميدية وقد ضرب لذلك مثلا فقال اذا رأينا ساعة من الساعات التي يستعلم بها الوقت وكل منا يعرف ما تحتوى عليه من التركيب العجيب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبني على قواعد هندسية وقياسات نظامية ونواميس ميكانيكية في غاية الضبط ونهاية الاحكام فكما نعلم أن لها صانعا صنعها وأتقنها نعلم قطعا أن ذلك الصانع ما صنعها الا وهو ذو قدرة كافية لصنعها وذو علم كاف لاتقانها واحكامها سواء كان هو الذى صنع أجزاءها وركبها حتي تم عملها أو هو الذي صنع أجزاءها على طريقة تتركب هي بها ويتم عملها ولو قيل لنا ان الذى صنع هذه الساعة رجل أعمى اصم مقطوع اليدين والرجلين جاهل أبتر لا يدري شيأ من علم الهندسة ولا شيأ من فن الميكانيكيات لكذبنا ذلك القائل اشد التكذيب ولم تذعن له عقولنا بأقل التصديق وقلنا ان من يصدق هذا القول هو أحمق الحمقاء هذا ثم نقول انكم لما اعتقدتم قدم المادة الغامضة الحقيقة على عقول فلاسفة البشر كما يظهر من الاطلاع على الاختباط الواقع في كتبهم في تحديدها وكشف حقيقتها ثم رأيتم تنوعاتها التي حدثت فيها بعد ان لم تكن ولم تهتدوا الي العلم بكيفية حدوث تلك التنوعات احتجتم الى البحث عن موجب نشأت عنه تلك التنوعات لان عقولكم لم تقتنع بان مجرد وجود المادة يكون سببا صالحا لحدوثها فبعد هيامكم في كل واد قلتم ان اجزاء المادة الفردة متحركة حركة ازلية وبسبب تلك الحركة اخذت تجتمع تلك الاجزاء على كيفيات وأوضاع شتي فنتجت تلك التنوعات فأقنعتم عقولكم بأن تلك الحركة هي سبب تلك التنوعات مع انكم لم تروا تلك الاجزاء لا بالعين المجردة ولا باكبر المعظمات للمرئيات ولن تروها ولم يحصل لكم أدنى احساس بحركتها ولن تحسوا وانما الذي ألجاكم الى القول بها وبحركتها هو مجرد احتياجكم الي فهم كيف حصلت الانواع فأنتم ههنا قد تركتم قاعدتكم التى طالما نسمعكم تطنطنون بها وهى أنكم لا تسلمون الا بالذى يؤديكم اليه الاحساس والمشاهدة والتجأتم الي الوهم واتباع مجرد الظن فقولكم انا لا نعتمد الا على

الاحساس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاحساس والمشاهدة قول لم يتم لكم الجري عليه ولن يتم وفى هذا المقام مثال لا يخلو عن توضيحه وهو أنا اذا علمنا أن رجلا صنع أجزاء آلة بخارية ثم وجدناها بعد ذلك مركبة وآخذة في الدوران وفي عملها الخاص بها فأى الامرين يقبله العقل أقولنا ان الذي صنع أجزاء تلك الآلة هو الذى ركبها وأدارها أم قولنا ان تلك الاجزاء بواسطة حركة قائمة بها أخذت تتركب مع بعضها على طول الزمان حتي تم تركبها لاشك ان العقل لا يقبل الاول ويرفض الثاني من دون شك ولا ريب * وههنا انما يقبل العقل ان الذي أوجد المادة قابلة لتنوعاتها هو الذي نوّعها منها لا انها هى التي نوّعت تلك التنوعات لمحتاجة لأتم القدرة واسمي العلم والحكمة بمجرد حركة أجزائها التي لا توصف بارادة ولا قدرة ولا علم وبمجرد الاتفاق فى تجمع الاجزاء على الكيفيات المخصوصة تم جريها على نواميس لا يدري العقل كيف لازمتها فأمعنوا النظر وحرروا الفكر ولا تغتروا بالشبه الواهية والاغاليط التي ترميكم بالداهية كذا قال صاحب الرسالة الحميدية وسيأتى في مباحث النظر اقامة البرهان على بطلان تأثير العلة أو الطبيعة في ايجاد أى نوع من الانواع وبعد ان ذكر صاحب الرسالة الحميدية مثالا بديعا لحال الماديين مع المسلمين ذكر أن ادلتهم التي يذكرونها في كتبهم على النشوء وتوجيهاته كل ذلك لم يتجاوز الظن والتخمين ولا يضطرنا الي تأويل نصوص شريعتنا الظاهرة المعنى بان وجود العوالم بطريق الخلق ثم قال ان معظم مااستندتم عليه في الاستدلال على نشوء الانواع من أصل واحد انكم شاهدتم الاعضاء الاثرية في بعض الحيوانات لا فى كلها ولا فى غالبها وهي آثار أعضاء توجد في الحيوان كآثار أرجل مثلا غير كاملة بل الذى يظهر منها مبدأ تكونها فقلتم انه لو كان كل نوع مخلوقا مستقلا كما هو مذهب الخلق لما كان لهذه الآثار فائدة لان

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مذهب الخلق يقتضى أن يكون في كل نوع أعضاؤه اللازمة له ذات الفائدة لأقل والاكثر وهذه الاعضاء الاثرية لا فائدة لها الآن فيظهر انها آثار أعضاء فى نوع قديم وقد كانت لازمة له ثم لما طرأ على هذا النوع تغيرات تقتضى استغناءه عنها أخذت تتلاشى حتى لم يبق الآن الا أثرها وان هذا النوع كان خاليا عن تلك الاعضاء فطرأت عليها تغيرات تأهله لان ينقلب الى نوع آخر يحتاج الى تلك الاعضاء التى ظهرت آثارها فابتدأت تظهر فيه الآثار والخلاصة ان تلك الآثار اما آثار أعضاء كانت قديمة وأخذت تتلاشى واما مبادئ اعضاء سوف تكمل وعلى كل فقد ثبت صحة التغير للانواع وانتقال نوع الي نوع آخر وذلك يدلنا على صحة النشوء والارتقاء والا فاهذه الآثار ومما استندتم عليه بالاستدلال على النشوء والارتقاء انكم وجدتم فى اكتشافاتكم الجيولوجية ان الاسبق فى طبقات الارض هو أدني النبات وأدني الحيوان ثم بعده الارقى فالارقى حتى كان أرقى الجميع هو المتأخر في زمن وجوده ومكانه من طبقات الارض العليا والادني قد تلاشي بعد ما وجد الذي هو أرقى منه فلو كان مذهب الخلق هو الصحيح لكان يوجد من كل نوع من الارقى والادنى فى الازمنة الجيولوجية المتقدمة والمتوسطة والمتأخرة وكان يشاهد ذلك فى الطبقات السفلى والوسطى والعليا من الارض ولكن ذلك لم يكن فلولا ان الانواع مترقية عن بعضها البعض فأصل الموجودات هى الدنيا ثم اخذت تترقي حتي بلغت ماهى عليه الآن وكان الارقى يلاشي الادنى بتنازع البقاء لما كان الحال كما اكتشفنا ثم احتم ذلك الارتقاء وتحول الاعضاء لبعضها وملاشاة الادنى بالارقى على اربعة نواميس الاول ناموس الوراثة اى ان الفرع يرث صفات الاصل الثاني ناموس التباينات اى أن كل فرع مع ارثه لصفات كانت فى اصله لابد ان يباينه في صفات اخري الثالث ناموس تنازع

البقاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

البقاء أي أن الانواع تتنازع بعضها في التسابق الي أسباب المعيشة ويطرأ عليها كوارث خارجية كالحر والقر ويهلك الضعيف بتغلب القوي أو بالكوارث ويبقى القوى المتحمل لها (الرابع) ناموس الانتخاب الطبيعى أي أن القوى والأنسب هو الباقي والضعيف وغير الأنسب هو المتلاشى فنتج عن ذلك انتخاب الطبيعة للانواع الحاضرة وتقررون النشوء والارتقاء على وجود هذه النواميس هكذا تقولون ان أول موجود من الاجرام الحيوية هو المكون الاول (البرتو بلاسم) تكوّن من اجتماع بعض العناصر بسبب حركة أجزاء المادة ثم أخذ ذلك المكوّن في التوالد فصارت فروعه ترث صفات منه وتباينه في صفات أخرى وهكذا جرت الفروع مع الاصول ويحدث الترقى بسبب ذلك الى أن بلغت رتبة أدنى الحيوان والنبات ودام الحال على ذلك فنشأ من ارث الفروع لصفات الاصول ومباينتها لها في صفات أخرى على كرور السنين وكثرة التباينات الموروثة أن صار الحال الي تنوع الانواع واشتقاق بعضها من بعض ونشأ من تنازع البقاء هلاك الضعيف وبقاء القوى ونتيجة ذلك على طول الزمان حصول الانتخاب الطبيعى ومن ذلك كله وصلت الانواع الي ما هي عليه الآن وأصلها واحد ولما رأيتم الانسان يشبه القرد ويقاربه في صورته وبعض أعماله قلتم لا مانع أن يكونا اشتقا من أصل واحد وبتلك النواميس ترقي الانسان عنه حتى وصل الي ما وصل اليه هذا وقد حاول أخصامكم في مذهبكم هذا ابطال مستنداتكم بالتطويل المملّ وأنتم تروغون منهم وتحشدون الادلة لاثبات مذهبكم وطالت في ذلك بينكم المناظرة وألفت فيها كتب ورسائل ولسنا نسلك مسلك أولئك الاخصام فى التطويل بدون طائل ولكن نريد أن نبين لكم أن ما تعتمدون عليه فى الاستدلال على الارتقاء والنشوء أمور

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ظنيـ لا يعتمد عليها في الاعتقاد ولا تعارض ظواهر نصوص الشريعة المحمدية فتضطرنا الي تأويلها اذ لا يضطرنا الى ذلك الا معارضة اليقين كما قدمنا فنقول ان الدليل متى طرأ عليه الاحتمال ولوكان احتمالا بعيدا سقط به الاستدلال أعني الاستدلال على اليقين وهذا حكم لا ينكر عند كل العقلاء اذا تقرر ذلك فاعلموا أن استدلالكم بالاعضاء الاثرية على النشوء بأنها تدل على تغير الانواع فتوافق مذهب النشوء ولا توافق مذهب الخلق هو استدلال لانتيجة له الا الظن وليس من اليقين فى شيء لتطرؤ الاحتمال فيه اذ لقائل أن يقول ما المانع ان تلك الاعضاء الاثرية لها فائدة وفيها حكمة قد خفيت عليكم كما خفي عليكم فوائد أشياء كثيرة توجد فى أجسام النباتات والحيوانات كما يظهر من مراجعة كتب الفائولوجية مثلا هذه المادة الملونة في جسد الحيوان مجهوله الفائدة فى اكثر أجزاء الجسد الا في المقلة فالحكمة فيها في المقلة امتصاص أشعة النور الزائدة وأمثال ذلك كثير فأنتم لم تحيطوا علما بفائدة كل كائن حتي تجزموا بأن تلك الاعضاء الاثرية لا فائدة لها ألبتة سلمنا انها لافائدة لها وانها تدل على تغير النوع الذى هي فيه لكن نقول انها لم توجد الا فى بعض الانواع ولم توجد في كلها بل ولا في غالبها وعلى ذلك فما المانع من أن التغير قد يوجد في بعض الانواع وهى التى وجدت فيها تلك الاعضاء فيتحوّل نوع الى نوع آخر بأسباب وضعها الله لذلك وأما باقى الانواع التي لم توجد فيها تلك الاعضاء فقد خلقت مستقلة ولم يطرأ عليها ذلك التغير فلم يثبت مذهب النشوء الذي قلتم بعمومه فى كل الانواع مثلا يمكن ان يكون قد حصل تغير في نوع من الحيات التي وجدتم فيها الاعضاء الاثرية فكانت أولا مثل الجراذين ذات أرجل ثم أخذت تتلاشى أرجلها حتى صارت كما هى عليه الآن ولم يبق الا آثار تلك الارجل (وهنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مجال لما ورد في بعض الآثار الاحادية عن ابن عباس وابن وهب وغيرهما من المفسرين أن الحية كانت من حيوانات الجنة فتوسطت لابليس بدخولها ليوسوس لآدم عليه السلام فأهبطها الله تعالي الى الارض ومسخ صورتها وقد كانت حسنة الصورة ذات قوائم أربع نقله في كنز الاسرار) وهكذا يقال في بقية ماشوهد فيه الاعضاء الاثرية وأما بقية الانواع وهي الاكثر فنقول انها لم يحصل لها أدنى تغير بل هي كما خلقت فعلى هذا التقدير يكون حكمكم على جميع الانواع بالتغير وباستنتاج النشوء منه حكما مبنيا على الظن الذي نتج معكم من الاستقراء الناقص الذي لايفيد اليقين ألاترون أنه لو فرض أن أناسا كانوا يسكنون البرارى البعيدة عن البحار والانهار ولم يشاهدوا الا حيوانات البر التي لا تعيش في الماء وحكموا بما استقروه من تلك الحيوانات بأن الحيوان لا يعيش في الماء يكون استقراؤهم ناقصا وحكمهم خطأ واذا وردوا شطوط البحار والانهار وشاهدوا حيواناتها ظهر لهم خطؤهم في حكمهم وبالجملة فكل ما يذكرونه من الادلة علي النشوء مهما نقبوا في البلاد واكثروا من البحث والاستشهاد ما هي الا استقراء ناقص غير تام مشوب بالظنون والاوهام فكيف يفيد العلم بالبرهان وكيف يعارض نصوص الشريعة والقرآن * هذا ثم نقول لهم ان مشاهدتكم في استكشافاتكم الجيلوجية أن الاسبق في طبقات الارض هو أدنى النبات وأدني الحيوان ثم بعده الارقى فالارقى حتى كان أرقى الجميع هو المتأخر في زمن وجوده ومكانه من طبقات الارض وأنه قد تلاشى الادني فالادنى الي آخر ما تقدم من تقريركم واستدلالكم بذلك علي الترقي والنشوء وان ذلك لا يوافق مذهب الخلق. فنقول دلالة هذا الحال في الاكتشافات بعد تسليمه على الترقي والنشوء مظنونة أيضاً اذ يقال ما المانع من أن أول ما وجد في طبقات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الارض أدنى النبات وأدنى الحيوان ثم أوجد الله تعالى ما هو أرقى منهما مستقلا كل نوع منه ليس ناشئاً عن نوع من أنواع ذلك الادني ثم أباد الادنى لأسباب كونية من نحو أن الدور الزماني لم يبق مناسبا له وانما يناسب ما وجده بعده أو أن الأرقى تغلب عليه أو غير ذلك من الاسباب ثم بعد دور آخر أوجد ما هو أرقى من الثاني مستقلا كل نوع منه أيضا غير ناشيء عما قبله ثم أباد الثاني لاسباب أخرى كما تقدم ثم بعد دور آخر أوجد ما هو أرقي من الثالث مستقلا كل نوع منه أيضا ثم أباد الثالث وهكذا الحال حتى وصل الدور الي أنواع النبات والحيوان الموجودة الآن مستقلة انواعها غير ناشئة عما قبلها وقد أباد ما قبلها بمثل تلك الاسباب فبقيت أحافيرها وآثارها في طبقات الارض واذا كان هذا الاحتمال قائما فأين اليقين في استدلالكم على الترقي والنشوء فيما أظهرته اكتشافاتكم الجيلوجية وبهذا الاحتمال لا تخالف تلك الاكتشافات مذهب الخلق . ونظير وجود نباتات وحيوانات تلك الادوار الجيلوجية مستقلة غير ناشئة عن بعضها بل كان وجود كل رتبة منها لمناسبة دورها الزماني ما نشاهده كل عام في توالد كثير من النباتات والحيوانات عند انقضاء فصل الشتاء وقدوم الربيع والصيف فان أول ما ينبت عند ذلك النبات الدنيء مثل الطحلب والاعشاب ثم يتدرج الامر الي الارقى فالارقي من النبات كلما تزايد الحر وهلم جرا وأول ما يتوالد أو تنفرج عنه بيوضه الحيوان الدنيء مثل البكتوريا والحيوانات المتولدة في العفونة والبراغيث والذباب ثم يتدرج الامر كذلك الي الارقي فالارقى حتي يصل الدور الي بروز النباتات والحيوانات العليا وليس شيء من تلك الانواع ناشئاً عن نوع آخر ومتحولا عنه ونرى الانواع التي تنشأ أولا في تلك المدة كلما تقدم زمن الحر يهلك كثير منها لاسباب كونية من نحو الحر أو سطوة الانواع التي توجد بعدها أرقى منها ونحو ذلك

وعند

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وعند انتهاء مدة الصيف لا يبقى غالبا الا الأنواع العليا والتي هلكت تبقى لها بقايا في الارض كبقايا الاحافير فهذا الحال السنوي يكون حاكيا وممثلا للحالة الجيلوجية التي اطلعتكم عليها اكتشافاتكم من أن أول ماوجد الادني ثم الارقى فالارقي حتي وصل الحال الي الانواع الحاضرة وهلك ماقبلها فقد سقط استدلالكم باكتشافاتكم على النشوء كما هو ظاهر ثم النواميس الاربعة التى أحلتم الارتقاء والنشوء عليها ليست هى أدلة تقوم عليهما بل هى لكم بمنزلة واسطة توجيه كيفية جريان الترقى والنشوء في عالم النبات والحيوان فلا نسلك معكم مسلك أخصامكم الذين أخذوا فى محاولة ابطال تلك النواميس وأخذتم فى محاولة اثباتها ولكن نبين لكم منزلتها من الثبوت ومقدار ما ينتج عنها متي ثبتت فنقول أما ارث الفروع لصفات الاصول فهذا أمر مشاهد لانكره ونقول انه جائز الحصول بخلق الله تعالي سواء كان لأسباب عادية أم لا وكذلك تنازع البقاء لا مانع من حصوله وأنه ينتج عنه ان بعض الانواع تبقى وبعضها تهلك والمرجع فى ذلك الي الله تعالي ونحن لم نزل نشاهد هذا الناموس بين الخلق حتى في أصناف البشر ولكن هذان الناموسان ليسا دليلا على وجوب النشوء فأي مانع من كون الانواع وجدت مستقلة ومع ذلك ترث الفروع صفات الاصول وتتنازع الانواع البقاء فيبقي القوى ويهلك الضعيف مع أن كل نوع منها مستقل ليس ناشئا عن سواه من الانواع وأما ناموس التباينات وهو أن كل فرع مع ارثه صفات أصله لابد أن يباينه فى صفات أخري فهذا الناموس قد نازعكم فيه أخصامكم بان التباينات التى تحدث في الفروع هي عرضية ليست جوهرية حتى توجب تغير النوع وانتقاله الى نوع آخر وأنتم قلتم انها على مرور الملايين من الزمان وتكرر تلك التباينات وتتابعها توجب تغير النوع وتحوله الى نوع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

آخر وخضتم معهم بهذا المبحث وبنيتم المباني الشاهقة تطويل بدون طائل ونقول ان ناموس التباينات أى أن الفرع يباين أصله في صفات ليست فيه مشاهد في النبات والحيوان ونقول ان الله تعالي قد جعله فى المخلوقات لاجل التمايز اذ لو كانت افراد الانواع على صورة واحدة فى كل نوع لحصل من من ذلك اشتباه بينها ونشأ عنه اختلال فى نظام العالم لا تدرى نهايته فكان الرجل لا يعلم ابنه ولا زوجته ولا هما يعلمانه ولا يعلم فرسه وفى ذلك من فساد المعاملات وضياع الحقوق ما لا يخفي وليس هذا الناموس خاصا فى النبات والحيوان ولا في الفروع مع الاصول بل هو عام فى كل الموجودات فلا ترى شيأ يشابه شيأ آخر تمام المشابهة سواء كان فرعه أم لا وما ذاك الا لطف من الله تعالي لاجل التمايز كما قلنا فالتباين فى الموجودات هو ناموس وهبي من الخالق سبحانه وليس بطبيعي كما تقولون والا فان نظر فيه طبيعيا بين الفروع والاصول فقد كان من حق الفرع ان يأتي طبق أصله ويرث جميع صفاته ولا يباينه في شيء الا عند عروض سبب موجب ولكن مهما اتفق من توحد الاسباب للمشابهة لاتم بين شيئين أصلا لا بين الفرع وأصله ولا بين الفرعين المتحدين في جميع أسباب التكوين كمثل التوأمين اللذين يولدان فى كيس واحد ومشيمة واحدة ثم يتحري في تربيتهما توحيد الاسباب الكونية على غاية الدقة فلا بد من التباين بينهما والتماس أسباب وهمية للتباين حينئذ كما يحصل عن بعضكم ما هو الا تعسف بارد * قال الاستاذ السيد جمال الدين الافغانيّ فى ردّه على القائل بان التباين بين الصور طبيعي موجب لانتقال الصور النوعية الي صورة نوعية أخري بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواسر الخارجية * فان سئل عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من أزمان بعيدة لا يحددها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التاريخ الا ظنا وأصولها تضرب فى بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقي بماء واحد فما السبب فى اختلاف كل منها عن الآخر في بنيته وأشكال أوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فأى فاعل خارجى أثر فيها حتي خالف بينها مع وحدة المكان والهواء أظن لا سبيل الي الجواب سوي العجز عنه * وان قيل له هذه أسماك بحيرة أورال وبحر كسبن مع تشاركها في المأكل والمشرب وتسابقها في ميدان واحد نري فيها اختلافا نوعياً وتبايناً بعيداً في الالوان والأشكال والاعمال فما السبب فى هذا التباين والتفاوت فلا أراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر أي العجز عن الكلام وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى والخواص وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها فى سأر المناطق أو الحشرات المتباينة في الخلقة المتباعدة في التركيب المتولدة فى بقعة واحدة ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلو الى تربة تخالف تربتها فماذا تكون حجته في علة اختلافها كان حجته تكون كسفاً لا كشفاً * بل اذا قيل له أيّ هاد هدى جراثيمها فى نقصها وخداجها وأى مرشد أرشدها الي استتمام هذه الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة فى عضو أداء وظيفة وايفاء عمل حيوي مما عجز الحكماء عن درك سره ووقف علماء الفسولوجيا دون الوصول الي تحديد منافعه وكيف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجراثيم وهاديا خبيراً لطرق جميع الكمالات الصورية والمعنوية لاريب انه يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين أمواج الحيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى أبد الآبدين اه واذا تقرر أن التباين فى الموجودات ليس بطبيعي بل هو واقع بارادة الله تعالي واختياره فنقول ان بلوغ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بين أي درجة يصير بها التغير جوهريا حتى ينتفي النوع الى نوع آخر
وان كان جائزا عقلا وداخلا تحت تصرف القدرة الالهية ولكن وقوعه غير
يقيني فلا يعتبر منتجاً للنشوء ولا يضطرنا الي تأويل ظاهر النصوص الشرعية
الدالة على الخلق ووجود الانواع مستقلة نعم اذا فرض قيام دليل يقيني قاطع
يدل على أن الانواع قد انتقل بعضها الي بعض فحينئذ نجرى على القاعدة
المتقدمة في التأويل للتوفيق بين الدليل العقلي والنقلي ولكن هيهات هيهات
* وأما ناموس الانتخاب الطبيعي فهو عندكم بمنزلة نتيجة للنواميس الثلاثة
المتقدمة فنتاجه عنها يكون مظنوناً وبعد تسليم حصوله يقال يمكن أن يكون
هذا مع وجود الانواع بطريق الخلق بأن يكون قد وجد أولا الادني منها
ثم وجد الارقى مستقلا غير ناشيء عن الادنى ثم وجد أرقي من الثاني مستقلا
وهكذا الى أن وصل الحال الي الانواع الموجودة الآن بدون أن يكون نوع
ناشئاً عن نوع بل الله تعالي خلق أولا الانواع الدنيا ثم خلق أنواعا أرقى منها
مستقلة ليست ناشئة عنها ثم أباد الأولي بأسباب كونية وهكذا حتي بلغ الحال
الى هذه الانواع الموجودة الآن وهى أحسن وأنسب من جميع ما مر من
الانواع ومع ذلك أيضاً قد أجري سبحانه ارث الفروع لصفات الاصول
ومباينة الفروع للأصول فى صفات أخرى ولكن ذلك التباين الى حدّ محدود
بحيث لا يحول النوع الي نوع آخر وحكمته التمايز كما قلناه * وبعد جميع
ما تقدّم لا يكون النشوء راجحاً على الخلق في نظر العقل بل هما على حد سواء
فكل منهما محتمل جائز داخل تحت تصرف القدرة الالهية وبهذا تبين أن
النشوء ليس مظنوناً أيضاً في نظر العقل بل هو مشكوك ولكن نحن نرجح
عليه القول بالخلق واستقلال الانواع ونجزم به لظواهر النصوص الشرعية
وأنتم لا داعى لكم الي ترجيح النشوء والجزم به بعد ما أظهرنا لكم منزلته من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثبوت وتجويزنا عقلا حصول النشوء الذى تيقنا خلافه وهو حصول الخلق لا يقدح فى العلم بحصول الخلق لأن معني جواز النشوء أنه لو وقع بدلا عن الخلق الواقع لم يلزم منه محال لا أن معناه احتمال وقوع النشوء بحيث يكون عندنا شك من وقوع هذا أوذاك وكثيرا ما نعلم وقوع أشياء علما ضروريامع تجويزنا عقلا نقيض ذلك الواقع وذلك كعلمنا بوجودنا فانه لا يستريب فيه عاقل وان كنا نجوّزعدمنا بمعني لو استمر عدمنا ولم نوجد أصلا لم يلزم منه محال لا بمعني أن عدمنا يحتمل الحصول لنا حال علمنا بوجودنا هذا وبعد ما تقدم اذا لم يثبت النشوء فلا يبنى عليه اشتقاق الانسان والقرد من أصل واحد كما تزعمون وقولكم انه بمقتضى مشابهته للقرد لا يمتنع ان يكون قد اشتق هو واياه من أصل واحد شبهة في غاية السقوط لان المشابهة الصورية لا توجب هذا الامر ولا تقتضيه كما هو ظاهر على أن تلك المشابهة يعارضها أمر يدفع ما أحدثته من الشبهة وهو أننا نرى الانسان فى أول ولادته فى غاية من الضعف عقلا وجسدا لا يقدر على مشي ولا جلوس بنفسه ولا أدنى حركة جسدية تكون منتظمة وهو فى غاية البلادة والبله لا يدري ما هو محيط به ولا يعرف الارض من السماء ولا النار من الماء فلا يتجنب مؤذيا ولا يختار نافعا حتي لا يدري كيف يأخذ ثدي أمه فتعالجه أمه الايام حتي يهتدى اليه ثم بعد كل ذلك الضعف وجميع تلك البلادة نراه قد أخذ يترقي في القوة والادراك حتي يبلغ درجة فيهما لم تكن منتظرة منه فيما لو قيس على بقية الحيوانات التي تكون عند ولادتها أقوي منه جسدا وادراكا وهذه الحالة فيه من أعجب أعمال الخالق سبحانه وتعالى ودليل ساطع على عظمة قدرته في ترقية أضعف حيوان وأبلده الى درجة لم يلحقه فيها لاحق فيغدو قويا جبارا يقتلع الصخور ويشيد المباني الهائلة بعد ان كان في غاية

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
QURANIC THOUGHT

الضعف والعجز ويصبح عالما مدققاً وفيلسوفاً حاذقاً بعد ما كان مغموراً
في تلك البلادة الصماء ويتسلط بقوته وادراكه ويقهر حيوانات البحار
ووحوش القفار ومحلقات الاطيار ويضبط نظامات الشموس والاقمار *
وهو مما مقر بخالقه الواحد القهار * واما منكر له أشد الانكار * وأما القرد
فهو مثل غالب الحيوانات يولد على نوع من القوة تؤهله للحركة الكافية
حينئذ في مساعدة أمه البهيمة على تربيته وعنده من الادراك مقدار
ليس عند طفل الانسان منه أثر فيهتدى الى غذائه المعدّ له فيلتقم ثدي أمه
بدون تلك المعالجة التى تعالجها أمّ الانسان ويجتنب المؤذى ويختار النافع
وفي أقرب مدة لا يتأهل فيها طفل الانسان للجلوس على اليتيه يقوى هو على
السعي في جلب رزقه ويتم ادراكه لاعمال حياته بمقدار يجعله بمنزلة الكبير
من بني نوعه وهو لم يزل جروا صغيراً فشتان ما بينه وبين الانسان فلو كان
الانسان مشتقا هو والقرد من أصل واحد ومترقياً عنه لكان من حقه أن
لا يكون في تلك الحالة التي ذكرناها فيه فلا يكون عند ولادته دون القرد
الذي ترقى هو عنه اذ يقال ما السبب في ذلك الانحطاط في القوة والادراك
في طفل الانسان مع أن شريكه فى الاشتقاق من أصل واحد الذى ترقي هو
عنه نراه أكمل منه فيهما وما الذى اكملهما له عند الكبر ورقاه فيهما على
القرد الكثير فهذا مما يوهن كل الوهن قولكم باشتقاق الانسان والقرد من
أصل واحد اذا لم نقل انه بيطله * ولعل القائل بذلك كان أصله ممن لعنه الله
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت فعرف أصله هذا
فانتسب اليه ونحن نتمثل بقول القائل

لعمري فأما فيك فالقول صادق * وتكذب في الباقين من شط أودنا
كذلك إقرار الفتى لازم له * وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال الاستاذ السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله وكأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهيل لا وهام ومهامه الخرافات الأقرب المشابهة بين القرد والانسان وكأنّ ما أخذ به من الشبه الواهية ألهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العماية وانا نورد شيأ مما تمسك به فمن ذلك أن الخيل في سيبريا وبلاد الروسيا أطول وأغزر شعراً من الخيل المتولدة فى البلاد العربية وانما علة ذلك الضرورة وعدمها ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته فى بقعة واحدة لوقتين مختلفين حسب كثرة الامطار وقلتها ووفور المياه ونزورها أو علة النحافة ودقة العود في سكان البلاد الحارة والضخامة والسمن فى أهل البلاد الباردة بما يعتري البدن من كثرة التحلل في الحرارة وقلته في البرودة ومن واهياته ما كان يرويه من أن جماعة كانوا يقطعون أذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا اذناب كأنه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته وهل صمت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان ألوفا من السنين لا يولد مولود حتى يختن والي الآن لم يولد واحد منهم مختوناً الا لاعجاز اه والمشرع الآن في مباحث النظر واعلم أن الكلام فى تلك المباحث مرتب على قسمين * أحدهما فى الاعتبارات المأخوذة من أصول الحكمة الدالة على أن مدبّر العالم يجب أن يكون فاعلاً مختاراً لا علة موجبة * والثاني الدلائل المذكورة فى القرآن المجيد * أما القسم الاول وهو الاعتبارات المأخوذة من أصول الحكمة فاعلم أن قبل الخوض في شرح تلك الاعتبار أت يجب تقديم مقدمة وهي أن الاجسام مشكلة وهذه الاشكال قسمان أحدهما الاشكال التي حصلت على سبيل الاتفاق * وثانيهما الاشكال التي يحتاج حصولها الي فعل فاعل حكيم أما القسم الاول فمثل الحجر المنكسر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والكوز المنكسر فانه لا بد وأن يكون لتلك القطعة من الحجر والخزف شكل مخصوص معين الا أن الحس يدل على أن ذلك الشكل المخصوص وقع على سبيل الاتفاق وأما القسم الثاني فهو مثل الاشكال الواقعة على وفق المصالح والمنافع لنذكر منها مثالا واحدا وهو أنا لما نظرنا الي الابريق رأينا فيه ثلاثة أشياء أحدها الرأس الواسع وثانيها البلبلة الضيقة وثالثها العروة فلما تأملنا في هذه الاحوال الثلاثة وجدناها موافقة لمصلحة الخلق فانه لا بد من توسيع رأس الابريق حتى يدخل الماء فيه بالسهولة ولا بد من ضيق بلبلته حتى يخرج منها الماء بقدر الحاجة ولا بد له من العروة حتى يقدر الانسان على ان يأخذه بيده فلما وجدنا هذه الاجزاء الثلاثة في الابريق مطابقة للمصلحة شهد عقل كل أحد أن فاعل هذا الابريق لا بد وان يكون قد فعله بناء على الحكمة ورعاية المصلحة ولو أن فائلا قال ان هذا الابريق تكوّن بنفسه من غير قصد قاصد حكيم ولا جعل جاعل لشهدت الفطرة السليمة بأن هذا القول باطل محال اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انا لما شاهدنا في الابريق هذه الاجزاء الثلاثة مطابقة للمنفعة موافقة للمصلحة شهدت الفطرة الاصلية والغريزة الفطرية بانه لا بد لها من فاعل حكيم ومقدّر عليم فاذا تأملنا في السموات والكواكب وفي أحوال العناصر وفي أحوال الآثار العلوية والمعادن والنبات والحيوان ولا سيما الانسان وجدنا من الحكم القاهرة والدلائل الباهرة ما غرقت العقول فيها وحارت الالباب في وصفها لاجرم كانت هذه الاعتبارات بالدلالة على وجود الفاعل المختار أولي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

﴿ المبحث الثاني في النظر في الانسان * وفيه مطلبان ﴾

﴿ المطلب الاول في كيفية النظر في الانسان ﴾
﴿ للاستدلال على مبدعه بالقدرة والاختيار ﴾

اعلم أيها الانسان الناظر لنفسه بعين الرحمة أن أقرب شيء يخرجك عن الجهل بربك أن تنظر الى أقرب الاشياء اليك وذلك نفسك فنقول انا لم اكن ثم كنت أو أنا موجود بعد عدم أو أنا حادث وكلها بمعنى واحد وكل من لم يكن ثم كان أو كل موجود بعد عدم أو كل حادث فله موجد أوجده فينتج هذا البرهان انا لي موجد أوجدني أما المقدمة الاولي وهي الصغري فلا تفتقر الى دليل لانها معلومة بالضرورة لان كل عاقل لا يرتاب في أن هيئته المخصوصة التي هو عليها كانت معدومة ثم كانت وأما المقدمة الثانية وهي الكبرى الحاكمة بافتقار كل حادث الى محدث بكسر الدال فتقدم الكلام عليها في مبحث الوجود فنقول هنا انك لما احتجت الى مرجح لوجودك على عدمك السابق لزم أن يكون ذلك المرجح غيرك والا لأمكن أن توجد ما هو أهون عليك من نفسك وتقريره أن تقول لو أمكن ان توجد نفسك لأمكن أن توجد ذات غيرك والتالي باطل فالمقدم مثله وبيان الملازمة ان القدرة على اختراع أحد المثلين قدرة على اختراع مثله فالممكنات متساوية في الامكان المصحح لتعلق القدرة فالقدرة على ايجاد بعضها اختراعا قدرة على ايجاد جميعها وأما بطلان التالي وهو أن ايجاد الانسان ذات غيره ممتنع فلا يفتقر الى بيان لان كل عاقل يدرك من نفسه العجز عن ذلك (فان قلت) لا نسلم اني لم أكن ثم كنت قولكم ان ذلك معلوم بالضرورة ممنوع وسند المنع اني أعلم أن مادتي التي تكونت منها كانت ماء في صلب أبي وكذا مادة

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

أبي التي تكوّن منها كانت ماء في صلب أبيه وهكذا فغاية الأمر التي أعلم بالضرورة تبدّل الصور علىّ لاسبق العدم لذاتى ودليلكم مبني على أن نفس الذات لم تكن ثم كانت لاعلى أن صورتها لم تكن ثم كانت (أجيب) بان الذات من باب الكل المجموعى والماهية المركبة ومن لازمها انعدامها بانعدام جزئها ومن المعلوم ضرورة أن جزءها الاكبر الزائد على النطفة لم يكن ثم كان فصدق قولنا في الصغري أنا لم اكن ثم كنت وأن العلم بذلك ضرورى واذا ثبت أن جزأ من ذاتى لم يكن ثم كان فذاتي لم يكن ثم كانت فأحتاج الى موجد لذاتى ويتعين ان يكون غيرها قصاري الامر تطرّق احتمال أن بعض ذاتي في الاصل كالنطفة مثلا أثر فى فعل البعض الزائد عليها لانها مغايرة لمجموع ذاتى لكن سنذكر بعد هذا برهان بطلانه لأن الذى قصدنا أن نستنتج من البرهان السابق انما هو احتياج الذات الي موجد وأما تحقيق ذلك الموجد ما هو فسيتبين بعد ان شاء الله تعالى على الكمال على أن اسناد ايجاد الشيء من الذات لبعضها يندرج بطلانه فيما ذكرناه من البرهان على بطلان ايجاد الذات نفسها وهو ما ألزمناه على ذلك القدير من صحة ايجادها غيرها من حيث اشتمالها على ذلك البعض الذى يصح منه الاختراع وهو باطل على الضرورة (فان قيل) لعلّ ذلك البعض انما أثر بالطبع بشرط الاتصال والكينونة فى الرحم (قلنا) فيلزم أن ينقطع تأثيره بعد الانفصال عن الرحم كيف ومعظم الذات بعد الانفصال وجد على أن اختلاف الذات وتخصص كل جزء منها بما يجوز على غيره يمنع قطعاً أن يكون لعلة أولطبيعة فيها تأثير فتعين أن التأثير فيها انما هو بالاختيار والممكنات بالنسبة الي الفاعل المختار سواء وهو الله تعالي فظهر أن البرهان السابق يقتضي أن الموجد للذات ليس بينها ولا جزء من أجزائها ونزيد ذلك بيانا فنقول تقدّم أن

جهات

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جهات التأثير تنحصر في ثلاثة أوجه وهي التأثير بالاختيار والتأثير بالطبيعة والتأثير بالعلة وأن وجه الحصر أن كل مؤثر إما أن يصح منه الترك لأثره كالكاتب مثلا للكتابة أولا والاول الفاعل المختار ويلزمه أن يكون حيا عالما قادراً مريدا والثاني اما أن يتوقف اقتضاؤه على شرط وانتفاء مانع كما يقول الطبائعي في احراق النار ونفع الأدوية مثلا فانه قد يمنع منها مانع أولا كما يقول الفيلسوف في حركة اليد مع حركة المفتاح مثلا فانه يستحيل أن يمنع من حركة المفتاح أو الخاتم الكائنين في اليد عند حركته مانع والاول الطبيعة والثاني العلة فاذا عرفت هذا فهذه الأوجه الثلاثة كلها مستحيلة في النطفة أما تأثيرها فيما نشأ عنها بالاختيار فضروري البطلان اذ الحياة والقدرة والارادة والعلم لازمة للمؤثر بالاختيار وهي جماد لا تتصف بشيء من ذلك قطعاً وأيضاً لو أثرت النطفة بالاختيار لما اختص تأثيرها بهذه الذات التي تكوّنت عنها دون غيرها ولكانت هذه الذات الكاملة أحري أن تؤثر في ايجاد الذوات لاشتمالها على النطفة المدعى لها القدرة علي التأثير ولما فيها من الاوصاف المناسبة للتأثير كالعلم والقدرة والارادة والحياة وغير ذلك وعجزها عن ذلك معلوم بالضرورة فأحرى ما هو أضعف منها وأيضاً اذا كانت النطفة بالغة من القوة هذا المبلغ وهي من العلم على نحوه فلم لم تبلغ الذات وهي هي غاية ما يمكن لها من الكمال ولم تنزل بها الآلام والاوصاب ثم تعاني العناء في احتمالها أو التخلص منها ولم قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات وهو عين ادراكها على هذا الادعاء عن اكتناه حالها أنفسها وعجز عن حفظ حياتها قال الاستاذ السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله وظن جماعة من متأخري المادبين أن المادة بما لها من القوة وما يلابسها من الادراك تجلت وتجلى بهذه الاشكال والهيئات وعند ماتظهر بصور الاجساد الحية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تراعي فيما لابسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتنشئ لها من الاعضاء والآلات ما يفي بأداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الازمنة والامكنة والفصول السنوية * هذا أنفس ماوجدوا من حيلة لمذهبهم العاطل بعد ما دخلوا من ألف جحر وخرجوا من ألف نفق وما هو بأقرب الى العقل من سائر أوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر أصولهم فانهم يرون كسائر المتأخرين أن الاجسام مركبة من الاجزاء الديمقراطيسية فيلزم على القول بشعور المادة أن يكون لكل جزء ديمقراطيسي شعور خاص كما يلزم أن تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الاجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء وبعد هذا فاني سائلهم كيف اطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء وبأية آلة أفهم كل منها باقيها ما ينوبه من مطلبه وأي برلمان (مجلس الشورى) أو أي سنات (مجلس الشيوخ) عقدت للتشاور فى ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف واني لهذه الاجزاء ان تعلم وهي فى بيضة العصفور ضرورة ظهورها فى هيئة طير يأكل الحبوب فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة لحاجته فى حياته اليهما واذا كانت في بيض الشاهين والعقاب فمن أين لها العلم بانها تقوم طيرا يأكل اللحوم فلا بد له من منسر ومخلاب يصول بهما في الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه ليأكله * ومن أين لها ان تعلم وهي فى مشيمة الكابة انها ستكون على صورة أنثي الجرو ثم تكبر حتى تبلغ حد الادراك ثم تكون حبلى لوقت من الاوقات وقد تلد أجراء متعددة في زمن واحد فهي تهيئ لطبيها حلمات كثيرة على حسب حاجة أجرائها * ومن لهذه الاجزاء المتبددة ان تدرك حاجة الحيوانات الي القلب

والرئة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والرئة والمخ والمخيخ وسائر الاعضاء والجوارح * لو عقلت هذه الطائفة ما رمى اليه سؤالي هذا لارتكست في أفكارها وانقلبت الي تيهور من الحيرة لاترفع منه رأساً ولا تحير جوابا اه وفي ما ذكره الاستاذ دليل أيضاً على بطلان تأثير العلة أو الطبيعة في الايجاد ونقول أيضاً تأثير النطفة بالطبع وفي معناه العلة باطل لاختصاص هذه الذات بمقدار مخصوص وصفة مخصوصة ونسبتها أعنى النطفة الى جميع المقادير والصفات نسبة واحدة فتعين أن يكون الفاعل المختار له ارادة يرجح بها بعض الجائز على بعض وأيضاً فكل من النطفة والذات جواهر متماثلة ومع ذلك قد اختص بعضها بقوة السمع وبعضها بقوة البصر وبعضها بقوة الشم وبعضها بقوة الفعل الي غير ذلك من الاختلافات التي لاتحصى وكلّ يجوز أن يكون مكان صاحبه وأن يكون على خلاف ما هو عليه والطبيعة والعلة يستحيل أن يخصصا مثلا على مثل فثبت أن صانع ذاتك فاعل مختار ويحتج على ذلك ببرهان من الشكل الأول وتقريره أن تقول ذاتك قد اختصت بجائز بدلا عن جائز باعتبار مجموعها وباعتبار أجزائها وكل ما كان كذلك ففاعله مختار لفعله فينتج ذاتك فاعلها مختار لفعلها ودليل الصغري ظاهر فان مجموع الذات قد اختص ببعض المقادير من كونه ذا طول مخصوص وعرض مخصوص والطول اكثر من العرض مثلا مع جواز ان يكون على خلاف ذلك والاشكال الهندسية كلها فى حقه جائزة لا رجحان لبعضها على بعض باعتبار ذاته وكذا أيضاً قد اختص ببعض الاعراض من الالوان والاصوات ونحوهما دون بعض وأما باعتبار أجزائها فقد اختص بعضها مع استوائها بان كان عينا وبعضها بان كان أذناً وبعضها بان كان يداً الي غير ذلك من الاختلافات وكل في محل مخصوص وله عرض مخصوص ومقدار مخصوص مع جواز غير ذلك فى الجميع وأما دليل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الكبرى فلان تأثير الطبيعة والعلة لما كان بالمناسبة الذاتية فيستحيل أن يناسب الضدين وأن يخصص مثلا عن مثل فتعين أن يكون المخصص لذاتك مختاراً (فان قلت) انا نسلم أن الفاعل المختار خصص بعض النطفة بكونه يداً والبعض بكونه رجلا والبعض بكونه رأساً والبعض بكونه أذنا الي غير ذلك اذ لا تأثير لنطفة بل ولا لطبيعة ولا لعلة في شيء من ذلك لما ذكر قبل وانما طبعها في نموّ تلك الاجزاء المخصصة بالغير والنموّ معنى واحد فلم يلزم من تأثير النطفة والطبيعة فيه اختلاف مطبوعها (أجيب) بأن الوقوف على مقدار مخصوص في النمو وانقطاعه عما فوق ذلك مع جوازه يمنع أن يكون النمو أيضاً أثرا للطبيعة وفي معناها العلة اذ لو كان أثراً لهما للزم أن لا تقف الذات في نموها ولكانت تنمو أبداً على أن تقديرها مؤثرة في النمو لا يدفع لزوم اختلاف مطبوعها أيضاً لان النمو الذي في اليد مثلا مخالف في انتهائه لنموّ الاذن وكذا نمو الانف والرجل وغيرهما مختلف بل أصابع اليد المتحدة المحل أصابع الرجل واسنان الفم مختلفة في نموها وتري بعض الاعضاء نموها في الطول اكثر من العرض وبعضها بالعكس الي غير ذلك من صفات اختلاف النموّ وكل على أبلغ ما يكون من المناسبة لمصلحته الخاصة به أفيرضي عاقل أن يسند هذا الصنع العجيب والشكل الغريب لشيء من العالم منفرداً أو مجتمعاً فضلا عن أن يسنده الى خصوصية موات لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيأ كلاّ والله انما يليق أن يفعله من ليس كمثله شيء مالك الملك المحيط علمه بكل شيء الذى لا يتعاصى على قدرته التامة وإرادته النافذة شيء من الكائنات فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿واعلم﴾ أنه تعالى لما خلق الخلق كان له في كل شيء دليل علي قدرته واختياره حتى أن في نفس الانسان له دلائل لا تعدّ ولا تحصي ودلائل الاختيار اثبات مختلفين في محلين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

متشابهين أو اثبات متشابهين في محلين مختلفين اذ حال الانسان من أشد الاشياء مشابهة فانه مخلوق من متشابه ثم انه تعالي أودع في الجانب الايمن من الانسان قوة ليست في الجانب الايسر لو اجتمع أهل العلم علي أن يذكروا له مرجحا غير قدرة الله وإرادته لا يقدرون عليه فان كان بعضهم يدعى كياسة وذكاء يقول إن الكبد في الجانب الأيمن وبها قوّة التغذية والطحال في الجانب الأيسر وليس فيه قوّة ظاهرة النفع فصار الجانب الأيمن قويا لمكان الكبد على اليمين فنقول هذا دليل الاختيار لان اليمين كالشمال وتخصيص الله اليمين بجعله مكان الكبد دليل الاختيار والمراد بكون الانسان مخلوقا من متشابه انه مخلوق من النطفة وهي جسم متشابه الاجزاء في الطبيعة بحسب الحس والمشاهدة الا أن من متقدمي الاطباء من يقول انه مختلف الاجزاء في الحقيقة وذلك ان كل غذاء أخذ فانه حين يصير الى المعدة تطبخه بعد هضم يسير في الفم ماء ثخينا ينجذب صافيه الى الكبد فيصير أخلاطا وينجذب الدم منها الى العروق السواكن السارية في جميع الاعضاء للتغذية ويكون من خالصه وأصحّ مافيه المنيّ وينفصل عن جميع أجزاء البدن حتي يكون فيه كل عضو بالقوة فيصير مستعدا لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء وعلى ذلك فهو مختلف الاجزاء وهذا مردود بأوجه . منها أنه لو كان مختلف الاجزاء لم يولد لمقطوع اليد الا ناقصها لعدم أجزائها ولان الشخص قد يولد له مالا يشبه أحدا من أهله ومن يشبه الخامس من الأجداد وعلى كل لا يجوز أن يكون المقتضى لتولد البدن من النطفة هو الطبيعة الحاصلة في جوهر النطفة ودم الحيض أما على الاول من أن النطفة متشابهة الاجزاء فلان الطبيعة تأثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوّة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب أن يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عولوا في قولهم البسائط يجب أن تكون أشكالها الطبيعية في الكرة ولذلك زعموا

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ان جوهر الفلك لما كان طبيعة واحدة كان كريا فلو كان المقتضي لتولد
الحيوان من النطفة هو الطبيعة لوجب أن يكون شكلها الكرة وحيث لم
يكن الامر كذلك علمنا أن المقتضى لحدوث الابدان الحيوانية ليس هو
الطبيعة بل فاعل مختار هو يخلق بالحكمة والتدبير والاختيار وأما على الثاني
وهو أن يقال النطفة جسم مركب من أجزاء مختلفة في الطبيعة والماهية
فنقول بتقدير أن يكون الامر كذلك فانه يجب أن يكون تولد البدن منها
بتدبير فاعل مختار حكيم وبيانه من وجوه * الأول أن النطفة رطوبة سريعة الاستحالة
واذا كان كذلك كانت الاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة فالجزء
الذى هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب
قد يحصل في الفوق واذا كان الامر كذلك وجب أن لا تكون أعضاء الحيوان
على هذا الترتيب المعين أمرا دائما ولا اكثريا وحيث كان الامر كذلك علمنا
أن حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس الا بتدبير الفاعل
المختار الحكيم * والوجه الثاني ان النطفة بتقدير أنها جسم مركب من أجزاء
مختلفة الطبائع الا أنه يجب أن ينتهي تحليل تركيبها الي أجزاء يكون كل واحد
منها في نفسه جسما بسيطاً واذا كان الامر كذلك فلو كان المدبر لها قوة طبيعية
لكان كل واحد من تلك البسائط يجب أن يكون شكله هو الكرة
فكان يلزم أن يكون الحيوان على شكل كرات مضمومة بعضها الى بعض وحيث
لم يكن الامر كذلك علمنا أن مدبر أبدان الحيوانات ليس هو الطبائع ولا
تأثيرات الأنجم والافلاك لان تلك التأثيرات متشابهة فعلمنا أن مدبر أبدان
الحيوانات فاعل مختار حكيم وهو المطلوب * فانظر الآن الي النطفة وهي قطرة
من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها
ربّ الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثي وألقى الالف

والمحبة

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع لبقاء النسل وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وغذّاه بماء الحيض حتى نما وربا وكبر ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالي فى خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من المنيّ ودم الحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة اليها من القفار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية ادارة النطفة فى أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزائها الي رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الاعضاء لقضيت من أنواع نعم الله تعالي عليك في مبدإ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن * وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة فى دم الحيض فى الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتى واجفانى وجبهتى وخدي وشفتي فترى التقويس يظهر شيأ فشيأ على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للأم ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم أفما هذا النقاش باعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر على أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها أن الذي صوّر ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصوّر كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من هذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فتعجب من عدم تعجبك فانه أعجب من كل عجب فان الذى أعمى بصيرتك
مع هذا الوضوح ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه
فسبحان من هدي وأضلّ وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه
فشاهدوه في جميع ذرّات العالم وأجزائه * وأعمي قلوب أعدائه واحتجب
عنهم بعزه وعلائه * فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر
لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه * فانظر كيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة
علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة
متساوية الي العظام والمخّ والاعصاب والعروق والاوتار والدم واللحم والجلد
والظفر ووضع كل واحد منها لحكمة لولاها لم يكن الجسد بحسب العادة
ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدوّر
الرأس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مدّ اليد والرجل
وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة
من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد
على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل
عضو من هذه الاعضاء بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل
طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة
من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا الى أن نصف ما فى آحاد
هذه الاعضاء من العجائب والآيات لا نقضي فيه الاعمار * فانظر الآن الي
العظام وهى أجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها
قواما للبدن فهى كالاساس والدعائم له لانها أصلب الاجزاء وجعل منها المفاصل
المركوزة فى الاوراك والمدروزة كقحف الرأس والسلسلة كالفك الأسفل
والوثيقة كالاعلى وفي تراكيبها عجائب الحكمة الالهية تقدس مبرزها عن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن يضاهي وقد قدّرها تعالى بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه الصغير والكبير والطويل والمستدير والعريض والدقيق والمصمت والمجوف ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه مفتقراً للتردد في في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتي تتيسر بها الحركة وقدّر شكل كل واحدة منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفى العظم وألصقه بالعظم الآخر كالرباط له ثم خلق فى أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه برأس محكم وفى الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ذلك وجعل منها ما هو كأسنان المنشار تدخل في نقر وما هو ملصوق فقط وما يحدث تركيبه زوايا حادة ومنفرجة وأشكالا مثلثة كالصدغ والانف ثم خلق تعالي المخّ فى العظام في غاية الرطوبة ليرطب يبس العظام وشدتها ولتقوى العظام برطوبته ولولا ذلك لضعفت قوّتها وانخرم نظام الجسد لضعفها بحسب مجري العادة ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها *قال صاحب الفلسفة الحقة ومن ينظر للرأس وكيفية تعشق عظامها يعلم اعجاز تلك الصناعة المهمة التي لم نعلم كنه المنشار الذى نشرها بهذه الدقة والاحكام حتى جعلها اذا تعشقت ببعضها لا تسمح لذرة الهواء بالنفوذ اه وقد ركب تعالي الرأس من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فألف بعضها الي بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فمنها ستة تخص القحف وأربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هى الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوّفات مستديرات فيها

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة الي منتهي عظم العجز من أربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل * فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض أن ينظر منها في مدبّرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين أشكالها واقدارها وخصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليه واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحداً لكان نقصاناً يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصوّرها فشتان بين النظرين * ثم انظر كيف خلق الله تعالي آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة تسعاً وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فأربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين وأجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختلّ أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص فلو كانت أقوى مما هي لم تصلح عادة حركة الجسم ولا تصرّفه في منافعه قال صاحب كتاب الفسلفة الحقة النسيج العضلي هو عبارة عن خيوط

فيها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيها خاصية عجيبة وهى أنها تنقبض وتمتد بمجرد صدور إرادة الانسان للحركة ولولا تلك الخاصية لما امكن المشى ولا الاكل ولا الكلام ولا النظر وبالاختصار يكون الانسان كالصخرة الصلداء وبعض هذه العضلات تفعل أفعالا مهمة جداً قسراً عن الانسان بشرط لو أراد إيقاف عملها لم تطاوعه وتلك كعضلات المعدة والأمعاء وغيرها فانها في أثناء الهضم تقوم مقام ميكانيكى ماله مثيل ومقام كيماوى ليس له نظير اه وهذا مما ينبهك على أن أفعال الانسان الاختيارية وغيرها مخلوقة لله تعالى كما تقدم في المطلب الأول من المبحث الاول من المقصد الثالث *وأمر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذه كله ففي الآدمي آلاف من العروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالي عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين ثم خلق اللحم وعباه على العظام وسدّ به خلل الجسم كله فصار مستويا لحمة واحدة واعتدلت هيئة الجسد به واستوت ثم خلق العروق في جميع الجسد جداول لجريان الغذاء فيها الي اركان الجسد لكل موضع من الجسد عدد معلوم من العروق صغارا وكبارا ليأخذ الصغير من الغذاء حاجته والكبير حاجته ولو كانت اكثر مما هى عليه أو أنقص أو على غير ما هي عليه من الترتيب لما صح من الجسد بحسب العادة شيء ثم أجرى الدم في العروق سيالا خاثراً ولو كان يابسا أو اكثف مما هو عليه لم يجر فى العروق ولو كان ألطف مما هو عليه لم تتغذ به الاعضاء ثم كسا اللحم بالجلد ليستره كله كالوعاء له ولولا ذلك لكان قشرا أحمر وفى ذلك هلاكه عادة ثم كساه الشعر وقاية للجلد وزينة في بعض المواضع

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وما لم يكن فيه شعر جعل له اللباس عوضا منه وجعل أصوله مغروزة في اللحم ليتم الانتفاع ببقائه ولين أصوله ولم يجعلها يابسة مثل رؤس الابر ولو كان كذلك لم يهنه عيش ولما كان الشعر والظفر مما يطول لما فى طولهما من المصالح لبعض الناس في بعض الاوقات وكان جزهما مما يحتاج اليه فى بعض الاوقات لم يجعلا كسائر الاعضاء في تألم الانسان بقطعهما فانظر الي دقائق هذا الصنع الجليل * وحسن معاملة المولي الرحيم هذا العبد الكفور الا من عصمه الله تعالي باللطف الجميل * ثم هكذا كل عظم وعرق وقليل أو كثير من الجسد على هذه الحكمة واكثر فالفكر مجال فى آحاد هذه الاجزاء ثم فى آحاد هذه الاعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر الي عجائب أجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم * فانظر الآن الي ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته فنرى به من العجائب والصنعة ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته فى أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما فى الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالي أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها أولا وما صارت اليه ثانيا وتأمل انه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظما أو عرقا أو قصبا أو جلدا أو شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بعد أن عجز الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الي صورة انسان مصور على حائط تأنق النقاش في تصويرها حتي قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كأنه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة انما تمت بالصبغ واليد والآلة وبالحائط وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك وتستعظمه وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها وقسم أجزاءها المتشابهة الي أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها * وحسن أشكال اعضائها * وزين ظاهرها وباطنها برتب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها * ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر أساساً لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها * والرأس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئتها ثم حماها بالاجفان لسترها وتحفظها وتدفع الاقذاء عنها ثم أظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر اليها فلو نظرنا الى أن قطر العين أقصر من قيراط ومع ذلك يرتسم على شبكيتها صورة أرض واسعة بكل ما فيها من السهول والجبال والاودية والصخور والمياه والاشجار والابنية والحيوانات مستوفية التفاصيل لحارت أفكارنا في دقة تلك الصورة التي رسمت على الشبكية وفي صغر حجمها محاكية لتلك الارض الواسعة وجميع ما اشتملت عليه لم تغادر منه شيأ فما أسمى قدرة من أبدع ذلك ودبره بحكمته سبحانه ما أعظم شأنه واذا راجعنا تشريح العين واطلعنا على ما احتوت عليه من العضلات والاعصاب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القائمة بوظيفة حركتها والشرايين والاوردة الخادمة في تغذيتها وغير ذلك من الرباطات والرطوبات لزاد بنا العجب والحيرة * واعلم أن لله تعالي في كل تطريفة بالجفن نعماً عظيمة فى نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل ثم اذا نظرنا الى خارج العين نجد من تدابير الباري تعالي في محافظتها وتسهيل طرق أداء وظيفتها أحكم صنع وأتقن وضع وذلك أن العين لما كانت لطيفة يخشي عليها من مصادمات الاجسام ولو صغيرة جدا وضعها خالقها داخل الحجاج محفوظة به من كل جانب الا الجهة التي يدخلها النور وجعل الطبقة الاولى منها وهى الصلبة مع القرنية لدنة حتى تقوي على المصادمة بعض القوة وسترها أيضا بالاجفان لوقايتها لا سيما عند المنام وللزينة أيضاً ثم أنبت على أطراف الأجفان الاهداب شعراً أسود ثخينا منتصبا مع ميل الأعلى الى فوق قليلا والاسفل الى تحت كذلك ونعمة الله فى سواده أنه يتشرب بعض النور الوارد على العين لا سيما اذا كان قويا ويجمع الضوء اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه كما أن الحاجبين فوق العينين بلون السواد أو نحوه لاجل الزينة ولهذه الحكمة وهو تشرب بعض النور الوارد على العين ولذلك نرى من كان لون حاجبيه وأهدابه أبيض يجهر بصره ويتخازر وأما نعمة الله في ثخن شعر الاهداب وانتصابها وترتيبها صفاً واحداً فهى أن يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثاً للاقذاء التي تتناثر في الهواء فيقاوم الاجسام الصغيرة الواردة على العين فانها اذا ورد عليها حبة تراب مثلا وقعت غالبا على الاهداب فصادفت شعراته كالحراب المشرعة تمنعها من الوصول الى الداخل وتدفعها الي بعيد وله تعالى فى كل شعرة منها نعمتان من حيث ليل أصلها ومع اللين نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة أعظم من

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذي من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ولو جعل شعرها طبقا واحدا لم ينظر من خلالها وأما نعمة الله فى كون شعر الهدب الاعلى مائلا الى فوق قليلا والاسفل الي تحت كذلك فلتسهيل افتراقهما عند ارادة فتح الاجفان لانهما لو كانا متوازيين فى الانتصاب لانطبقا على بعضهما عند انطباق الاجفان وبسبب رطوبة الدمع يتلاصقان فيعسر افتراقهما ولو كانا متقابلين فى الانتصاب بحيث تتداخل شعراتهما عند الانطباق لكان عسر افتراقهما مع الرطوبة الدمعية أشد وأيضا هذه الكيفية تجعلهما في طريق النور فينقل صورتهما الي الشبكية فيتشوش صور المرئيات فوضعهما في تلك الكيفية من الميل القليل الي فوق وتحت هو عين الاتقان والاحكام لا يليق سواه وفضلا عن هذه الفوائد في الاهداب فالزينة بها لا ينكرها الاكل معدوم الذوق السليم ولأجل ما ذكرنا فى الاهداب قال بعض الحكماء ان الهدب يوجب الايمان الغيبي بالمبدع الاول ثم لما كان الغبار لا يندفع عن العين لا بالحجاج ولا بالاجفان للاحتياج الي فتحها عند النظر ولا بالاهداب وهو يذهب بصقالة القرنية ويعطل وظيفة شفافتها اذا وقع عليها ومع ذلك فتراكمه على العين يجلب عليها الضرر دبر الحكيم سبحانه وتعالى لجلائه عنها افراز الدمع من الغدد الدمعية حول المقلة داخل الاجفان وجعل الاجفان متابعة الحركة بالانطباق والانفتاح على غاية من السرعة الي يضرب بها المثل حتى لا يتعطل الابصار وينتوش فالدمع يغسل الغبار الذى يقع على المقلة والاجفان بحركتها تصقلها وتزيح الدمع الممتزج بالغبار عنها والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حدقتيه ليصقلهما من الغبار ثم ذلك الدمع الذي صار قذرا بالغبار لا بدّ من خروجه عن المقلة على وجه مناسب فلو انه كان يخرج دائما الى ظاهر الاجفان ويسيل على الخدين لرأينا هناك منظرا بشيعا ومسيلين من أقذر المسيلات فدبر الحكيم سبحانه لتسهيل انفصال ذلك الدمع عن المقلة تكوين أطراف الاجفان من الداخل بشكل يصلح لجريانه الي الموق أي الطرف الذى يجاور الأنف ثم جعل هناك ثقبا رفيعا نافذا الي داخل الأنف يسمي القناة الدمعية يخرج الدمع منه ويصل الي داخل الأنف ويختلط برطوبته ويتجمد هناك معها فيخرجه الحيوان بالاستنثار ونحوه قال صاحب الرسالة الحميدية لا يصدق عقلي بان هذه القناة الدمعية حصلت للحيوان بوجه الصدفة أو الضرورة فضلا عن جميع تلك التدابير وأيّ ضرورة اقتضتها فسبحان الحكيم الخبير اه ثم شق أذنيه وأودعهما ماء مرّا ليحفظ سمعهما ويدفع الهوامّ عنهما وحوطهما بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الي صماخها ولتحس بدبيب الهوامّ اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لئلا يدخل الهواء دفعة فيفسد السمع ولكثر حركة ما يدبّ فيها ويطول طريقه فينتبه من النوم صاحبها اذا قصدها دابة فى حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع وجعلها مناسبة لذلك تمام التناسب فجعلها ثلاثة أنواع أولاها القواطع الموجودة فى الجهة الامامية من الفم وهي معدّة لتقطيع الخبز واللحم وثانيها الانياب وهي معدّة لتمزيق ما يراد تمزيقه من الاغذية وثالثها الاضراس وهي اسنان

جذورها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جذورها ذات شعب منفرسة لتعطيها قوة ومتانة لانها معرضة للطحن والمرس *ومن الحكمة وجود أسطحة الاضراس ذات انخفاضات وارتفاعات لاتمام وظيفة الطحن كما يرام لأنها لو كانت مسطحة لما أتمت وظيفتها كما ينبغي وأحكم أصول الاسنان وحدّد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والنقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتي يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الي الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها والكلية تخدمها بجذب المائية عنها والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الأحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الي سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتستدا الي المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل قال صاحب الفلسفة الحقة وكل يد تتركب من جملة عظام وهي الساعد المتكون من عظم واحد متصل بالكتف ويمكن أن يتحرك بواسطة عضلات قوية

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جدا وهذه الحركة الي كل الجهات تقريبا وحكمة ذلك سهولة القبض على الاشياء ولو لا ذلك لا نجبر الانسان أن يدور الي حيث يريد القبض عليه فيتعب جسمه ولا تنتظم معيشته ويتصل بالساعد الزند اتصالا مفصليا أيضاً ولكن حركته الي جهة الامام فقط ولولا ذلك لما أمكن دفع شيء الي الامام ولا الانتظام فى الاعمال وهذا الجزء متركب من عظمين ثم عظام اليد وهى جملة عظيمات متينة جدا متصلة ببعضها اتصالا مفصليا بواسطة عضلات شديدة القوة ومن يمعن النظر فيها لا يتمالك نفسه من الغرابة من صناعتها المتناسبة فلا يمكن لاي مكابر أن يفرض أو يصور يداً تكون أحسن من يدنا التجعلنا فى علاقة مع الاشياء المحيطة فان الاصابع مع طول بعضها وقصر الآخر وغلظ هذا ونحول ذلك موضوعة بطريقة متناسبة غاية التناسب فلو ضاعت سلاميا من السلاميات أى عقلة فلا ينتظم للمفقودة منه عمل بقدر وضعها المحكم ووقتها يعلم صاحبها أنه فقد شيأ مهماً اه وقد وضع تعالى الاصابع الاربعة فى جانب والابهام في جانب لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوي ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتي لا تقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يتم أحدث مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الي موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الي طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه لكان يري التخطيط والتصوير يظهر عليها شيأ فشيأ ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه * ثم انظر مع كمال قدرته الي تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتي تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الي الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأنبت منهما سلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبي ثم فتح فى حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الي عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الأسنان الي تمام الحولين لانه فى الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الي طعام غليظ ويحتاج الطعام الي المضغ والطحن فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره فى الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتميز والعقل والهداية تدريجا حتي بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ما كفوراً أو شكوراً مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا فانظر الى اللطف والكرم ثم الي القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية والعجب كل العجب ممن يري خطا حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه فى نفسه ويقول ما أحذقه وما اكمل صنعته وأحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفى غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه النبذة من عجائب بدنك أقرب مجال لفكرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك ولا تعرف من نفسك الا أن تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم كلها تشاركك فى معرفة ذلك وانما خاصية الانسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالي بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فأولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا (واعلم) ان الله تعالي خلق النبات وهو اكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التى لا تنمي ولا تغتذي فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الي نفسه من جهة أصله وعروقه التى في الارض وهي له آلات فبها يجتذ الغذاء وهى العروق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الدقيقة التى نراها فى كل ورقة ثم تغلظ أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب الي عروق شعرية تنبسط فى أجزاء الورقة حتي تغيب عن البصر الا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه اذا أعوزه غذاء يساق اليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الي ترتيب حكمة الله تعالي في خلق الحواس الخمس التي هى آلة الادراك فأولها حاسة اللمس وانما خلقت لك حتي اذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه . قال صاحب الفلسفة الحقة انظر للعناية التى بها قسم الاحساس في الجسم تجدها بديعة جدا وفى غاية العدالة وذلك أن أطراف الاصابع هي صاحبة الاحساس الاكبر لانها الاكثر تعرضا للاشياء بخلاف الأرجل والظهر مثلا فاحساسها ضعيف جدا لانها الاكثر بعدا عن الملامسة وحكمة وجود القوة الحساسة في الانسان كبيرة جدا فلولاها لما فرقنا بين النور والنار ولا بين الحرير والحيش وكان يتأتي ان يقبض الانسان على الحديد المحمي فلا يشعر به الا اذا رأى بعينه انها أتلفت كفه فبعدم وجودها يحصل اختلال شديد ولو كانت العين تسد مسدها نوعا ما اه وحاسة اللمس أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا ويكون له هذا الحس لانه إن لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه فان الاحساس بما يبعد منه احساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتي الدودة التي فى الطين فانها اذا غرزت فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا أنك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتخص به فتجذبه
الي نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم الا
انك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج الي أن تطوف
كثيراً من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لم تعثر
فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به
ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك
الا هذا لكنت ناقصاً اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء
ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وأماما بينك
وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز
عن الهرب فخلق لك السمع حتي تدرك به الاصوات من وراء الجدران
والحجب عند جريان الحركات لانك لا تدرك بالبصر الا شيأ حاضراً وأما
الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك
بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام
عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق
اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك
كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك
سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك ادراك آخر
يسمي حسا مشتركا تتأدى اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه
لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيأ أصفر مثلا فوجدته مراً مخالفاً لك
فتركته فاذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانيا لو لا
الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه
والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده

الصفرة

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا أدرك الصفرة حكم بانه مر فتمتنع عن تناوله ثانياً وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن الا هذا لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص اذا قيدت وقد تلقى نفسها فى بئر ولا تدرى أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه فى الحال ويضرها فى ثاني الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فأما ادراك العواقب فلا فميزك الله تعالي واكرمك بصفة أخرى هى أشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها فى الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتأليفها واعداد أسبابها فتنتفع بعقلك فى الاكل الذى هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبري فيه معرفة الله تعالي ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة فى عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار الموكلين بنواحى المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به فواحدة منها بأخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخري باخبار الروائح والاخري باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها الي الحس المشترك والحس المشترك قاعد فى مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحى العالم فيأخذها وهي مختومة ويسلمها اذ ليس له الا أخذها وجمعها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الانها آت اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعنّ له فهذه سياق نعمة الله عليك في الادراكات ولا تظنن أنا استوفينا ما فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض وبعضها كانه الخل ولكل واحد من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب واختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تسوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ذلك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه ثم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحسك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الي أن يكون لك ارادة وميل الى ما يوافقك يسمي شهوة ونفرة عما يخالطك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالي فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذى يضطرك الي التناول حتي تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج الى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقي به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتي تجامع فيبقي به نسلك ثم خلق الشهوة لا يكفيك فانه تأتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل مايضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته فان كل واحد يشتهى مافى يديك فتحتاج الي داعية في دفعه ومقاتلته وهى داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الي ما يضر وينفع فى الحال وأما في المآل فلا يكفي فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة أخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد هذه المعرفة بأن هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها مالم يكن لك ميل الي العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة أفردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب ثم اعلم أن الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معني لها الا الميل الى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه مالم تكن فيك آلة الطلب والهرب فكم من مريض مشتاق الي شيء بعيد عنه مدرك له ولكن لا يمكنه أن يمشى اليه لفقد رجله أو لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضي الشهوة طلبا وبمقتضي الكراهية هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التى تنظر الى ظاهرها ولا تعرف أسرارها فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR[illegible]UGHT

والقرن للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر أعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الي سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له أربع قوائم ومنها ماله رجلان ومنها ما يدبّ وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل فقط ليقياس عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لاتكفي مالم تتمكن من أن تأخذه فافتقرت الي باطشة فأنعم الله تعالي عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان الي الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك فى الجهات فتمتد وتنثنى اليك فلا تكون نخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكبة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة فى القبض ثم هب أنك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا مالم يصل الي المعدة وهى فى الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر دهليز اليها حتي يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الي المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الي طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الي طحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحين كالاضراس والي حادة قواطع كالرباعيات والي ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك

الاسفل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاسفل ويتأخر حتي يدور على الفلك الاعلى دوران الرحي ولولا ذلك لما تيسر الا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحى الاسفل متحركا حركة دورية واللحى الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالي فان كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا الرحي الذى صنعه الله تعالي اذ يدور منه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الي ماتحت الاسنان أوكيف تستجره الاسنان الى نفسها اوكيف يتصرف باليد فى داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التى ترد الطعام الى الرحي هذا مع مافيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق والحكم التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الابان ينزلق الي الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى يلعجن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتي تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك واذا أعدم الله تلك العين بخلق جفوف من المرض لم يمض على الحلق شيء وان مضى فبمشقة عظيمة ومن عجائب هذه العين انها مع عدم انقطاعها لم يكن ماؤها يملأ الفم فى كل وقت حتي يتكلف الانسان مؤنة عظيمة في طرح ذلك عنه بل جرت على وجه أجمت فيه ان تتعدى وجه منفعتها فتبارك الله أحسن الخالقين ثم هذا الطعام المطحون الملعجن من يوصله الى المعدة وهو فى الفم ولا تقدر علي أن تدفعه باليد ولا يد فى المعدة حتي تمتد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالي المرئ والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتي ينقلب الطعام بضغطه فيهوي الي المعدة في دهليز المرىء فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما علي هذه الهيئة بل لابد وأن يطبخ طبخا تاما حتي تتشابه أجزاؤه فخلق الله المعدة علي هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الابواب فلايزال لابثا فيها حتي يتم الهضم والنضج بالحرارة حتي ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير فى تشابه أجزائه ورقته وهو بعد لايصلح للتغذية فخلق الله تعالي بينها وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتي ينصب الطعام فيها فينتهي الي الكبد والكبد فيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها ويتشرفي أجزائهاحتي تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيهاريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا أن حرارة الكبد هى التى تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد فى جميع مايطبخ احداهما شبيهة بالدردى والعكر وهو الخلط السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تنفضل عنها الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا الي الكبد داخلا فى تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوى فيبقى الدم صافيا ليس فيه الازيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولاخرج منها متصاعدا الي الاعضاء فخلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحدة منهما عنقا طويلا الي الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالي ان عنقهما ليس داخلا في تجويف الكبد

بل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتي يجذب مايليهما بعد الطلوع من العروق الدقيقة التى في الكبد اذلواجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقدصار الدم صافيامن الفضلات الثلاث نقيا من كل مايفسد الغذاء ثم ان الله تعالي أطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك فى البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الي سائر الاعضاء حتي تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لاتدرك بالابصار فيصل منه الغذاء بالرشح الي سائر الاعضاء ليقوم جزؤمنه مقام جزء قدتلف وذلك الغذاء يصير لحما وعظما فاذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهى لاتتحرك بأنفسها ولاتتغير بأنفسها ومجرد الطبع لايكفي في ترددها فى أطوارها حتى تصير لحما وعظما وعروقا وعصبا فانظر الي حكمة الله فى جذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء لايتحرك بنفسه وانظر كيف يمسك الغذاء فى جواره وكيف يخلع عنه صورة الدم وكيف يكسي صورة اللحم والعروق والعظم وكيف يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء وكيف يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتي لايكون منفصلا وانظر الي مراعاة المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استداراته وبالعريض مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدرحاجته فانه لوجمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي مايجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقته بل ينبغي أن يساق الي الاجفان مع رقتها والحدقة مع صفائها والي الانخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته مايليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا لبطلت الصورة وربما بعض المواضع وضعف بعض

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المواضع بل لولم يراعي العدل في القسمة والتقسيط فسيق الى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء مالا ينمو به الا إحدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه ألبتة فانظر الى مراعاة هذه الهندسة في هذه القسمة ولا تظنن أن الدم بطبعة يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدرى مايقول ثم انه لو حلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حصلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلا حدث منه الاستسقا وغيره ثم انظر الي حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب هذه المنافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة أما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر الى الامعاء ليحصل له في نقل الطعام رطوبة مزلقة ويحصل في الامعاء لذع يحركها للدفع فتنضغط حتي يندفع الثفل وينزلق لتكون صفرته لذلك وأما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيأ الي فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل وأما الكلية فانها تغتذى بمافي تلك المائية من الدم وترسل الباقي الى المثانة ولو ذكرنا لك كيفية احتياج الكبد الي القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الي سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركب الاعضاء وعظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور أخر سواه فانظر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الى نعمة الله عليك أولا لتقوي بعدها علي الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله الا الاكل وهو أخسها ثم لا تعرف منها الا أنك تجوع فتأكل والحمار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستنهض فينهض ويرمح فاذا لم تعرف أنت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك فتأمل في نعم الله تعالي في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك فان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالي التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح فيحملون الاطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالي صناعة السفن والمركبات البخارية والكهربائية وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والي الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والي الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والمركبات البخارية والكهربائية والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وانظر كيف أخرج تعالي من الماء الذي هو في غاية اللطافة واللين وعدم تماسك الاجزاء قوة البخار التي سخرها أصلب الاشياء وهو الحديد لجر الاثقال الفادحة الي الاقطار النازحة بسرعة فائقة قال بعضهم

وجه لحاظك للبخار وقل به * اني أرى ماءً يجر حديدا

وتأمل ما يحتاج اليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن والمركبات الكهربائية والبخارية فقد خلق الله تعالي جميع ذلك الي حد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحاجة وسوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن وبتمادي ذلك الي أمور خارجة عن الحصر نري تركها طلبا للايجاز ثم تأمل في اصلاح الاطعمة فان الذي ينبت في الارض من النبات ومايخلق من الحيوانات لايمكن أن يقضم ويؤكل وهوكذلك بل لابد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى أمور أخر لاتحصى واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى مايحتاج اليه الرغيف الواحد حتي يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر فى الارض فأول مايحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير الارض والفدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الافعال التى ذكرناها ومالم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التى يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الي أعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الي حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالي الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت أن رغيفا واحدا لايستدير بحيث يصلح لاكلك يامسكين مالم يعمل عليه اكثر من ألف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الانسان فى تلك الآلات حتي ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها الخياطة اللباس الذى يمنع البرد عنك لاتكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الابعد ان تمر على يد الابرى خمسا وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله تعالي البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الي عمل المنجل الذي يحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه أفلاترى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كيف هدى الله عبده الذى خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبه والصنائع الغريبة فانظر الي المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشيء معا ويقطعانه بسرعة لولم يكشف الله تعالي طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الي استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الي استخراج الحديد من الحجر والي تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوتي اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فسبحان من ألحق ذوى الابصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا أوعن الحداد أوعن الحجام الذي هو أخس الاعمال أوعن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذي وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول فى هذه الطبقة أيضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء ثم تأمل فى اصلاح المصلحين واعلم ان هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو اتفقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يجمعهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد وزينوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك مما يؤدي الي التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالي السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والاسباب وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا أحياء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء البلاد واضطروا الخلق الى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصار والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الامامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الانبياء الملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض الى أن ينتهى الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى * فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصناع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى أن ينتهي الى حضرة الربوبية التى هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب وهذا الذى رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجمال ما أهملناه من جملة ماعرفه العلماء وجملة ماعرفه العلماء وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الي مالم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر الا أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من علم شيأ من هذا أدرك شمة من معانى قوله تعالي وان تعدّوا نعمت الله لا تحصوها فهذا هو النظر فى الانسان على ما قرره المتقدمون من المتكلمين والحكماء بقى علينا النظر فى الانسان على مقتضى ما قرره المتأخرون من الحكماء وقد اخترنا لذلك جملة لخصناها من الفلسفة الحقة مع بعض تصرف فانه قال ان من أعجب عجائب هذا الوجود * وأغرب غرائب هذا الكون المشهود * وأبدع صناعة لا تدرك سرها العقول * وأبرع خلقة عجزت عن استكناهها الفحول * هو هذا الانسان الذي نراه سائراً في الطرقات دائبا على تحصيل معاشة فلا يستلفت لنا بصراً ولا يستوقف لنا فكراً وأما لو نظرنا الى الوابور وهو سائر على شريط السكة الحديد نظل نحدق اليه وتشرئبّ اعناقنا عليه مع انه ان قيس بآلات الانسان وجهازه لما عدّ شيأ يذكر ولقيل أين الثريا والثرى ولكن لا يسعنا الا أن نقول قتلت العادة فهى التي طمست على أبصارنا وبصائرنا وجعلتنا نرى ولا نرى نهيم بالسواب عن الماء ونعير العجائب عينا عمياء كيف يليق بنا أن نعيش لاوين الكشح عن اعارة نفسنا نظرة علمية ترينا اننا حقيقة العالم الاكبر ونتحقق من قول الشاعر الفيلسوف

أتزعم انك شيء صغير * وفيك انطوي العالم الاكبر

فوقتها نضرب المثل (كل الصيد في جوف الفرا) أليس من الواجب أن يعير الانسان نفسه نظرة يري بها ما لو حدث به لما صدق * نعم يري أن كل رجل بل وكل حيوان سائر أو قاعد فى جوفه ماكينة في شغل دائم مستمر تنفرز عصارتها وتتفاعل سوائلها فتتركب وتتحلل وتصعد وتنزل وتتبخر وتتكاثف وتسيل وتتصلب وتلين وتجمد وكل خلية من خلايا الجسم تأخذ نصيبها بالتناسب لحجمها وتركيبها من الدم الذي يسرى في العروق المتداخلة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بافرازات دائمة غير محسوسة * فلو فرضنا حصانا ولد قبل أربع سنوات يكون قد استحال الآن الي سماد أما الحشيش والتبن فقد صارا هما الحصان الشديد الحمية بدون تغير محسوس في مادته * ويضاف الى هذه المسألة مسألة النوم أيضاً فان الحيوان يفقد فيه جميع حركاته الخارجية وانفعالاته الداخلية التي تهيج وتشتت العقل ولم يبق متمتعا بشيء سوي التنفس والهضم أعنى لا يحصل له مدة النوم أى عمل من شأنه اضعاف قوته ويحل محله كل عمل من شأنه تعويض قواه المفقودة بلا تقييد * وهذه الراحة الموجبة للدهشة والاستغراب تحصل كل ليلة حينما يرخي الظلام سدوله مانعا الحيوان من الشغل فمن يا تري أبدع هذه الراحة * ومن الذى انتقى لها الاعمال التي يجب أن تستمر مدة النوم ومن الذى انتقى الاعمال التي تنقطع مدة الليل بهذا العدل والحكمة (هل الانسان هو الذي يفعل ذلك كله من تلقاء نفسه كلا بل هو الله العزيز الحكيم) وقال الفيلسوف بوسويت * كل شيء مستعد في جسم الانسان بصناعة تقضى بالعجب العجاب فالجسم يقبل من كل جهة المؤثرات الخارجية بدون أن ينجرح فقد وهب من الاعضاء مايذود عنه ما يمكن أن يهينه أو يهدمه والاجسام المحيطة التى تؤثر عليه هذا الاثر السيئ هي أيضا أسباب دفاعة عن نفسه ورغما عن رقة بعض أجزائه بطريقة غير مدركة قد يري بها رقة وصلابة والحركات المستمرة المنتظمة للوالبه تفعل بغاية السهولة والنبات ونحن الذين نحس باقل حركة من الاشياء المحيطة بنا بمجرد ملامستها لنا ولكن في باطننا نرى الشرايين ماشية والدم يسري والسوائل تسيل وأجزاء الجسم تعوض ما فقد منها من الغذاء ولم نكد نحس من تلك الاعمال كلها الا بضربات القلب ومع ذلك فكل هذه التغييرات لا تهيج منامنا أو تلهي أفكارنا ولا تكدر حواسنا فيا للقواعد

والمناسبات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والمناسبات واللطافة والرقة لهذه الحركات الجسيمة التي وهبها الله لنا فكم من أجزاء قد تناسقت تناسقاً تاماً صالحة لتأدية الوظائف التي وضعت لها أحسن صلاح فانه وضع الصمامات وضربات القلب والشرايين ورقة أجزاء المخ وتغييرات حركاته التي تتعلق بها سائر الحركات الاخرى وتوزيع الدم والسوائل الاخرى والمفاعيل المختلفة للتنفس الذى له المقام الاول في الجسم فكل هذه الاجهزة موضوعة بتدبير فائق موجب للدهشة والتعجب واستعظام العلم والحكمة اللذين وضعا هذا النظام (صنع الله الذى أتقن كل شيء) فلا يوجد نوع من الماكينات الا وموجود نظيره في جسم الانسان فانا نرى الشفتين كأنبوبة لامتصاص السوائل واللسان سدادتها والرئة متصلة بها القصبة الرئوية وهي تخدم كأنبوبة ذات صنع خصوصي باتساعها كثيرا أو قليلا تغير اللحن والصوت واللسان يشبه الكمنجة وبضربه على الاسنان وسقف الفم يولد نغمات شجية والعين بسوائلها وباوريتها تنعكس عليها الأشعة أحسن من انعكاسها على أدق العدسات صنعا ولها حدقة بتمددها أو انقباضها تطول دائرتها أو تنفرطح بحسب دور المرئي لتنضبط على المسافات مثل النظارات التي ترى من بعد * والاذن لها الطبلة التي هي غشاء رقيق جدا ومتوترة بالطبع من حركة مطرقة تحرك من أي صوت ولها جملة أغوار في عظم صلب جدا وظيفتها ترنين الصوت بالطريقة التي يرن بها بين الصخور في أثناء صدوت الصدي والاوعية وعضلاتها التي تدور الى كل الجهات والعظام والأوتار لها بكراتها وعتلاتها فتناسبها وتوازنها ومضاعفتها للقوة المحركة تري بعدالة لا مزيد عليها * فكل هذه الماكينات بسيطة وحركاتها المنتظمة سهلة رغما عن دقة صنعها الى لا تعد الآلات بجانبها الا غليظة التركيب وبالبحث في الاعضاء يرى فيها كل أنواع المنسوجات فلا شيء أحسن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

منها حياكة ولا تسدية ولا شيء منضغط مثلها بهذا الاحكام * فلا منقاش ولا مخراطة تنتج مثل هذه الدقة التي سوي الله بها صناعته * فكل ما يفعله فصل السوائل وخلطها ورسوبها وانهضامها وتخمرها وفضالتها يفعل في جسم الانسان بنهاية الدقة والاعتناء مما يجعل الكيمياء الدقيقة جداً بجانب هذه الافعال لا تعد الا جهلا فاضحاً * وقال الفيلسوف بوسويت أيضاً قديمضي الانسان حياته في العجب العجاب بدون أن يلتفت اليه * فان لي جسماً أديره وأحركه وأنقله الى حيث أريد مع عدم عرفاني بأعضاء هذه الحركات وأريد أن تتحرك أمامي قطعة من التبن فلم تتحرك بأي صفة * ولكن لما أريد أن تتحرك يدي وساعدي ورأسي وأعضائي الاخرى الثقيلة وجميع كتلة الجسم التي لو كانت منفصلة عني لما أمكنني حملها الا بصعوبة فأراها تتحرك من نفسها بدون أن أطلع على سر لولب هذه المكينة العجيبة ولا أعرف فقط الا أني أريد الحركة بطريقة أو بأخرى فأراني متحصلا على ما طلبت وأراني ألفظ مائة كلمة ومائة أخرى مسموعة او غير مسموعة وأفعل حركات بشفتي ولساني وحلقي وصدري ورأسي وأرخي عيني وأضمهما وأديرهما وألفهما وأمد وأقبض حدقتهما بحسب ما أريد أن أنظر الى قريب أو بعيد * وبدون أن أعرف هذه الحركة أراها قد فعلت عند ما أريد النظر الى شيء سواء كان بلا اعتناء ولا تدقيق أو بهما * ما الذي يخول هذه السلطة لارادتي * وكيف يمكنني التحرك بما أعرفه وما لست أعرفه * فأتنفس بدون أن أفتكر في التنفس وهو لا ينقطع ولا في النوم ومتى أريد نطقه أو اسراعه فلا أرى ذلك الا طوع ارادتي وأنا لم أعرف كيفية تمدد أو انقباض الرئتين اللتين أقذف فيهما أو أسحب منهما الهواء بكل سهولة ومتى أريد النطق بصوت حاد أو عال أو منخفض فاني أمد وأقبض قطعة أخرى في الحلق تسمى المصبة الرئوية مع عدم تحقق انها موجودة في جسمي

فلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فلا يكلفني الكلام بصوت مرتفع أو منخفض الاصدوارادتي وألفاظ ألف لفظة بوضوح مع عدم علمي بها * ولكن اللهم انك تعلم هذا ولا يطلع على حقيقته احد سواك وكل هذا سر وضعته بين ارادتنا وحركات جسمنا وأنت الذي جعلتهما متحدين بلا نفور (الي أن قال) فالله سبحانه وتعالى وهب لارادة الانسان الذى هو على صورته هذا الملك الباذخ لأجل أن يكون نموذجا لارادته تعالى التي تؤثر على كل شيء وتفعل كل شيء وهذا الكلام موافق لمذهب أهل السنة وما قدمناه لهم فى أول هذا المقصد من البرهان على أن الافعال الاختيارية مخلوقة لله تعالى * ومما قاله الدكتور نوئيل في احدى مجلات أوربا الشهيرة ما يأتى * الحيوان المسمي أميب الميكروسكوبى بزدرد بعض مواد عضوية غريبة يمتص جسمه بعضها ويرمي البعض الآخر : ولكن ماذا يفعل بالجزء الذى يمتص يحيله ويصيره جزأ منه : وهذه المواد قبل أن تدخل الى جسمه كانت أنواعا مختلفة من البروتوبلاسم ولكن بعد ما أدخله فى جسمه أحيلت الي بروتوبلاسم أخرى ركبت الاميب. ولا يوجد اختلاف أبدا بين البروتوبلاسم الاولى وبين الناتجة من تمثيلها فى أعضائها لان الاخيرة ستكون أميبات أخر * كيف يتم ذلك * وما هي كيميائها وما هي طبيعتها * ولنفرض كائنا آخر من سلسلة هذا الوجود يكون أرقي من الاميب وليكن الرجل مثلا نرى ان هذا الرجل يأكل الخبز والبفتيك ويدخلها فى معدته وامعائه فتمتص وتتمثل بأعضائه * ولكن لا يعلم أحد بالضبط كيف تحصل هذه الاستحالة حيث نري أن الشيء الغريب عن الجسم استحال اليه وصار جزأ منه وكوّن ليس فقط أنسجة خلوية ودما بشريا ولكن أنسجة خلوية ودما بشريا بالنسبة للرجل ذاته ان كان أوربا وبا أو سردانيا . فهذه هى الآية العجيبة التي احتارت فيها العقول * أليس تكوين الرجل نفسه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بنفسه من الخبز واللحم يعدّ آية تدعو للعجب العجاب * لقد تكلم العلماء على تكون الاعضاء ثانيا بعد أن تفقدها العوارض المختلفة فان الحيوان المسمي هومار يكون لنفسه مخالبه والليذار يعوض ذيله المبتور * ان هذا العمل هو غريب جدا في الواقع ونفس الامر * وأغرب من هذا هو التركيب التدريجي الذي يحصل فى كل جسم بلا انقطاع * وأغرب من كلا هذين الامرين أن هذه المواد الجديدة تحفظ الذاكرة وكل الخصائص الخاصة بالجسم * نعم ان تركب الرجل من هذه المواد هو شيء عجيب جدا * ولكن اكثر عجبا من هذا ان التركيب المذكور يكون مصحوبا بعلامات تاريخه الماضي وسمات آبائه ولون شعره وعينه وغضون وجهه (الي أن قال) واذا اعتبرنا الحيوان فانه يحيل المواد الغريبة عنه الي عمل عينيه وعضلاته وأعصابه ولتعويض عضو مبتور (الى ان قال) كيف ذلك ؟ لعمري ان هذه الاشياء هى آية عجيبة اه هذه أقوال أناس نظروا الي الاشياء بعين البصيرة فوجدوا أنها غريبة مدهشة لا يتصور أن تفعل شيأ من تلقاء أنفسها * فانظر بعيشك الي الفرق الهائل بين هؤلاء وبين رجل يقرأ جزأ من الطبيعة ثم يزعم أنه متنور مع ادعائه أنه عرف الاسباب والمسببات فلا غرابة ولا غريب قائلا ان هذا يتركب على هذا وذاك على ذلك وبهذا قام كل الوجود * ان من يتفوه بهذا الكلام لا شك انه جاهل لا يفهم ما يقال ولا يعي ما يقول فالواجب علينا أن ننظر الى الاشياء من حيث هى لا من حيث قشورها الظاهرية فان من السهل جدا ان نقول ان الانسان يلد الانسان * ولكن من الصعب بل من المحال فهم ذلك * والا فلم يلد كبشا أو نيلا لا سيما وقد شوهد أن المادة التلقيحية * هى عين مادة الانسان * ومن الاسهل قولنا يأكل ويهضم وينمو ولكن من المحال فهم كيفية الصنع الالهى الذى به تستحيل الحبوب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الي ذات الانسان . وتكون تلك الأعين التي لو تدبر في دقتها ورقة أجزائها لا ندهش ولما صدّق انها تتغير كل عشر سنين ويحل محلها غيرها . وغير ذلك فان الاغذية المنهضمة تنقسم بطريقة عادلة جداً * فبعضها يتكوّن على هيئة العصارات المختلفة ويذهب الى غددها لا الي غدد غيرها وبعضها يكون شعراً ان كان صاحبه أشيب يتكون له شعر أبيض وان كان أشقر فاشقر أو اسود فأسود ثم تكون له ظفرا وجلداً ووجها والخلاصة انها تعطي لكل ذرة من ذرات الجسم قسطا متناسباً بهندسة لا يبلغ مداها العقل * وانظر الي الاسود الزنجى مثلا تجده يأكل مما تأكل وهو عائش فى الوسط الذي أنت فيه وأجهزته الهضمية لا تفترق عن أجهزتك في شيء بمدة فعلها وتركيب عصاراتها وغددها فما بال شعره يكون مفلفلا وجلده لا يتكوّن الا أسود وهكذا سائر خواصه * ان قلنا ان سواده وفلفلة شعره كان من تأثير اقليمه الذى كان يعيش فيه فما باله الآن وقد تغيرت البلاد ومن عليها وصار محويا في الوسط الحاوي المخالفين له في الخلق والخلق * أليس هذا بعجيب مدهش مع تفكرنا أن الأجهزة والمجهزات هى واحدة للابيض الناصع والاصفر الفاقع والاسود الفاحم في الوسط الواحد * نعم هذا أمر عجيب لمن عنده ذرة من الحس ولم يرد أن يوقف فكره على الاغترار بالظواهر دون سبر غور الباطن * وبالجملة فالانسان تحفى الاقلام دون استقصاء البحث فيه فان الكلام عليه هو الكلام على مجمع شتات التناسب وبورة أشعة التناسق وغاية الرقة ومنتهى الدقة ومعجز التركيب ومحكم الترتيب والحكمة والاحكام واللطافة والانتظام * ان الانسان الذى نراه يتهادى في ثوب الجمال ويتبختر في خز الدلال مع دقة أجزائه ورقة أعضائه مخلوق من التراب * بدون شك ولا ارتياب * أليس بعجيب ان تكون عيناه هاتان ببلوريتهما وحدقيتهما وقرنيتيهما أعنى هذه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاجزاء التى لا يذكر السندس بجانبها الاخيشا مخلوقة من التراب * ان هذا لشيء عجاب * نعم

هذا الذي جعل الالباب حائرة * وصير العالم النحرير مبهوتا

وقد أحسن المعري حيث قال

والذي حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد

فاللبيب اللبيب من ليس يغتر بكون مصيره للفساد

بالنظر الى الجهاز الهضمي عند الانسان وهو ذلك المعمل الكيماوى (الذى لو حدث به الانسان لما صدق) نرى اننا نلقي اليه خبزا ولحما فيحيلهما لنا عيناً وسمعاً وذوقا وشما وحسا ودما الي آخره مما يكون مجموعه جسم الانسان مع علمنا أن أبسط المعامل حتى معمل القلل النليظة محتاج الي جملة عمال عقلاء يديرون أجهزته بالدقة والانتظام الكافيين لاحسان عملها * فهل ترى أن معمل الهضم عند الانسان يعمل أعمالا لا تعدّ العلماء اعمالهم الدقيقة بجانبها الاجهلا وهو دائر على محور منتظم لا تجاريه فيه أحسن الساعات ويكون كل ذلك حاصلا من تلقاء نفسه بدون صنع صانع حكيم وارادة مختار عليم * والهضم هو عملية كيماوية وميكانيكية القصد منها فصل الاجزاء الغير صالحة للتغذية من المواد الصالحة لها واحالة هذه الاخيرة الي عصارة مخصوصة قابلة لأن تعوض ما يفقده الجسم في كل لحظة وقولنا واحالة الاخيرة الى عصارة مخصوصة ظاهر لأن القمح مثلا الذي يمكن أن يكتفى به الانسان لا يحتوى على لحم ولا على دم ولا على عظم وبالاختصار هو جسم غريب جداً عن جسم الانسان ولكن هذه المعدة العجيبة تتحلل فيها المواد المركبة للدقيق ويتكون منها مركبات مختلفة مما هو من جنس جسم الانسان ويحصل ذلك لو أكل الانسان مهما اكل بشرط ان يكون موجودا فيه كل العناصر الضرورية التى يمكن ان

تتركب

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تتركب في المعدة بطريقة مدهشة وتستحيل الى عصارة تصلح لتغذية الاعضاء (صنع الله الذى أتقن كل شيء) والهضم يبتدي في الفم فانه بمجرد وضع البلعة الغذائية أو اللقمة فى الفم نجد أن الغدد اللعابية تفرز السوائل المتناسبة التى منها يتركب مركبات مخصوصة تمتزج مع مواد اللقمة بمقادير نسبية وبعد ذلك يأخذ اللسان وهو ذلك الميكانيكيّ البديع المثال ويخفض اللقمة ويصعدها ويقلبها ويصلحها كل ذلك ليتم هرسها وعجنها بالاضراس * ومن المدهش أنه يتوقى على سرعة حركاته كل شر يمكن أن يقع عليه من الاسنان ولو تدبرنا في أعماله لاخذنا العجب العجاب * لان هذا الفعل وذاك التوقى يفوقان بلا أدنى ريب أفعال العقلاء * ولا يخفى أنه لا سبب لهذا الفعل المدهش الا ارادة الانسان وهى ارادة بكماء ليس صاحبها المنتج لها ولا عقله قائدا لبريدها بدليل أن لسان الطفل ليس بأقلّ خبرة بصناعته من لسان الفيلسوف * ولو استطردنا وتدبرنا في شغل اللسان أثناء الكلام نجده غريبا أيضاً لانه بمجرد أن تصدر ارادة الانسان بالكلام نراه يؤدى تلك الوظيفة بمساعدة غيره ويتحرك الحركات الضرورية لاحداث هذه الخاصية مع علم الكل أن الانسان لا دخل له فى انتاج هذه الحركات * فهل اللسان هو الذي يفعلها من تلقاء نفسه * كلا انما هو تحت الامر الانساني فقط * لعمري إن هذه مسألة من المسائل التي تقوى وتظهر جداً ما قدمناه في أول هذا المقصد من البرهان على أن الافعال كلها مخلوقة لله تعالى * وبعد أن يتم المضغ يحصل أعمال غريبة أيضاً أثناء الازدراد تثبت ما ذكرناه * وذلك أن اللسان يصير كالميزاب ويحمل البلعة ويضغط باطرافه على سقف الفم ضاغطا على الغذاء أيضاً فكان اللعوم يشعر بذلك (مع انه لا عقل له قطعا) فيرتفع ويستعد لاستلامه * وفي الوقت ذاته ترتفع اللهاة وتسد الحفر الانفية لئلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يسقط فيها شيء وهذه اللهاة عبارة عن لسان صغير غشائي متصل بغشاء آخر اسمه الغلصمة مجعول لسد القصبة فى هذا الوقت أيضاً لئلا يسقط اليها شيء * ولما لم يجد الغذاء أمامه غير فتحة البلعوم ينحدر اليها بفعل ضغط اللسان فيأخذه ليوصله للمريئ وهو يوصله للمعدة تحصل كل هذه الافعال عند أي بلعة بدون اذن ولا علم الانسان فدل ذلك على أن الافعال الاختيارية وغيرها مخلوقة لله تعالي كما تقدم * والا كيف نعلل هذه الاعمال التى لا تحصل الا وقت لزومها وتنتهى عند عدم لزومها * وما هو العصب الذى يأمرها بذلك اذن يقتضي أن ذلك العصب يكون أعقل من نفس الانسان لانه لا يمكنه أن يأتى مثل هذه الاعمال بهذه الدقة والعناية * لعمري ان من يكذب بان الافعال الاختيارية وغيرها مخلوقة لله تعالى ويزعم أن في كل جزء من اجزاء البدن قوة عاقلة لهو معاند للحق مكذب للحس والضرورة غارق في بحار الاوهام ومثل هذا ينبغي ان يعد من المجانين لا من العقلاء * والآن حيث تكلمنا على الهضم في الفم نتكلم على الهضم في المعدة فنقول بمجرد تجمع المواد الغذائية فى المعدة نري ان الاجربة الموضوعة في غشاء المعدة تفرز في الحال عصيراً يسمى بالعصير المعدى وهو سائل كيماوى مركب من جوهر يسمي الببسين وحمض يسمي حمض الكلورايدريك أو الخليك وغيره * ووقتها يحصل فى المعدة عمليتان احداهما ميكانيكية أى تتعلق بتحريك واضطراب الاغذية لتنعجن وتتفاعل مع العصير المعدي المذكور * والثانية كيماوية وهي لتحويل مواد الاغذية الي مركباب أخرى * فتستحيل بهذين الفعلين الي عجينة نصف سائلة يدعونها بالكيموس * ومتى تم ذلك ينفتح الصمام المغلق للفتحة الفاصلة للامعاء عن المعدة فينصرف الثفل الي الامعاء وتنضغط المعدة على نفسها بصناعة عجيبة وتقذف كل الاغذية الي العروق

الدقاق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الدقاق المسماة قديما بالماسريقا فتنفرز اليها من الكبد والبنكرياس (الطحال) عصارتان مهمتان وينفرز أيضاً من الامعاء (الماسريقا) عصير يسمي بالعصير المعوى وكل هذه السوائل تتم بها اذابة المواد المتكون منها الغذاء وتستحيل بها الي مركبات أخرى من كل أنواع مركبات الجسم حتى أنها لما تمر عليها مع الدم تستحيل اليها (كذا يزعمون ليقربوا لعقولهم كيفية انقلابها الى انواع مركبات الجسم) وهذه العصارة تسمى بالكيلوس لونها ناصع ونقية للغاية * فاي منخل مرت منه هذه العصارة وأى شيء فصل عنها كل ما يشوب نقاءها * لا يعلم ذلك أحد غير الصانع الحكيم تقدس وتعالى فهو الذي يعلم كيف يوجد تلك الاشياء بقدرته وارادته * ثم تمر هذه العصارة بواسطة الاوعية الكيلوسية المتصلة بالماسريقا الي الجزء اليسارىّ من القلب ومنه تدور بواسطة الشرايين الى جميع أجزاء الجسم وهذه هى الدورة الدموية ومنفعتها احالة الدم الي سائر أجزاء الجسم * وجهاز هذه الدورة يتركب من القلب والشرايين والاوردة * والشرايين تنتهي بتفرعات تأخذ في الدقة الى درجة بها لا تنظر الا بواسطه الميكروسكوب وأطرافها متصلة بالاوردة * ثم ان هذه الشرايين متصلة بالجهة اليسري من القلب وأما الاوردة فبالجهة اليمنى * والقلب عبارة عن عضو مجوّف شكله مخروطي متعكس ينقسم طولا الي قسمين مستقلين يسمى احدهما القلب اليميني والآخر القلب اليسارىّ وكل قلب من هذين القلبين ينقسم الى قسمين يسمى أعلاهما أذين والاسفل بطين * وبذلك فالقلب ينقسم الى أربعة أقسام وهى أذين وبطن يمينيان وأذين وبطين يساريان * وكل أذين يتصل بالبطين الذي أسفله بواسطة فتحة مسدودة بصمام من غشاء والقلب اليساري اكثر متانة من القلب اليمنى لان فيه يحصل تجمع الدم الشريانى الذى يسري الي سائر اجزاء الجسم ليعطيه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المواد التى يتجدد منها ويحتاج هذا السريان الي قوة دافعة جعلها الله فى القلب فلذلك جعل تعالي القلب متينا لأجل أن يمكنه تحمل هذه الانفعالات المتواترة فى كل لحظة * وأما الشرايين فهى أنابيب تخرج من القلب اليسارى اعدها الله تعالى لحمل الدم الى كافة أجزاء الجسم وكونها من ثلاث طبقات متعاقبة الوسطى منها مرنة لا تنطبق على نفسها لانه تعالي جعل الشريان لا ينطبق على نفسه وأوجد داخل هذه الشرايين صمامات وجعلها بحيث تنفتح على حسب سير الدم من القلب الى الجسم ولا تنفتح الي جهة مضادة وذلك كي لا يرجع اليوم الدم الآتي من القلب اليه ثانية لتكون الحركة منتظمة * وأما الاوردة فهى أنابيب مثل الشرايين في تركبها لكنه تعالي لم يجعل لها الغشاء المرنّ الذى يجعلها متوترة فهي ليست كذلك الا بالدم المالئ لها وجعلها تعالي تتصل بأطراف الشرايين الدقيقة التي تسمى بالاوعية الشعرية وجعلها أيضا تتصل بالجهة اليمنى من القلب * وجعل وظيفتها حمل الدم المنفسد اليه * وقد علمت ان الله تعالى جعل في القلب قوة دافعة ولأجل ذلك جعله متينا واذا علمت ذلك فنقول ان القلب ممتلىء على الدوام بالدم الذي يأتى اليه بعد الانصلاح في الرئتين كما سيجئى ذلك ملخصا * ففي كل دفعة من دفعات القلب يطرد الي الشرايين جزء من الدم فتقبلها هذه وتمر منها على سائر اجزاء الجسم فتتشرب الخلايا المختلفة ما يلائمها ويناسبها وقد جعلها تعالي بحيث لا يمكن ان تأخذ غير ما هي محتاجة اليه فخلايا الشعر تأخذ ما يناسب تركيبه وخلايا العين تتشرب ما يلائمها وهكذا وهذا الفعل عجيب لا يدركه التصور الانسانى (وهذا على فرض أن الدم يكون محتويا على سائر الانواع التي يتركب منها الجسم كما تقدم) قالوا ويحصل ذلك التشرب بطريقة لطيفة تسمى الاوسموز . وبيانها انا اذا ملأنا كيساً وليكن مثانة بمادة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صمغية وغمرناه في أناء يحتوي على مادة صمغية أخري اكثر كثافة من مشمول المثانة نرى أن مادة هذه تنقص وتزيد مادة الاناء ومن هذا يري انه بوضع المثانة في المادة الصمغية حصل بين مشمولها وهذه المادة تياران متضادان أحدهما أقوى من الآخر وفى العادة يكون التيار الاقوى هو الآتى من السائل الاقل كثافة. ولو كانت مادة الاناء مصبوغة بلون ما يتحقق قولنا أنه حصل تياران من كلا الانائين لانه يشاهد انصباغ مادة المثانة* اذا تقرر ذلك يقال ان الاجسام النامية على العموم كالحيوانات والنباتات مركبة من جملة خلايا متلاصقة وهذه الخلايا عبارة عن اكياس صغيرة جدا مشمول فيها سائل كثافته اكثر من كثافة الدم اذا كانت الخلايا حيوانية فلما يتلامس هذا السائل المذكور بها تشبه في هذه الحالة بمثانة محتوية على سائل اكثر كثافة من سائل آخر موجود في اناء حواليها فيحصل كما تقدم تياران متضادان وحيث ان الدم اقل كثافة فتياره يكون أقوى وبذلك تتمكن الخلية من أخذ كفايتها وهكذا يحصل في سائر خلايا الجسم هذا وقد ذكرت جملة آراء لاجل تفسير ظاهرة الاندوسموز واعترف المحققون من الطبيعيين بأنه لا يوجد رأي مما ذكروه تفسر به ظاهرة الاندوسموز تفسيرا شافيا* وبعد ما يدور الدم بهذه الطريقة فى سائر أجزاء الجسم يكون قد تحمل بحمض انكربون (وهو مركب من أوكسجين وكربون) فلا يكون صالحا للتغذية فينتقل منها الي الاوردة بواسطة الاوعية الشعرية وقد جعل الله تعالى صمامات هذه الاوردة موضوعة بعكس صمامات الشرايين حتي أن الدم الصاعد الى القلب لا يمكنه أن يرتد على عقبيه لمنع تلك الصمامات لهذا الخلل فينقل الدم بهذه الواسطة الي القلب اليمنى وحيث انه جعله متمتعاً بقوة مرونة فيدفع منه الدم الي الشريان الرئوى المتصل به ولا يدفع الي الشرايين لان صماماتها لا تسمح بذلك وهذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الشريان يتفرع في الرئتين فيختلط هناك مع الاوكسجين (كما يسجئى ذلك) وينتقى من كربونه ويرجع الى القلب الايسر ومنه كما قلنا الي سائر الاعضاء وتحصل هذه العملية المهمة جدا فى كل حركتي شهيق وزفير. ولعمر العلم انّ من يتدبر في هذا الصنع الالهى المدهش لا بد أن يأخذه العجب ويلمّ به الاستغراب * واعلم ان مركز التنفس الرئتان وهما عضوان يشبهان الاسفنج جعلهما تعالى موضوعان في جانبي الصدر وكونهما من حويصلات صغيرة تحتوى على منافذ هوائية تنضم مع بعضها فتكون فروعا تجتمع فى جذع عمومى يسمي القصبة الهوائية وهي أنبوبة أولها في الفم الخلفي وتنزل على طول العنق امام المرئ كونها تعالي من حلقات غضروفية أعني عظاما مرنة لكيلا تهبط على جدرانها وتنتهى من الامام بالحنجرة وهى العضو الذي يكون منه الصوت بمساعدة اللسان وغيره وداخل القصبة الهوائية أوجد تعالي زوائد خيطية تهتز دواما كيلا يقف فى مجرى التنفس جسم غريب وجعل تعالي حصول ظاهرة التنفس بطريقة بديعة وهي أن عند الاحتياج لذلك يتمدد الصدر بواسطة عضلات مخصوصة فيتسع التجويف الحاوي للرئتين وتتسع أيضاً الحويصلات الهوائية فيندفع اليها الهواء ليشغل الفراغ الحاصل ومتي زال الغرض المقصود من التنفس ينقبض الصدر بواسطة هذه العضلات أيضا فتعود الاعضاء لاصلها ولو لم يوجد الله تعالي هذه العضلات لما امكن الانسان استنشاق الهواء ولما يدخل الهواء الرئتين يصادف فيهما الدم المالئ للحويصلات الرئوية فيختلط اوكسجينه بالدم بواسطة ظاهرة الاوسموز التى تكلمنا عليها فيتحد مع الكربون الموجود في الدم وهو الذي جعل له لونا أسود ويتحد أيضاً مع أيدروجين الدم فيكوّن تعالي من ذلك مركبين احدهما حمض الكربون (اوكسجين وكربون) والآخر بخار مائي (ايدروجين

واوكسجين

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

واوكسجين) وهذان الغازان يخرجان بواسطة الزفير .وعند اتحاد اوكسجين الهواء بكربون وايدروجين الدم حين التنفس يوجد تعالي من ذلك حرارة متصاعدة وهي ضرورية الوجود جدا في جسم الانسان بل والحيوان والنبات * أليس من المدهش أن تعيا العلما فى درس ظاهرة تحصل في جسم الانسان فى الدقيقة الواحدة خمس عشرة مرة . أليس من الغريب للغاية ان عملية سير الدم في الشرايين وتشرب سائر خلايا الجسم منه بدون أن تحرم خلية واحدة ثم مروره للاوردة ومنها الي القلب الايمن ومنه الي الرئتين بواسطة الشريان الرئوى وحصول اتحاد اوكسجين الهواء بكربون وايدروجين الدم ثم رجوع الدم الي القلب الايسر كل هذه العمليات المحتاجة لدقة وعناية لا مزيد عليهما تحصل فى جزء من خمسة عشر جزأ من الدقيقة * نعم عجائب تحتار فيها العقول * وتعجز عن ادراكها الفحول * فما فعل العقلاء بل وماهى المعامل الكيماوية والصناعية في جانب ذلك الصنع الالهى البديع * أليس من الواجب أن نقول أين الثريا وأين الثرى * ولكن قل المتفكرون وندر المتدبرون (في غير العلماء) فى هذه المدهشات بل الكمالات * ومن ذا الذي ينظر الي المعدة أثناء الهضم ولا يندهش من ذلك العجب العجاب فهي معمل كيماوي مدهش لاعمال فيه غير الاعضاء التي نعلم كلنا تركيبها فهي تراب متعضون لا عقل لها ولكن نرى فيها من الافعال الالهية ما يزري بأفعال كل عقلاء الفلاسفة ولو كانوا متكاتفين كما نري على درس تلك الافعال الحاصلة فى المعدة فلم يتموه * ولن *هذا بشهادة عمومهم * هذا ومن درس جسمه يري عجائب تتعالي عن المدارك وتتسامي على العقول * وتعجم على الفحول *فقد مر الآن آلاف من السنين وأفيال الرجال منكبة على درس الانسان وكلهم لم يهتدوا الي استكناه سر العملية التى بها يستحيل القمح الى اللحم والدم اللذين يتكون

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

منهما جسم الانسان بل سموا ذلك الفعل بالآية التي يستحيل الولوج الي مكنون سرها والعروج الى صرحها فياصاح لا تقنع بانك صاحى

﴿المطلب الثاني فى التفكر في الانسان على مقتضى﴾
﴿ما تدل عليه الآيات القرآنية﴾

قال الله تعالي في سورة البقرة (كيف تكفرون) أي أخبروني على أى حال تكفرون (بالله) أي بواحدانيته ومعكم ما يصرفكم عن الكفر الى الايمان من الدلائل الانفسية والآفاقية واعلم أن قوله تعالي كيف تكفرون بالله وان كان بصورة الاستخبار فالمراد به التبكيت والتعنيف لان عظم المنة يقتضي عظم معصية المنعم يبين ذلك أن الوالد كلما عظمت نعمته على الولد بان رباه وعلمه وخرّجه وموّله وعرّضه للامور الحسان كانت معصيته لأبيه أعظم نبين سبحانه وتعالي بذلك عظم ما أقدموا عليه من الكفر بان ذكرهم نعمه العظيمة عليهم ليزجرهم بذلك عما أقدموا عليه من التمسك بالكفر ويبعثهم على اكتساب الايمان فقال تعالى (وكنتم أمواتا) أي والحال انكم كنتم أمواتا أي كانت مواد أبدانكم وأجزاؤها أجساما لا حياة لها عناصر وأغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والظاهر الحمل على التشبيه لان طرفيه مذكوران فيكون المعني كنتم كالاموات (فأحياكم) في الارحام والدنيا (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر وأما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التى هى الحيوان الأبدي والنعمة العظمي (ثم يحييكم) بالنشور يوم ينفخ في الصور (ثم اليه ترجعون) بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم بأعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه (فان قيل) ان علموا انهم كانوا امواتا

فاحياهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون (قلنا) تمكنهم من العلم لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على ما يدل به على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان أحياهم أولا قدر أن يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس بأعون من اعادته قال الامام فخر الدين هذه الآية دالة على انه لا يقدر على الاحياء والاماتة الا الله تعالي فيبطل به قول أهل الطبائع من ان المؤثر في الحياة والموت كذا وكذا من الافلاك والكواكب والعناصر والمزاجات كما حكى عن قوم فى قوله ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر ورد عليهم بقوله وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون * وقال تعالى فى سورة البقرة أيضاً (وبث فيها) أي في الارض (من كل دابة) من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل من قوله تعالي وما أنزل الله من السماء من ماء فهي داخلة تحت حكم الصلة والمعنى ان فيما بثه الله أى فرقه ونشره فى الارض من كل دابة لآيات لقوم يعقلون ونظيره جميع الآيات الدالة على خلقة الانسان وسائر الحيوانات كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء قال الامام فخر الدين واعلم ان حدوث الحيوانات قد يكون بالتوليد وقد يكون بالتوالد وعلى التقديرين فلا بد فيهما من الصانع الحكيم فلنبين ذلك في الناس ثم فى سائر الحيوانات أما الانسان فالذي يدل على افتقاره في حدوثه الي الصانع وجوه * أحدها يروي ان واحدا قال عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى أتعجب من أمر الشطرنج فان رقعته ذراع فى ذراع ولو لعب الانسان ألف ألف مرة فانه لا يتفق مرتان على وجه واحد فقال عمر بن الخطاب ههنا ما هو أعجب منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضاء التي فيه كالحاجبين والعينين والانف والفم لا يتغير ألبتة ثم انك لا تري شخصين فى الشرق والغرب يشتبهان في

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الصورة فما أعظم تلك القدرة والحكمة التي أظهرت في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها * وثانيها ان الانسان متولد من النطفة فالمؤثر في تصوير النطفة وتشكيلها قوة موجودة في النطفة أو غير موجودة فيها فان كانت القوة المصورة فيها فتلك القوة اما ان يكون لها شعور وادراك وعلم وحكمة حتى تمكنت من هذا التصوير العجيب واما ان لا تكون تلك القوة كذلك بل يكون تأثيرها بمجرد الطبع والعلية والاول ظاهر الفساد لان الانسان حال استكماله اكثر علما وقدرة ثم انه حال كماله لو أراد ان يغير شعرة عن كيفيتها لا يقدر على ذلك فحال ما كان في نهاية الضعف كيف يقدر على ذلك واما ان كانت تلك القوة مؤثرة بالطبع فالقوة الطبيعية اذا عملت في المادة البسيطة لا بد وان يصدر منه فعل متشابه وهذا هو الكرة فكان ينبغي أن يكون الانسان على صورة كرة وتكون جميع الاجزاء المفترضة في تلك الكرة متشابهة في الطبع وهذا هو الذي يستدلون به على ان البسائط لا بد وان تكون كرات فثبت انه لا بد للنطفة في انقلابها لحما ودما وانسانا من مدبر ومقدر لاعضائها وقواها وتراكيبها وما ذاك الا الصانع سبحانه وتعالى * وثالثها الاستدلال بأحوال تشريح أبدان الحيوانات والعجائب الواقعة في تركيبها وتأليفها واستقصاء ذلك في هذا الموضع كالمتعذر لكثرتها ورابعها ما روى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم ومن عجائب الامر في هذا التركيب أن أهل الطبائع قالوا أعلى العناصر يجب أن يكون هو النار وأدون منها في اللطافة الهواء ثم الماء والارض لا بد وان تكون تحت الكل لثقلها وكثافتها ثم انهم قلبوا هذه القضية في تركيب بدن الانسان لان أعلى الاعضاء منه عظم الجمجمة والعظم بارد يابس على طبيعة الارض وتحته

الدماغ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الدماغ وهو باردرطب على طبع الماء وتحته النفس وهو حار رطب على طبع الهواء وتحت الكل القلب وهو حار يابس على طبع النار فسبحان من بيده قلب الطبائع يرتبها كيف يشاء ويرتبها كيف أراد ومما ذكرنا في هذا الباب ان كل صانع يأتي بنقش لطيف فانه يصونه عن التراب كيلا يكدره وعن الماء كيلا يمحوه وعن الهواء كيلا يزيل طراوته ولطافته وعن النار كيلا تحرقه ثم انه سبحانه وتعالي وضع نقش خلقته على هذه الاشياء فقال انّ مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقال وجعلنا من الماء كل شيء حيّ وقال فى الهواء فنفخنا فيه من روحنا وقال أيضاً واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها وقال ونفخت فيه من روحي وقال في النار وخلق الجانّ من مارج من نار وهذا يدل على أن صنعه بخلاف صنع كل أحد (وخامسها) انظر الى الطفل بعد انفصاله من الأم فانك لو وضعت على فمه وأنفه ثوبا يقطع نفسه لمات فى الحال ثم انه بقي في الرحم الضيق مدة مديدة مع تعذر النفس هناك ولم يمت ثم انه بعد الانفصال يكون من أضعف الاشياء وأبعدها عن الفهم بحيث لا يميز بين الماء والنار وبين المؤذي والملذوبين الام وبين غيرها ثم ان الانسان وان كان فى أول أمره من أبعد الاشياء عن الفهم فانه بعد استكماله اكمل الحيوانات فى الفهم والعقل والادراك ليعلم ان ذلك من عطية القادر الحكيم فانه لو كان الامر بالطبع لكان كل من كان أذكى في أول الخلقة كان اكثر فهما وقت الاستكمال فلما لم يكن الامر كذلك بل كان على الضد منه علمنا ان كل ذلك من عطية الله الخالق الحكيم وسادسها اختلاف الألسنة واختلاف طبائعهم واختلاف أمزجتهم من أقوي الدلائل ونرى الحيوانات البرية والجبلية شديدة المشابهة بعضها البعض ونرى الناس مختلفين جداً في الصورة ولو ذلك لاختلت

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المعيشة ولا اشتبه كل أحد بأحدفما كان يتميز البعض عن البعض وفيه فساد المعيشة واستقصاء الكلام في هذا النوع لا مطمع فيه لانه بحر لا ساحل له وقال تعالي في سورة آل عمران (هو) أى الله (الذي يصوّركم في الأرحام) كلمة في متعلقة بيصوركم أو بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول أى يصوركم وأنتم في الارحام مضغ (كيف يشاء) كيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية إما من فاعل يصوركم أى يصوركم كائنا على مشيئته تعالي أى مريداً أو من مفعوله أى يصوركم كائنين على مشيئته تعالي تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والأنوثة والبياض والسواد والحسن والقبح والتمام والنقص والطول والقصر وغير ذلك من الصفات. قال الامام فخر الدين هو الذى صور في ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب وركبه من أعضاء مختلفة في الشكل والطبع والصفة فبعضها عظام وبعضها غضاريف وبعضها شرايين وبعضها أوردة وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الي بعض على التركيب الاحسن والتأليف الاكمل وذلك يدل على كمال قدرته تعالى حيث قدر أن يخلق من قطرة من النطفة هذه الاعضاء المختلفة في الطبائع والشكل واللون ويدل على كونه عالما من حيث ان الفعل المحكم لا يصدر الا عن العالم * وقال تعالي فى سورة آل عمران أيضاً (قل اللهم) أى يا الله (مالك الملك) أى مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقياً بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع (تؤتى الملك) بيان لبعض وجوه التصرف الذى تستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالي حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المؤذن بثبوت المالكية حقيقة (من تشاء) أي ايتاءه اياه (وتنزع الملك ممن تشاء) أى نزعه منه فالملك الاول حقيقى عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية قال الامام فخر الدين الملك هو القدرة والمالك هو القادر فقوله مالك الملك معناه القادر على القدرة والمعني أن قدرة الخلق على كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالي فهو الذى يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه قال صاحب الكشاف مالك الملك أى يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاّك فيما يملكون *واعلم انه تعالى لما بين كونه مالكا على الاطلاق فصل بعد ذلك وذكر منه أنواعا خمسة النوع الاول قوله تعالى تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وذكروا فيه وجوها الاول المراد منه ملك النبوة والرسالة كما قال تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما والنبوّة أعظم مراتب الملك لان العلماء لهم أمر عظيم على بواطن الخلق والجبابرة لهم أمر عظيم على ظواهر الخلق والانبياء أمرهم نافذ فى البواطن والظواهر فأما على البواطن فلانه يجب على كل أحد أن يقبل دينهم وشريعتهم وان يعتقد انه هو الحق واما على الظواهر فلانهم لو تمردوا واستكبروا لاستوجبوا القتل والهلاك ومما يؤكد هذا التأويل أنّ بعضهم كان يستبعد أن يجعل الله تعالي بشرا رسولا فحكى الله عنهم قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقال الله تعالي ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقوم آخرون جوّزوا من الله تعالى أن يرسل رسولا من البشر الا أنهم كانوا يقولون ان محمدا فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم على ما حكى الله عنهم انهم قالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأما اليهود فكانوا يقولون النبوّة كانت فى آبائنا واسلافنا وأما قريش فهم ما كانوا أهل النبوة والكتاب فكيف يليق النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأما المنافقون فكانوا يحسدونه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على النبوة على ما حكى الله ذلك عنهم في قوله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وأيضاً فان اليهود تكبروا على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وسلاحهم وشدتهم ثم انه تعالي رد على جميع هؤلاء الطوائف بان بين انه سبحانه هو مالك الملك فيؤتي ملكه من يشاء فقال تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وليس المعنى على هذا الوجه انه قد يعزل عن النبوة من جعله نبيا فان من المعلوم أن ذلك لا يجوز فالمراد أحد وجهين الاول أنّ الله تعالى اذا جعل النبوة في نسل رجل فاذا أخرجها الله من نسله وشرف بها انسانا آخر من غير ذلك النسل صح أن يقال انه تعالي نزعها منهم واليهود كانوا معتقدين أن النبوة لا بد وأن تكون في بني اسرائيل فلما شرف الله تعالى محمدا صلي الله عليه وسلم بها صح أن يقال انه ينزع ملك النبوة من بني اسرائيل الي العرب الثاني أن يكون المراد من قوله وتنزع الملك ممن تشاء أى تحرمهم ولا تعطيهم هذا الملك لا على معني ان يسلبه ذلك بعد أن أعطاه ونظيره قوله تعالي مخبرا عن شعيب قد افترينا علي الله كذبا ان عدنا في ملتكم مع انه ما كان فيها قط * الثاني أن يكون المراد من الملك ما يسمي ملكا في العرف وهو عبارة عن مجموع أشياء أحدها تكثير المال والجاه * أما تكثير المال فيدخل فيه ملك الصامت والناطق والدور والضياع والحرث والنسل * وأما تكثير الجاه فهو أن يكون مهيبا عند الناس مقبول القول مطاعا في الخلق والثاني ان يكون بحيث يجب علي غيره أن يكون في طاعته وتحت أمره ونهيه والثالث ان يكون بحيث لو نازعه في ملكه أحد قدر علي قهر ذلك المنازع وعلى غلبته ومعلوم أن كل ذلك لا يحصل الا من الله تعالى * أما تكثير المال فقد نري جمعا في غاية الكياسة لا يحصل لهم مع الكد الشديد والعناء العظيم قليل من المال ونرى الابله الغافل قد يحصل له من الاموال ما لا يعلم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما الجاه فالامر أظهر فان كثيرا من الملوك بذلوا الاموال العظيمة لاجل الجاه وكانوا كل يوم اكثر حقارة ومهانه فى أعين الرعيـة وقد يكون على العكس من ذلك وهو ان يكون الانسان معظما في العقائد مهيبا في القلوب ينقاد له الصغير والكبير ويتواضع له القاصي والداني * وأما القسم الثانى وهو كونه واجب الطاعة فمعلوم أن هـذا تشريف يشرف الله تعالى به بعض عباده * وأما القسم الثالث وهو حصول النصرة والظفر فمعلوم أن ذلك مما لا يحصل الا من الله تعالى فكم رأينا فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وعند هذا يظهر بالبرهان العقلي صحة ماذكره الله تعالي من قوله تؤتي الملك من تشاء * واعلم أن حصول الملك لانسان اما أن يقال انه وقع لا عن فاعل أو انما حصل بفعل ذلك المتغلب أو انما حصل بالاسباب الربانيـة والاول نفي للصانع والثاني باطل لان كل أحد يريد تحصيل الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له ألبتة فلم يبق الا أن يقال بان الملك انما يحصل بايتاء الله تعالي وهذا الكلام ظاهر ومما يؤكد ذلك أن الرجل قد يكون بحيث تهابه النفوس وتميل اليـه القلوب ويكون النصر قرينا له والظفر جليسا معه فاينما توجه حصل مقصوده وقد يكون على الضد من ذلك ومن تأمـل في كيفية أحوال الملوك اضطر الى العلم بان ذلك ليس الا بتقدير الله تعالى ولذلك قال حكيم الشعراء

لو كان بالحيل الغني لوجـدتني * بأجـلّ أسـباب السماء تعـاني
لكنّ من رزق الحجي حرم الغنى * ضـدّان مفـترقان أيّ تفرق

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

والثالث أن قوله تعـالي تؤتي الملك من تشاء محمول على جميع أنواع الملك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيدخل فيه ملك النبوة وملك العلم وملك العقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك المحبة وملك الاموال وذلك لان اللفظ عام فالتخصيص من غير دليل لا يجوز (وتعزّ من تشاء) أن تعزه في الدنيا أوفي الآخرة أو فيهما بالنصر والتوفيق (وتذل من تشاء) ان تذله في احداهما أو فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة (بيدك الخير) أي بقدرتك الخير كله لا بقدرة أحد من غيرك تتصرف فيه قبضاً وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضى بالذات وأما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئيّ الا وهو متضمن لخير كلي أو لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من أجزية أعماله وأما الخير ففضل محض ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه يا مبتديء النعم قبل استحقاقها أو تخصيص الخير بالذكر لرعاية الادب (انك على كل شيء قدير) تعليل لما سبق وتحقيق له (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) سيأتي بيان معناه في موضعه (وتخرج الحي من الميت) أي تنشيء الحيوانات من موادها أو من النطفة أو الطير من البيضة أو النبات من الارض أو تخرج السنبلة من الحبة أو النخلة من النواة أو يخرج الطيب من الخبيث أو العالم من الجاهل والمؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحى) وهذا عكس الاول (وترزق من تشاء بغير حساب) أي يعطي من يشاء ما يشاء لا يحاسبه على ذلك أحد اذ ليس فوقه ملك يحاسبه بل هو الملك يعطي من يشاء بغير حساب أو ترزق من تشاء رزقا واسعا غير مقدور ولا محدود بل تبسطه له أوعلى سبيل التفضيل من غير استحقاق لأنّ من أعطى على قدر الاستحقاق فقد أعطي بحساب وقال بعض من ذهب الي هذا المعني انك لا ترزق عبادك على مقادير أعمالهم * وقال تعالى فى سورة النساء (يا أيها الناس اتقوا ربكم)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أي عذابه بأن تطيعوه (الذى خلقكم من نفس واحـدة) أي قدّر خلقكم حالا بعد حال على اختلاف صوركم وألوانكم فان خلقه تعالى لهم علي هـذا النمط البـديع من أقوى الدواعي الي الاتقاء من موجبـات نقمته ومن أتم الزواجر عن كفران نعمته وذلك لانه ينبئ عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التى من جملتها عقابهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها وقوله من نفس واحدة أي من أصل واحد وهو آدم * قال الامام فخر الدين واعلم انه ثبت بالدلائل القاطعة انه يمتنع القول بوجود حوادث لا أول لها واذا ثبت هذا ظهر وجوب انتهاء الحوادث الي حادث أول هو أول الحوادث واذا كان كذلك فلا بد من انتهاء الناس الي انسان هو أول الناس واذا كان كذلك فذلك الانسان الاول غير مخلوق من الابوين فيكون مخلوقا لا محالة بقدرة الله تعالى * وقال أيضاً ان خلق الاشخاص الانسانية من الانسان الواحد ادل على كمال القدرة من حيث انه لو كان الامر بالطبيعة والخاصية لـكان المتولد من الانسان الواحد لم يكن الا اشـياء متشاكلة فى الصـفة متشابهة فى الخلقة والطبيعة فلما رأينا في اشخاص من الناس الابيض والاسود والاحمر والاسمر والحسن والقبيح والطويل والقصير دلّ ذلك علي أن مـدبرها وخالقها فاعل مختار لا طبيعة مؤثرة ولا علة موجبة ولما دلت هذه الدقيقة على أن مدبر العالم فاعل مختار قادر علي كل الممكنات عالم بكل المعـلومات فحينئذ يجب الانقيـاد لتكاليفه وأوامره ونواهيـه فكان ارتباط قـوله اتقوا ربكم بقوله خلقكم من نفس واحدة فى غاية الحسن والانتظام (وخلق منها زوجها) معطوف على خلقكم أى وخلق من تلك النفس يعني من بعضها امكم حواء من ضلع من أضلاعه اليسري (وبثّ) أى فرّق ونشر (منهما) من تلك النفس وزوجها (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة ففيه اكتفاء * وقال تعالي في سورة الانعـام (هو الذى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خلقكم من طين المشهور ان المراد منه أنه تعالي خلقهم من آدم وآدم كان مخلوقا من الطين فلهذا السبب قال هو الذي خلقكم من طين * قال الامام فخر الدين وعندي فيه وجه آخر وهو ان الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما يتولدان من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية فان كانت حيوانية كانت الحال في كيفية تولد ذلك الحيوان كالحال في كيفية تولد الانسان فبقي أن تكون نباتية فثبت أن الانسان مخلوق من الاغذية النباتية ولا شك أنها متولدة من الطين * اذا عرفت هذا فنقول هنا الطين قد تولدت النطفة منه بهذا الطريق المذكور ثم تولد من النطفة أنواع الاعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل مثل القلب والدماغ والكبد وانواع الاعضاء البسيطة كالعظام والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها وتولد الصفات المختلفة في المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدّر حكيم ومدبر رحيم وذلك هو المطلوب * وقال تعالى في سورة الانعام أيضا (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو العالي عليهم بقدرته الغالب القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته وهو القاهر والقهار ومعناه المتصرف في أمور عباده لا غيره يفعل بهم ما يشاء الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن فلا يستطيع أحد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معني القاهر في صفة الله تعالي لانه القادر والقاهر الذي لا يعجزه شيء أراده ومعنى فوق عباده هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيأ فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة . وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالي وصف نفسه بقهره اياهم ومن

صفة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صفة كل قاهر شيأ ان يكون مستعليا عليه فمعني الكلام حينئذ والله الغالب عباده المذلل لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهرهاياهم وهم دونه . وقال الامام فخر الدين وتقرير هذا القهر من وجوه * الاول أنه قهار للعدم بالتكوين والايجاد * والثانى انه قهار للوجود بالافناء فانه تعالي هو الذى ينقل من العدم الي الوجود تارة ومن الوجود الي العدم أخرى فلا وجود الا بايجاده ولا عدم الا باعدامه وذلك لان ماعدا الحق سبحانه ممكن بالوجود لذاته والممكن لذاته لا يترجح وجوده على عدمه ولا عدمه على وجوده الا بترجيحه وتكوينه وايجاده وابداعه فيكون فى الحقيقةهو الذى قهر الممكنات تارة في طرف ترجيح الوجود على العدم وتارة فى طرف ترجيح العدم على الوجود * والثالث انه قهار لكل ضد بضده فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار وتمام تقريره فى قوله قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء واذا عرفت منهج الكلام فاعلم انه بحر لا ساحل له لان كل مخلوق فله ضد فالفوق ضده التحت والماضى ضده المستقبل والنور ضده الظلمة والحياة ضدها الموت والقدرة ضدها العجز وتأمل في سائر الاحوال والصفات ا.ف ان حصول التضاد بينها يقضى عليها بالمقهورية والعجز والنقصان وحصول هذه الصفات فى الممكنات يدل على أن لها مدبراً قادراً قاهراً منزها عن الضد والند مقدسا عن الشبه والشكل كما قال وهو القاهر فوق عباده . والرابع أن هذا العالم كثيف سفلى ظلمانى فاسد تفن والروح لطيف علوى نورانى مشرق باق طاهر نظيف فبينهما أشد المنافرة والمباعدة ثم انه سبحانه جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة وجعل كل واحد منهما مستكملا بصاحبه منتفعا بالآخر فبالروح يصان البدن عن العفونة والفساد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والتفرق والبدن يصير آلة للروح فى تحصيل السعادات الأبدية والمعارف الالهية فهذا الاجتماع وهذا الانتفاع ليس الا بقهر الله تعالى كما قال وهو القاهر فوق عباده وأيضا فعند دخول الروح في الجسد أعطى الروح قدرة على فعل الضدين ومكنة من الطرفين الا أنه يمتنع رجحان الفعل على الترك تارة والترك على الفعل أخرى الا عند حصول الداعية الجازمة الخالية عن المعارض فلما لم تحصل تلك الداعية امتنع الفعل والترك فكان اقدام الفاعل على الفعل تارة وعلى الترك أخري بسبب حصول تلك الداعية فى قلبه من الله يجرى مجرى القهر فكان قاهراً لعباده من هذه الجهة واذا تأملت هذه الابواب علمت ان الممكنات والمبدعات والعلويات والسفليات والذوات والصفات كلها مقهورة تحت قهر الله مسخرة تحت تسخير الله تعالى كما قال تعالي وهو القاهر فوق عباده (وهو الحكيم) في أفعاله وتدبيره عباده بمعني أن افعاله تكون محكمة متقنة آمنة من وجوه الخلل والفساد (الخبير) بأحوال عباده وأعمالهم وخفايا أمورهم وما يصلحهم * وقال تعالى فى سورة الانعام أيضاً (قل أرأيتم) أى أخبروني (ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن أصمكم وأعماكم بالكلية (وختم على قلوبكم) بأن غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم أصلا فلا تفقهوا شيأ ولا تعرفوا شيأ مما تعرفون من أمور الدنيا (من اله غير الله يأتيكم به) أي بما أخذه الله منكم والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار أي أخبرونى ان سلب الله عنكم اشراف أعضائكم من أحد غير الله يأتيكم بها ومن المعلوم انه لا يقدر عليه الا الله سبحانه قال الامام فخر الدين اعلم ان المقصود من هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان أشرف أعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب فالاذن محل القوة السامعة والعين محل

القوة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القوّة الباصرة والقلب محل الحياة والعقل والعلم فلو زالت هذه الصفات عن هذه الاعضاء اختلّ نظام الانسان وفسد أمره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا ومن المعلوم بالضرورة أن القادر على تحصيل هذه القوى فيها وصونها عن الآفات والمخافات ليس الا الله واذا كان الامر كذلك كان المنعم بهذه النعم العالية والخيرات الرفيعة هو الله سبحانه وتعالي فوجب أن يقال المستحق للتعظيم والثناء والعبودية ليس الا الله تعالي (انظر كيف نصرف الآيات) أى كيف نكررها ونقررها مصروفة من أسلوب الي أسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير (ثم هم يصدفون) أي يعرضون عنها فلا يؤمنون وثم لاستبعاد صدفهم أى اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها * وقال تعالى في سورة الانعام أيضاً (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) تذكير لنعمة من نعمه تعالي دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته أى أنشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام (فمستقرّ ومستودع) أي فلكم استقرار فى الاصلاب أو فوق الارض واستيداع فى الأرحام أو تحت الارض أو موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب أو فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهما الطبيعى كما ان التعبير عن كونهم في الارحام أو تحت الارض بالاستيداع لما ان كلا منهم ليس بمقرهم الطبيعي قال الامام فخر الدين مقصود الكلام ان الناس انما تولدوا من شخص واحد وهو آدم عليه السلام ثم اختلفوا فى الصفات التى باعتبارها حصل التفاوت في المستقر والمستودع فنقول الاشخاص الانسانية متساوية في الجسمية ومختلفة في الصفات المذكورة والاختلاف فى تلك الصفات لا بد له من سبب ومؤثر وليس السبب هو الجسمية ولوازمها والا لامتنع حصول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التفاوت في الصفات فوجب أن يكون السبب هو الفاعل المختار الحكيم (قد فصلنا الآيات) المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها (لقوم يفقهون) غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل فى أطوار تخليق بنى آدم مما تحار في فهمه الالباب * وقال تعالى فى سورة الرعد (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي الذي تحمله من الولد انه من أيّ الاقسام هو ذكر أم أنثي وتام أو ناقص وحسن أو قبيح وطويل أوقصير وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة فيه أوأي شيء تحمل وعلى أى حال هو من الأحوال المتواترة عليه طوراً فطوراً فما على هذا استفهامية معلقة للعلم أو حملها فهي مصدرية (وما تغيض الارحام) أى تنقصه (وما تزداد) أى تأخذه زيادة تقول أخذت حقى منه وازددت منه كذا : ومنه قوله تعالي وازدادوا تسعا وقد ذكر العلماء فيما تغيضه الرحم وتزداده وجوها * الأول عدد الولد فان الرحم قد يشتمل على واحد واثنين وعلى ثلاثة وأربعة *الثالث مدة ولادته قد تكون تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند الامام أبي حنيفة والي أربعة عندالامام الشافعى والي خمس عند الامام مالك * الرابع الدم فانه تارة يقل وتارة يكثر * الخامس ما ينقص بالسقط من غير أن يتم وما يزداد بالتمام * السادس ما ينقص بظهور دم الحيض وذلك لانه اذا سال الدم فى وقت الحمل ضعف الولد ونقص وبمقدار حصول ذلك النقصان يزداد أيام الحمل لتصير هذه الزيادة جابرة لذلك النقصان قال ابن عباس رضي الله عنهما كلما سال الحيض في وقت الحمل يوماً زاد في مدة الحمل يوما ليحصل به الجبر ويعتدل الامر * السابع ان دم الحيض فضلة تجتمع فى بطن المرأة فاذا امتلأت عروقها من تلك الفضلات فاضت وخرجت وسالت من داخل تلك العروق ثم اذا سالت تلك المواد امتلات تلك العروق مرة أخري هذا كله اذا قلنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ان كلمة ما موصولة أما اذا قلنا انها مصدرية فالمعني انه تعالي يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ولا من أوقاته وأحواله (وكل شيء) من الاشياء (عنده بمقدار) بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فانه تعالي يعلم كمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين ومتي كان الامر كذلك امتنع وقوع التغيير في تلك المعلومات فانه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيئته الأزلية وارادته السرمدية (عالم الغيب) أى الغائب عن الحس (والشهادة) أي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل أريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وقال الامام فخر الدين المعلومات قسمان المعدومات والموجودات والمعدومات منها معدومات يمتنع وجودها ومنها معدومات لا يمتنع وجودها والموجودات أيضاً قسمان موجودات يمتنع عدمها وموجودات لا يمتنع عدمها وكل واحد من هذه الاقسام الاربعة له أحكام وخواص والكل معلوم لله تعالي (الكبير) بحسب القدرة والمقادير الالهية العظيم الشان الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلي على كل شيء بقدرته أو المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع أحوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين انه تعالي عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال (سواء منكم من أسرّ القول) في نفسه (ومن جهر به) أظهره لغيره (ومن هو مستخف) مبالغ في الاخفاء كأنه مختف (بالليل) وطالب للزيادة (وسارب) بارز يراه كل أحد (بالنهار) أي سواء كان الانسان مستخفيا في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الظلمات أوكان ظاهراً في الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل * وقال تعالى في سورة ابراهيم (وان تعدوا نعمت الله) التي أنعم بها عليكم (لاتحصوها) لا تطيقوا حصرها وعدّها ولو اجمالاً لكثرتها وعدم نهايتها * قال الامام فخر الدين واعلم أن الانسان اذا أراد أن يعرف أن الوقوف على أقسام نعم الله ممتنع فعليه أن يتأمل في شيء واحد ليعرف عجز نفسه عنه ونحن نذكر منه مثالين (المثال الاول) ان الاطباء ذكروا ان الاعصاب قسمان منها دماغية ومنها نخاعية أما الدماغية فانها سبعة ثم أتعبوا أنفسهم في معرفة الحكم الناشئة من كل واحد من تلك الارواح السبعة ثم مما لا شك فيه ان كل واحد من الارواح السبعة تنقسم الي شعب كثيرة وكل واحد من تلك الشعب أيضا الي شعب دقيقة أدق من الشعر ولكل واحد منها ممر الي الاعضاء ولو أن شعبة واحدة اختلت اما بسبب الكمية أو بسبب الكيفية أو بسبب الوضع لاختلت مصالح البنية ثم ان تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جدا ولكل واحدة منها حكمة مخصوصة فاذا نظر الانسان في هذا المعنى عرف أن لله تعالي بحسب كل شظية من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة عظيمة لو فاتت لعظم الضرر عليه وعرف قطعا انه لا سبيل له الى الوقوف عليها والاطلاع على أحوالها وعند هذا يقطع بصحة قوله تعالى وان تعدّوا نعمت الله لا تحصوها وكما اعتبرت هذا في الشظايا العصبية فاعتبر مثله في الشرايين والاوردة وفي كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة بحسب الكمية والكيفية والوضع والفعل والانفعال حتى ترى أقسام هذا الباب بحرا لا ساحل له واذا اعتبرت هذا في بدن الانسان الواحد فاعرف أقسام نعم الله تعالي في نفسه وروحه فان عجائب عالم الارواح اكثر من عجائب عالم الاجساد ثم لما اعتبرت حالة الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر أحوال عالم الافلاك

والكواكب

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والكواكب والعناصر وعجائب البر والبحر والنبات والحيوان وعند هذا تعرف أن عقول جميع الخلائق لو ركبت وجعلت عقلا واحدا ثم بذلك العقل يتأمل الانسان فى عجائب حكمة الله تعالي فى أقل الاشياء لما أدرك منها الا القليل فسبحانه تقدس عن أوهام المتوهمين (المثال الثانى) انك اذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها أما الامور التي قبلها فاعرف أن تلك اللقمة من الخبز لا تتم ولا تكمل الا اذا كان هذا العالم بكليته قائما على الوجه الاصوب لان الحنطة لا بد منها وأنها لا تنبت الا بعد حصول الفصول الاربعة وتركيب العناصر وظهور الرياح والامطار ولا يحصل شيء منها الا بعد دوران الافلاك والكواكب على وجوه مخصوصة في كيفياتها فى الجهة والسرعة والبطء ثم بعد ان تكون الحنطة لا بد من آلات الطحن والخبز وهي لا تحصل الا عند تولد الحديد في أرحام الجبال ثم ان الآلات الحديدية لا يمكن اصلاحها الا بآلات أخرى حديدية سابقة عليها ولا بد من انتهائها الى آلة حديدية هى أول هذه الآلات فتأمل أنها كيف تكونت وكيف اهتدي العقل الي وضعها على الاشكال المخصوصة ثم اذا حصلت تلك الآلات فانظر انه لا بد من اجتماع العناصر الاربعة وهي الارض والماء والهواء والنار حتى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق فهذا هو النظر فيما تقدم على حصول هذه اللقمة * وأما النظر فيما بعد حصولها فتأمل فى تركيب بدن الحيوان وهو انه تعالي كيف خلق هذه الابدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة وأنه كيف يتضرر الحيوان بالاكل وفي أي الاعضاء تحدث تلك المضار ولا يمكنك ان تعرف القليل من هذه الاشياء الا بمعرفة علم التشريح وعلم الطب بالكلية فظهر بما ذكرنا ان الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته الا بمعرفة جملة هذه الامور والعقول قاصرة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن ادراك ذرة من هذه المباحث فظهر بهذا البرهان القاهر صحة قوله تعالي وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها *قال العلامة أبو السعود وأصل الاحصاء أن الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها فقيه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من أفراد الناس *وان كان فى أقصي مراتب الفقر والافلاس ممنوا بأصناف العنايا * مبتلي بأنواع الرزايا * فهو بحيث لو تاملته ألفيته متقلبا في نعم لا تحد * ومنن لا تحصى ولا تعد * كانه قد أعطى كل ساعة وأوان * من النعماء ما حواه حيطة الامكان * وان كنت في ريب من ذلك فقد رانه ملك ملك أقطار العالم * ودانت له كافة الامم * وأذعنت لطاعته السراه * وخضعت لهيبته رقاب العتاه * وفاز بكل مرام ونال كل منال * وحاز جميع ما في الدنيا من أصناف الاموال * من غير ند يزاحمه * ولا شريك يساهمه * بل قد رانه ملك جميع ما فيها من حجر ومدر * ويواقيت غالية ونفائس درر ثم قد رانه قد وقع من فقد مشروب أو مطعوم . فى حالة بلغت نفسه الحلقوم * فهل يشترى وهو في تلك الحال *بجميع ماله من الملك والمال* لقمة تنجيه عن رداه *أو شربة ترويه من ظماه * أم يختار الهلاك *فتذهب الاموال والاملاك * بغير بدل يبقي عليه * ولا نفع يعود اليه * كلا بل يبذل لذلك كل ماتحويه اليدان * كائنا ما كان * وليس في صفقته شائبة خسران * فاذن تلك اللقمة والشربة * خير مما في الدنيا بألف رتبة * مع انهما في طرف الثمام * ينالهما متي شاء من الليالي والايام * أو قدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج * ولا خرج منه ماولج * والحين قد حان * وأتاه الموت من كل مكان * أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد * بل يعطيه وهو لرأيه حامد * فاذن هو خير من أموال الدنيا

بجملتها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بجملتها * ومطالبها برمتها * مع انه قد أبيح له كل آن من آنات الليالي والايام * حال اليقظة والمنام * هذا من الظهور والجلاء * بحيث لا يكاد يخفي على أحد من العقلاء * وان رمت العثور على حقيقة الحق * والوقوف على ما جلّ من السرورق * فاعلم أن الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة * والملكات الرائقة * بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار * ولا اطمأنت به الدار * الا في مطمورة العدم والبوار * ومهاوى الهلاك والدمار * لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس * تعالي شأنه وتقدس * في كل زمان يمضى * وكل آن يمرّ وينقضي * من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته * ووجوده وسائر صفاته * سواء كانت روحانية أو نفسانية * أو حسية أو جسمانية * مما لا يحيط به نطاق التعبير * ولا يعلمه الاّ العليم الخبير * وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدئ الاول عزّ وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي * وانت خبير بان ما يتوقف وجوده من الامور الوجودية التى هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهى ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التى لما دخل فى وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في أن يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى أعنى بقاءها على العدم مع امكان وجودها في انفسها فى كل آن من آنات وجوده نعم متناهية حقيقة لا ادعاء وكذلك الحال فى وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه في كل آن نعما لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك * ما أعظم سلطانك * لا تلاحظك العيون بانظارها * ولا تطالعك العقول بأفكارها * شأنك لا يضاهي * واحسانك لا يتناهي * ونحن فى معرفتك حائرون * وفى اقامة مراسم شكرك قاصرون * نسألك الهداية الي مناهج معرفتك * والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصى ثناء عليك * لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها أو بوضعها فى غير موضعها أو يظلم نفسه بتعريضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام فى الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفر أن بعض من وجدا فيه من افراده * وقال تعالى في سورة النحل (خلق الانسان) أي هذا النوع غير الفرد الاول منه (من نطفة) جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا (فاذا هو) بعد الخلق (خصيم) منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم (مبين) مظهر للحجة بعد أن كان نطفة قذرة وجمادا لا حس له ولا حركة والمقصود منه أن الانتقال من تلك الحالة الخسيسة الي هذه الحالة العالية الشريفة لا يحصل الا بتدبير مدبر حكيم عليم وتقريره أن النفوس الانسانية في أول الفطرة أقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس سائر الحيوانات الاتري أن ولد الدجاجة كما يخرج من قشر البيضة يميز بين العدو والصديق فيهرب من الهرة ويلتجئ الى الأم ويميز بين الغذاء الذى يوافقه والغذاء الذى لا يوافقه وأما ولد الانسان فانه حال انفصاله عن بطن الام لا يميز ألبتة بين العدو والصديق ولا بين الضار والنافع فظهر أن الانسان في أول الحدوث انقص حالا وأقل فطنة من سائر الحيوانات ثم ان الانسان بعد كبره يقوى عقله ويعظم فهمه ويصير بحيث

يقوي

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقوي على مساحة السموات والارض ويقوي على معرفة ذات الله وصفاته وعلى معرفة أصناف المخلوقات من الارواح والاجسام والفلكيات والعنصريات ويقوي على ايراد الشبهات والخصومات الشديدة في كل المطالب فانتقال نفس الانسان من تلك البلادة المفرطة الي هذه الكياسة المفرطة لا بد وأن يكون بتدبير آله مختار حكيم ينقل الارواح من نقصانها الى كمالاتها ومن جهالاتها الي معارفها بحسب الحكمة والاختيار فهذا هو المراد من قوله تعالي خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين * وقيل المراد فاذا هو مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم والغرض منه وصف الانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي فى كفران النعمة *وقال تعالي فى سورة النحل أيضاً (والله خلقكم) أى أوجدكم من العدم وأخرجكم الي الوجود ولم تكونوا شيأ (ثم يتوفاكم) حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة أطفالا وشبابا وشيوخا (ومنكم من يردّ) قبل توفيه أي يعاد (الى أرذل العمر) أى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو تسعون أو خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بأن بلوغه والوصول اليه رجوع فى الحقيقة الى الضعف بعد القوّة كقوله تعالي ومن نعمره ننكسه فى الخلق ولاعمر أسوأ حالاً من عمر الهرم الذى يشبه الطفل فى نقصان العقل والقوّة (لكيلا يعلم بعد علم) كثير (شيأ) من العلم أومن المعلومات أو لكيلا يعلم شيأ بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيأ (ان الله عليم) بمقادير أعماركم (قدير) على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضي الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ * واعلم ان العقلاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ضبطوا سن الانسان في أربع مراتب أولها سن النشو والنماء وهو من أول العمر الي بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية بلوغ الاشد * وثانيها سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الي أربعين سنة وهو غاية سن الشباب والقوّة وكمال العقل * وثالثها سن الكهولة وهو من الاربعين الي ستين سنة وهو في هذه المدّة يشرع في النقص لكنه يكون نقصا خفيفاً لا يظهر * ورابعها سن الشيخوخة من الستين الي آخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف فاحتج تعالي بانتقال الحيوان من بعض هذه المراتب الي بعض على ان ذلك الناقل هو الله تعالي * والأطباء الطبائعيون قالوا المقتضي لهذا الانتقال هو طبيعة الانسان * وبيان ذلك على ماذكره المتقدمون منهم هو أنهم قالوا اذا تم تكون الجنين في رحم الأم فعند ذلك ينفصل ومع ذلك فالرطوبات زائدة والدليل على ذلك انك تري أعضاء الطفل بعد انفصاله من الام لينة لطيفة وعظامه لينة قريبة الطبع من الغضاريف ثم ان مافي البدن من الحرارة يعمل في تلك الرطوبات ويقللها قالوا ويحصل للبدن ثلاثة أحوال * الحالة الاولى أن تكون رطوبة البدن زائدة على حرارته وحينئذ تكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وذلك هو سن النشو والنماء * الحالة الثانية أن تصير رطوبات البدن أقل مما كانت فتكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا أنها لا تكون زائدة على هذا القدر وهذا هو سن الوقوف وسنّ الشباب * الحالة الثالثة أن تقل الرطوبات وتصير بحيث لا تكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية وعند ذلك يظهر النقصان ثم هذا النقصان قد يكون خفياً وهو سن الكهولة وقد يكون ظاهراً وهو سن الشيخوخة وتمامه الى مائة وعشرين سنة * هذا ماقالوه * فنقول ان الحرارة الغريزية الحاصلة في بدن الانسان الكاملة اما أن تكون هي عين ما كان حاصلا في حال الصغر أو صارت أزيد مما كانت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل فى حال الصغر كان بمقدار جرم البدن ولا شك ان جرم البدن كان قليلا صغيراً فهذا البدن بعد كبره لو لم يحصل فيه من الحرارة الغريزية الا ذلك القدر كان فى غاية القلة ولم يظهر منه فى هذا البدن أثر أصلا * وأما الثانى ففيه تسليم أن الحرارة الغريزية تتزايد بحسب تزايد الجثة والبدن واذا تزايدت الحرارة الغريزية ساعة فساعة وثبت ان تزايدها يوجب تزايد القوّة والصحة ساعة فساعة فوجب أن يبقي البدن الحيواني أبدا فى التزايد والتكامل وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا ان ازدياد حال البدن الحيواني وانقاصه ليس بحسب الطبيعة بل بسبب تدبير الفاعل المختار * وأيضاً هب أن الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب أن تصير أقل مما كانت وأن ينتقل الانسان من سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر فى تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية حتي صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحالة ضعفت الحرارة الغريزية أيضاً لان الرطوبة الغريزية كالغذاء للحرارة الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فالحاصل أن الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها توجب ضعف الحرارة الغريزية ويلزم من ضعف احداهما ضعف الاخري الى أن تنتهى الي حيث لا يبقي من الرطوبة الغريزية شيء وحينئذ تنطفى الحرارة الغريزية ويحصل الموت هذا منتهى ما قالوه في هذا الباب فنقول ان الحرارة الغريزية اذا أثرت فى تجفيف الرطوبة الغريزية وقلتها فلم لا يجوز أن يقال ان القوة الغاذية تورد بدلها فعند هذا قالوا الغاذية انما تقوي على ايراد بدلها لو كانت الحرارة الغريزية قوية فاما عند ضعفها فلا فنقول فههنا لزم الدور لان الرطوبة الغريزية انما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تقل وتنقص لو لم تكن القوة الغاذية وافية بايراد بدلها وانما تعجز القوة الغاذية عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وانما تكون الحرارة الغريزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة الغريزية وانما تحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن إيراد البدل فثبت ان على القول الذي قالوه يلزم الدور وأنه باطل فثبت أن تعليل انتقال الانسان من سن الي سن بماذكروه من اعتبار الطبائع يوجب عليهم هذه المحالات المذكورة فكان القول به باطلا * ولما بطل هذا القول وجب القطع باسناد هذه الاحوال الى الآله القادر المختار الحكيم الرحيم الذى يدبر أبدان الحيوانات على الوجه الموافق لمصالحها وذلك هو المطلوب * اذا عرفت هذا فقد صح بالدليل العقلي صدق قوله تعالي والله خلقكم ثم يتوفاكم لانا اثبتنا فى هذا المبحث أن خالق أبدان الناس وسائر الحيوانات ليس هو الطبائع بل هو الله سبحانه وتعالى وقد بينا فى هذا المطلب أن السبب الذى ذكروه في ضرورة الموت فاسد باطل وانه يلزم عليه القول بالدور ولما بطل ذلك ثبت ان الحياة والموت انما حصلا بتخليق الله وبتقديره * وقوله ومنكم من يرد الي ارذل العمر قد بينا بالدليل أن الطبائع لا يجوز ان تكون علة لانتقال الانسان من الكمال الى النقصان ومن القوة الي الضعف فلزم القطع بان انتقال الانسان من الشباب الي الشيخوخة ومن الصحة الي الهرم ومن العقل الكامل الي أن صار خرفا غافلا ليس بمقتضى الطبيعة بل بفعل الفاعل المختار واذا ثبت ما ذكرنا ظهر أن الذى دل عليه لفظ القرآن * قد ثبت صحته بقاطع البرهان * وقوله تعالى ان الله عليم قدير كالاصل الذي عليه تفريع كل ما ذكرناه وذلك لان الطبيعة جاهلة لا تميز بين وقت المصلحة ووقت المفسدة فهذه الانفعالات فى هذا الانسان لا يمكن اسنادها اليها * أما إله العالم ومدبر دو خالقه فهو الكامل في العلم الكامل في القدرة

فلاجل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فلاجل كمال علمه يعلم مقادير المصالح والمفاسد ولاجل كمال قدرته يقدر على تحصيل المصالح ودفع المفاسد فلا جرم أمكن اسناد تخليق الحيوانات الى اله العالم فلا يمكن اسناده الى الطبائع * قال الامام فخر الدين وقد كنت أقرأ يوما من الايام سورة والمرسلات فلما وصلت الى قوله تعالي ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون وبل يومئذ للمكذبين فقلت لا شك أن المراد بهؤلاء المكذبين هم الذين نسبوا تكوّن الابدان الحيوانية الي الطبائع وتأثير الحرارة فى الرطوبة وأنا أومن من صميم قلبي يارب العزة بان هذه التدبيرات ليست من الطبائع بل من خالق العالم الذى هو أحكم الحاكمين واكرم الاكرمين (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه أفضل مما أعطى مماليككم وجعل منكم الغنى والفقير كل ذلك بتقدير العزيز الحكيم فيجعل الضعيف العاجز الجاهل أغنى من القوي المحتال العالم * قال الامام فخر الدين اعلم ان هذا اعتبار حال أخري من أحوال الانسان وذلك أنا نرى اكيس الناس واكثرهم عقلا وفهماً يفنى عمره في طلب القدر القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك ونرى أجهل الخلق وأقلهم عقلا وفهماً تنفتح عليه أبواب الدنيا وكل شيء خطر بباله ودار في خياله فانه يحصل له فى الحال ولو كان السبب جهد الانسان وعقله لوجب أن يكون الاعقل أفضل في هذه الاحوال فلما رأينا الاعقل أقل نصيبا وأن الاجهل الاخس أوفر نصيبا علمنا أن ذلك بسبب قسمة القسام كما قال تعالى أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة فى الدنيا الي أن قال ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية وقال الامام الشافعي رحمه الله ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واعلم أن هذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والعقل والحمق والصحة والسقم والاسم الحسن والاسم القبيح وهذا بحر لا ساحل له اه واعلم أن العاقل اذا تجنب طرق الحرام ولم يركن الى مخلوق فتح له تعالي أبواب رزقه الحلال ويسر له الاسباب كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه * واعتبر بقوله تعالى حكاية عن يوسف الصديق وقال للذى ظنّ انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ثم تداركه الله بلطفه وأنجز له ما وعد به عباده الصالحين بقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون كما قال تعالي وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوء منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ثم قرر تعالي ما سبق من ان السعادة والنحوسة لا يحصلان الا من الله تعالى فقال (فما الذين فضلوا) أى فى الرزق على غيرهم (برادي رزقهم) الذي رزقهم اياه (على ما ملكت أيمانهم) على مماليكهم الذين هم شركاؤهم فى المخلوقية والمرزوقية (فهم) أي الملاّك والمماليك (فيه) أي في الرزق (سواء) أي ان الملاك والمماليك أنا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الملاك انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق وانما ذلك رزق أجريته اليهم على أيديهم وحاصل القول فيه ان المقصود منه بيان أن الرازق هو الله تعالي وان المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمالك والمملوك هو الله تعالي ويدخل فى ذلك الامير والمأمور والخادم والمخدوم على اختلاف الدرجات * وتحقيق القول انه ربما كان الاقل درجة في الدنيا اكمل عقلا وأقوي جسما واكثر وقوفا على المصالح والمفاسد من الذى

هو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هو فوقه فى الدنيا وذلك يدل على ان ذلة ذلك وعزة هـذا من الله كما قال تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء (أفبنعمت الله يجحدون) حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله كأهل الطبائع وأهل النجوم فانهم يضيفون اكثر هذه النعم الي الطبائع والي النجوم وذلك يوجب كونهم جاحدين لكونها من الله تعالي * وقال الزجاج المراد انه تعالى لما قرر هذه الدلائل وبينها وأظهرها بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه على الخلق فعند هذا قال أفبنعمت الله في تقريره هـذه البيانات وايضاح هـذه البينات يجحدون أي حيث أنكروا أمثال هذه الحجج البالغة بعد ما أنعم الله بها عليهـم (والله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) لتستأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم * قال الامام فخر الدين اعلم أن هذا نوع آخر من أحوال الناس ذكره الله تعالى للاستدلال به على وجود الاله المختار الحكيم وليكون ذلك تنبيها على انعام الله تعالي على عبيده بمثل هـذه النعم فقوله جعـل لكم من أنفسكم أزواجا خطاب مع الكل فتخصيصه بآدم وحواء خـلاف الدليل بل هذا الحكم عام فى جميع الذكور والاناث والمعـني انه تعالي خلق النساء ليتزوج بهن الذكور ونظير هـذه الآية قوله تعالي ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا * قال متقدموا الاطباء وأهـل الطبيعة التفاوت بين الذكر والانثي انما كان لاجل ان كل من كان أسخن مزاجا فهو الذكر وكل من كان اكثر بردا ورطوبة فهو المرأة ثم قالوا المنى اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما فى الذكورة وان انصب الي الخصية اليسري من الرجل ثم انصب منها الي الجانب الايسر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من الرحم كان الولد ذكرا في طبيعة الاناث وان انصب الى الخصية اليسري من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد أنثي في طبيعة الذكور * واعلم ان حاصل هذا الكلام ان الذكورة علتها الحرارة واليبوسة والانوثة علتها البرودة والرطوبة وهذه العلة فى غاية الضعف فكم فى النساء من مزاجه فى غاية السخونة وفي الرجال من مزاجه فى غاية البرودة ولو كان الموجب للذكورة والأنوثة ذلك لامتنع ذلك فثبت أن خالق الذكر والانثي هو الاله القدير الحكيم وظهر بالدليل الذي ذكرنا صحة قوله تعالي والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذى يسرع فى الخدمة والطاعة أي جعل لكم خدما يسرعون فى خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم أولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن البيوت أتمّ خدمة وقيل هم الأختان وقيل هم الاصهار والاولي دخول الكل فيه لما بينا ان اللفظ محتمل للكل بحسب المعني المشترك الذى ذكرناه * ولما ذكر تعالى انعامه على عبيده بالمنكوح وما فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالمطعومات الطيبة فقال تعالي (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ أو من الحلالات سواء كانت من النبات وهي الثمار والحبوب والاشربة أو كانت من الحيوان (أفبالباطل يؤمنون) وهو أن الطبائع والنجوم لها تأثير في ايجاد شيء من الكائنات (وبنعمت الله) تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان (هم يكفرون) أى بأن يضيفوها الى الطبائع والنجوم ويتركوا اضافتها الى الله تعالى * وقال تعالى فى سورة النحل أيضاً (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) حال كونكم عند الاخراج (لا تعلمون شيأ) أى غير عالمين شيأ أصلا (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) عطف على أخرجكم

وليس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج أي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة وهذا من النعم العظيمة التى امتاز بها الانسان على سائر الحيوان فهو يحس بمشاعره جزئيات الاشياء ويدركها بفؤاده ويتنبه لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل له علوم بديهية يتمكن بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر (لعلكم تشكرون) كى تعرفوا ما أنعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه باستعمال هذه الآلات فيما خلقت لأجله من النظر الى آيات الله والاستدلال بها على وجوده ووحدته وعلمه وقدرته * قال صاحب الفلسفة الحقة عند كلامه على حاسة السمع مركز هذه الحاسة الاذن التى قسمها العلماء الي ثلاثة أقسام أولها الاذن الظاهرة وثانيها الاذن المتوسطة وثالثها الاذن الباطنة فالاذن الظاهرة تتكوّن من جزءين أيضاً وهما الصيوان والقناة السمعية فالصيوان هو القطعة اللحمية الظاهرة على جانبي الصدغين والقناة هى الانبوبة التي تليه * والاذن المتوسطة هي عبارة عن الطبلة أي صندوق متصل ببوق يسمى بوق استاكيوس لغاية البلعوم ليوصل أجزاء الاذن بالهواء الظاهرى وينفصل هذا الصندوق عن الاذن الظاهرة بغشاء رقيق يسمي غشاء الطبلة يرن من أي صوت ويوجد فى الطبلة فتحتان مغشاتان بغشاء احداهما تسمي الكوّة المستديرة والأخرى تسمي الكوّة البيضاوية وتتصل هذه الاخيرة بسلسلة مكوّنة من جملة عظيمات لغاية غشاء الطبلة * وأما الاذن الباطنة فتتكوّن من قناة تسمى بالدهليز موضوعة فى الوسط ويتصل بها قنوات شكلها هلالية وذلك من الاسفل ويتصل بقناة على شكل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الجعلان من أعلى والدهليز والثلاث قنوات الهلالية تحتوى على سائل أما الانبوبة التى هي على هيئة الجعلان فهى مملوءة بسائل آخر وفى الاذن الباطنة تتوزع الأعصاب ولاجل معرفة كيفية السمع على مقتضى مذهب المتأخرين من الفلاسفة قد ذكر صاحب الفلسفة الحقة تمهيداً بسيطاً فقال ان الصوت هو نتيجة حركة اهتزازية فى الاجسام فلو ضربنا كوبة بقلم نجدها ترن ولو وضعنا أصبعنا أثناء ذلك الرنين لوجدنا ان جزئيات الكوبة فى حالة اهتزاز وبمجرد لمسنا لها يقف ذلك الاهتزاز ويبطل تبعا له الرنين * فاذا رنّ جسم في الهواء تذبذبت جزئيات الاول وتنتقل الي ذرات الاخير عين الذبذبات التي حصلت فى الجسم فتظل تنتقل من ذرة الى ذرة فى الهواء الي أن تصل الي الهواء المحيط بالاذن فى الصيوان ومنه ينتقل الي هواء القناة وهناك يشتد ارتفاع الصوت لان الانسان اذا تكلم داخل قناة من صفيح مثلا مثلما يتكلم في الهواء المطلق لوجد أن صوته فى تلك القناة شديد الارتفاع ولم ينتج ذلك الاّ من كون ذبذبة ذرة الهواء بالصوت حاصلة في وسط محصور وقد جعلت في أذن الانسان تلك القناة كي ترفع الصوت ليحسن سمعه وحيث ان تلك القناة تنتهي بغشاء الطبلة فتذبذب هذه أيضاً عين الذبذبات الحاصلة في الهواء ولكن هذا الغشاء يمكن أن يتوتر أو يرتخى بواسطة العظيمات السمعية الساترة له من الخلف وذلك بواسطة عضلات مخصوصة لذلك وهذا بحسب حدة الصوت فان كان حادا تمدد الغشاء بواسطة هذه العظيمات والعضلات لتحصل الاهتزازات فيه متناسبة وبقدر معلوم وان لم يكن الصوت حادا أرخت الغشاء لتلك الغاية أيضاً ولما يهتز هذا الغشاء تنتقل الذبذبات الى هواء الطبلة بواسطة الكوتين البيضاوية والمستديرة اللتين فيهما العصب السمعي فينقل الاحساس الي المخ هذا ما ذكره صاحب الفلسفة الحقة بناء على ما قرروه * ولا يخفى ان ما ذكروه

هو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هو مجرد توهم وتقدير لفهم كيفية حدوث السمع وعلى فرض حصوله فحدوث الصوت وسماعه انما هو بخلق الله تعالي فان الانسان يسمع الصوت من مسافة بعيدة مع وجود أجسام حائلة كثيرة فاهتزاز تلك الاجسام كلها وما يتخللها من الهواء لا يمكن حصوله بمجرد قوة الانسان ونحوه عند مسه لجسم بعنف * قال صاحب الفلسفة الحقة لعمر الفكر والعقل ان من يتدبر فى تركيب هذه الاذن التي قد يضرب الانسان عليها لا بد أن يبهر من جمالها وكمالها ويتحقق أن الحكمة التي تركبت عليها بالغة نهاية الكمال * ألا تنظر الى وضع القناة لجعل الصوت شديداً * ثم غشاء الطبلة الذى يمكن أن يرتخى أو يتمدد بحسب اللزوم وبطريقة في غاية الدقة والاعتناء * وانظر الي العظيمات السمعية وحكمة وجودها تجدها بالغة للغاية فان التجارب دلت أن الاجسام الصلبة توصل الصوت اكثر من الهواء عشر مرات ثم تفكر في السوائل التى داخل الاذن تجدها لتلك الغاية أيضا لان السوائل توصل الاصوات اكثر من الهواء أربع مرات تقريبا * وكم غير هذا في جسم الانسان من البدائع والغرائب ما توقف العقل مبهوتا والفكر تائها اه قال صاحب النزهة البهجة وكيفية الاسماع أن الثقب الحاصل في العظم الحجري (بتعويج ينتهى الي الدماغ قيل والي القلب) مملوء بالهواء الواقف لاستحالة الخلاء فاذا تكيف الهواء الخارج بصوت أو حرف دخل فقرع الواقف فحصل السمع بالانضغاط بين قارع ومقروع قال كذا قرر من غير خلاف بينهم ولكني أقول ان تكيف الهواء متشكلا بالحروف اما أن لا يفارق اذا بعدت المسافة فيكون اكثف من الماء لبقاء الرسوم فيه زمنا بعد انقطاع الاصوات بخلاف الماء أو يفارق فيلزم أن لا نسمع الا بهواء أقرب من غضروف الاذن جدا وكلا اللازمين باطل للاجماع والحس فيشكل ما قالوه وأيضاً اذا كان الاسماع بالتكيف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

المذكور فيلزم محو أشكال الحروف من الهواء الداخل من جدار محكم الصنعة والحال ليس كذلك وأجاب فى الملخص عن هـذا بأن الجدار لا يمحو رسم الهواء للطفه وتخلخل الجدار وهذا الردّ مردود بالسماع من حائل لا خاخلة فيه كالشمع والذهب اه واعلم أن المتقدمين والمتأخرين قد عجزوا عن ادراك كيفية ادراك المخ للمحسوسات فالحق بعد ذلك كله أن الصوت عرض يخلقه الله تعالي ويوصله الى السمع بقدرته وادراك الانسان له انما هو بخلق الله تعالي أيضاً قال صاحب الفلسفة الحقة أما حاسة البصر فيلزمنا قبل أن نتكلم عليها تقديم تمهيد موجز وهو * اخترع الانسان جهازاً سماه بالخزانة المظلمة كانت تستعمل قديما فى فن الرسم وأما الآن فهي مستعملة فى الفتوغرافيا وهي تتكون من صندوق من الجلد فيه ثنيات كثنيات المنفاخ ليمكن تقصيره أو تطويله بالارادة وفى الجهة الأمامية من هـذا الصندوق توجد أنبوبة من المعدن مسدودة بعدسة من البلور وهذه العدسة عبارة عن زجاجة مستديرة محدبة الوجهين ومنتهية فى محيطها بحدّ رقيق وخاصيتها انه اذا سقطت عليها أشعة موازية لمحورها يتكون لها نقطة مضيئة فى الوجه الآخر موضوعة وضعا لا يتغير أبدا ترى بوضوح اذا أمررنا حجابا بالتوازى لوجهها المضاد للذي تسقط عليه الأشعة فبالبحث عن البورة بهذه الصورة توجد على محورها في النقطة التي تقسم نصف قطر الكرة التي يفرض أن سطح العدسة مفصول منها (لان سطحها محدب بانتظام كأنها جزؤ من كرة) فلو فرض ان المرئى جزؤ مستقيم منير فلا بد أن يتكون له فى فراغ الوجه المضاد صورة مثله منقلبة وذلك بطرق هندسية ليس موضوعها غرضنا في هذا الكتاب وتكون هذه الصورة تارة قريبة أو بعيدة عن البورة وذلك على حسب بعد المرئى أو قربه من العدسة فلو أراد أحد أخذ صورة فوتوغرافية توضع هذه الخزانة أمام

المرئى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المرئى ويقرب ويبعد جدار الخزانة المقابل للعدسة بواسطة الثنيات حتى ترتسم الصورة بوضوح عليه * أما ضرورة ابعاده وتقريبه فهو لأن الصورة لا ترتسم على الحجاب الا اذا كان بعده عن العدسة مناسبا لبعد المرئي عنها اذا علمت ذلك فالعين لا يختلف تركيبها عن هذا التركيب ولنبين أولا أجزاءها المختلفة فنقول العين عبارة عن كرة صغيرة مغلفة بثلاثة أغشية سميكة أحدها احدها الصلبة وهي بياض العين ويوجد فيها ثقب مستدير مغطى بالقرنية الشفافة وهي شفافة جداً لا شيء يقاربها فى شفافيتها * وثانيها المشيمة تلتصق على الصلبة ويوجد خلف القرنية حجاب متلون بالاسود أو الازرق أو غيرهما بحسب الاشخاص ويسمى القزحية أو سواد العين وهو مثقوب بثقب دائري يسمي الحدقة ومن الصناعات المدهشة أن في هذه القزحية خاصة غريبة وهى أنها تنقبض أو تتمدد كى تضيق الحدقة أو تتسع لأجل أن تكون الأشعة التى تنفذ منها قليلة أو كثيرة على حسب ما اذا كان الضوء كثيراً أو قليلا * وثالثها الشبكية وهي عبارة عن غشاء يكون من العصب البصرى قريب من القرنية ويوجد بين القرنية والقزحية خلط ماءي وخلف القزحية توجد البلورية مغلفة بغلاف شفاف للغاية ويوجد خلفها خلط ماءى أيضاً وهو الجسم الزجاجى اذا تقرر هذا يقال البلورية عبارة عن عدسة تامة أمام خزانة مظلمة وخلفها الشبكية وهى عبارة عن الحجاب الذى تتكون عليه الصورة فاذا نظر أحدنا الى مرئىّ فانه ينبعث منه أشعة تنفذ من الحدقة التي تتسع أو تنقبض على حسب اللازوم كيلا تكون الاشعة كثيرة ولا قليلة حتي ترتسم الصورة بانتظام فتقابل هذه الاشعة البلورية التى قلنا انها عدسة مهمة فتكون صورة المرئىّ على الشبكية وقد ذكرنا انها عصب حساس فتنتقل الصورة الى المخ فيحصل ادراكها وتمييزها * ان من ينظر الي تركيب العين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مع رقة اجزائها وانتظام أجهزتها ثم يفتكر انها من تراب ندهسه باقدامنا يحكم حكما جازما أن هذه الصناعة من وراء العقل فلا يمكنه أن يدرك سر حكمة الله تعالي الذى كونها بل ويكونها كل يوم بهذه الدقة واللطافة وقد شاهد العلماء أن أعين بعض الحشرات ليست بسيطة بل هى مركبة من آلاف من العينيات المسدسة الاشكال تشبه تماما الماس المصطنع وكل مسدس من هذه المسدسات عين بمفرده ويوجد من الحشرات ماله اكثر من عشرين الف عين موجودة ومرصوصة بانتظام داخل عين الحشرة الصغيرة وقد حسب مساحة كل عينة من هذه العينات فوجد انها جزآن من مائتى جزء من المليمتر فانظر الي هذا الابداع الموجب للذهول * قل لي بعيشك من الذى يري أمثال هذه الاشياء ولا تأخذه الدهشة سيما اذا افتكر أن هذه العينات الدقيقة جدا ببلوريتها التى تزري بالماس صفاء ورقة وبقرنياتها ذوات الالوان البديعة هي من التراب الذي ندهسه باقدامنا ومن ينظر الي أن الحدقة تتفرطح أو تنقبض بنظام وهندسة بالغين حد الكمال حتي يأتى من المرئي أشعة كثيرة أو قليلة ليتم ارتسامه على الشبكية كما يجب يرى أن ذلك من البدائع الغرائب التى توقف العقل مبهوتا والفكر تائها فان ذلك يحصل والانسان غير شاعر بشيء منه ولم يأمر عينه به فماسبب ذلك وما علته فهل يصح أن يقال ان الحدقة مهندس ماهر جداً لها عقل وادراك عجيبان أو يجب على كل عاقل ان يقول ان العين مسخرة لذلك الفعل العجيب بأمر الله تعالي الذى أحسن كل شيء خلقه ولنفرض انها مدركة فمن الذى أدراها أن ذلك المرئي البعيد يلزم له كذا من الاشعة حتى يتم ارتسامه على الشبكية لعمري يقتضى على ذلك انها تعلم علم الغيب لان الخزانة التي شبهنا العين بها يظل مستعملها العاقل بعد وضعها امام مرئي ما يبعد حجابها ويقربه من العدسة الي ان يتم ارتسامه كما يرام وذلك على سعة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ادراكه وسمو قريحته * اذا علمت هذا فيقتضى أن تكون الحدقة أعقل منه بما لا يقدر لان الواحد فى الدقيقة الواحدة يمكنه أن يرسم على شبكية عينه ستين مرئيا وهذا الوقت لا يكفي لاى رجل عاقل أن يرسم فيه على حجاب الخزانة المظلمة مرئيا واحدا * ثم اعلم أن لبعد الحجاب عن البورة دخلا في اتمام ارتسام الصورة وكذلك العين تؤدى هذا التبعيد والتقريب بسرعة مدهشة جدا اترتسم الصورة على الشبكية أحسن ارتسام * وقد علم مما ذكر ان مذهب المتأخرين من الفلاسفة في حصول الرؤية هو أنه تنبعث من المرئي الاشعة وتتصل بالعين ومذهب المتقدمين منهم هو أن الرؤية تحصل بانفصال الاشعة من العين وثبوتها بالمرئي وكلا المذهبين متقاربان والانسب ان المراد على كلا المذهبين هو أن الاشعة تنبعث من الشمس أو السراج مثلا وتتصل بالمرئى ثم تنبعث منه وتتصل بالعين فتحصل الرؤية * قال العلامة السنوسي قالت المبتدعة لا يصح أن يري جل وعز لاستحالة اتصال الاشعة به لانها انما تتصل بالاجسام والاجرام ولاستدعائها جهة تنبعث اليها و لله جل وعلا ليس بجرم ولا في جهة * وأهل الحق رضي الله عنهم يقولون الادراك معنى يخلقه الله تعالى في المدرك فان خلق بسبب جزء من العين سمي ابصارا أو بسبب جزء من الاذن يسمي سمعا أو بسبب اللسان يسمى ذوقا أو بسبب كل الجسد يسمي حسا واختصاص خلقه بسبب هذه المحال انما هو بحكم العادة وكذا اختصاص بعضها بان يكون المدرك فى جهة وغير قريب جدا ولا بعيد جدا انما هو بحكم العادة ويجوز أن تخرق العادة فيتعلق بما هو قريب جدا أو بعيد جدا بل بما ليس في جهة كما جرت العادة بذلك في العلم ولو كان الموجب للرؤية انما هو انبعاث الاشعة للزم أن لا يرى الانسان الا قدر حدقته اذ لا تسع حدقته من

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاشعة اكثر منها لكنه يرى دفعة اكثر من ذاته كلها باضعاف مضاعفة فضلا عن حدقته أجابوا بمنع الملازمة ومستندهم انه انما يري الكثير لان أجزاء الهواء مضيئة فيتصل الشعاع بها وهى تتصل بالسماء فتعين على الابصار كما أن البلور اذا اتصل الشعاع به وهو جسم لطيف مضيء متصل بما فيه فيرى مافيه ويرد عليهم بانه لو كان كذلك لزم أن لا يري الكثير من السماء وغيرها حين يكون الهواء مظلما بالليل مثلا وأيضا فما باله رأى من الهواء نفسه اكثر من حدقته * قال صاحب النزهة البهجة اذا كان النظر باتصال الشعاع يجب أن يكون الشعاع اكثف من الهواء خصوصا فى البعد ليثبت زمنا تتأدى فيه الاشياء ولا قائل بتساويهما فضلا عن كونه اكثف واذا ثبت أن الشعاع ألطف وجب أن يمزقه الهواء قبل حصول الغرض اهـ ومما ينقض عليهم ادعاهم وجوب رؤية ما اتصل به الشعاع الجوهر الفرد اذا كان في سمت الشعاع فانه لا مانع على زعمهم من اتصال الشعاع به بدليل انها تتصل به عند اجتماعه مع غيره ولا يناله من الشعاع عند الاتصال الا ما يناله عند الانفصال فكان يجب على قولهم ان يرى عند الانفراد مع انه لا يري * وكذا ينتقض مذهبهم برؤية الكبير مع البعد صغيرا مع ان شرط الرؤية على زعمهم موجود وهو اتصال الشعاع والمقابلة لجميعه * أجابوا بانا لا نسلم استواء نسبة أجزاء الكبير مع البعد الي الراءي حتي يلزم ان يراه على حاله كبيراً وذلك لان الجزء الواقع فى وسط المرئي أقرب الى الناظر من الجزء الواقع في طرفيه وبيانه انه اذا خرج خطان شعاعيان متوهمان كساقى مثلث ونفرض ان قاعدة هذا المثلث أى الخط الذي يقوم عليه ذانك الساقان جسم المرئي البعيد فيكون هذان الساقان على طرفيه وخرج من نقطة العين خط آخر قسم ذلك المثلث نصفين وقام بوسط تلك القاعدة فانه تحدث فيه

زاويتان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

زاويتان قائمتان ويكون كل واحد من الخطين الواقعين على الطرفين وترا للزاوية القائمة وقد تبين فى الهندسة ان وتر الزاوية القائمة التى في المثلث أطول من كل واحد من الخطين المحيطين بها فالخطان الواقعان على الطرفين أطول من الخط الواقع على وسط الجسم المرئي فتكون الاجزاء التي وقع عليها الطرفان أبعد عن البصر من الاجزاء التي يقع عليها الخط الاوسط فنسبة الاجزاء اذن ليست متساوية في القرب والبعد فلذلك صح أن يري بعض الجسم دون بعض فيرى الكبير صغيرا وهذه صورة المثلث

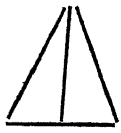

أجابهم أهل السنة رضى الله عنهم بانه اذا كان البعد الحاصل بين المرئى والناظر قدر مائة ذراع مثلا والذى بين طرفيه زائد على المائة قدر ذراع فكان يجب عليه انه اذا انتقل ذلك الجسم الكبير الذى رؤى صغيرا الي مسافة الطرفين وهى مائة ذراع وذراع أن لا يرى ألبتة كما لم ير الطرفان الكائنان فى تلك المسافة لكن المشاهدة تكذب ذلك فبطل ماذكروه * ومما ينقص عليهم قولهم بانه انما يري ما اتصل به الشعاع رؤية هيئة الاكوان وهى الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والالوان مع أن الاشعة لا تتصل بها اذ الاشعة أجسام والعرض يستحيل عليه مماسة الاجسام قالوا المرئي ما اتصل به الشعاع أو قام بما اتصل به الشعاع والاشعة لا تتصل بها فقيل لهم فيلزم أن ترى الطعوم والروائح لانها قائمة بما اتصل به الشعاع فقالوا انما نقول ماقام به الشعاع يري اذا كان مما تجوز رؤيته وهذا الذي أوردتم عندنا لا تجوز رؤيته فقيل لهم فالجسم اذا كان بعيدا يرى ولا يرى لونه وانما يري على زعمكم لا تصال الشعاع به واللون قائم به وهو مما يجوز أن يري اتفاقا بيننا وبينكم ومما ينقص قولهم برؤية ما اتصل به الشعاع انا نري قرص الشمس ولا نري الجوارح التي بيننا وبينها اذا تعالت فى الجوّ ونرى فى البربة النار من بعد ولا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ترى ما بيننا وبينها مع انا لا نرى قرص الشمس ولا النار الا بعد أن يتصل الشعاع بالاجسام التي بيننا وبينها * ومما يبطل اشتراط المقابلة فى الرؤية رؤية الانسان نفسه فى المرآة والماء ومحال أن يكون مقابلا لنفسه * أجابوا بأنا نشترط أن يكون المرئى مقابلا أو في حكم المقابل والرائى في هذه الصورة فى حكم المقابل * قالوا لأن الشعاع لما لاقي الجسم صقيلا لم يثبت به فانعكس الي الناظر فرأي نفسه ورد عليهم بأنه يلزم على ما ذكروه أن لا يرى الماء ولا المرآة اذ قاعدة الشعاع التي باعتبارها صح ادراك المرئي لم تتحقق اذ لا تثبت للشعاع فيهما لعدم التضريس كما زعموا فيلزم على قولهم أن يرى نفسه ولا يرى المرآة ولا الماء وهو خلاف الحس * وأجاب بعض الفلاسفة عن الالزام باعتبار اشتراط المقابلة بأن قالوا لا نسلم ان المرئي فى المرآة والماء لم يقابل الرائى وتوهمكم ذلك انما جاء من اعتقادكم ان المرئي فيهما نفس الرائى ونحن نقول ان المرئى انما هو صورة منطبعة فيهما موافقة لصورة الرائي لا نفس الرائى ولا شك حينئذ أن تلك الصورة مقابلة للرائي * أجاب أهل الحق بأنه لو كان المرئى صورة منطبعة فى جسمى المرآة والماء للزم أن لا تبعد تلك الصورة ببعد الرائي عنهما ولا تقرب بقربه ضرورة قيام تلك الصورة بسطحى المرآة والماء فوجب أن تثبت بثباتهما فدل ذلك على ان المرئى ليس شيأ ينطبع فى المرآة والماء وكذلك يلزم أن لا تتحرك بحركته وهو ظاهر * ومما يرد عليهم في اشتراط المقابلة انه يلزمهم أن لا يرى الرائى من الاجسام ما هو اكبر من جسمه لانه لا يقابل اكبر منه فان قالوا الهواء المضيء الذي بينه وبين ذلك الجسم الاكبر مقابل لذلك الجسم الاكبر فأعان على رؤيته قلنا فيلزم ان ما قابل من الهواء ذلك الجسم العظيم يكون مقابلا للرائي ليعين بعد رؤيته على رؤية ماقابل وهو محال وقد تقدم مثل هذا عند ذكر جوابهم عما ألزموه من عدم رؤية

الانسان

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الانسان اكثر من حدقته هذا وقد ذكر صاحب الرسالة الحميدية قصة قال انها مشهورة محققة ذكرها كثيرون من كبار علماء الفلاسفة كما نقله بعض المؤلفين الباحثين في هذا العصر وهى أن فتاة فى أميركا أصابها مرض كانت تقوم به ليلا وهى نائمة وتتكلم وتعمل أعمال المستيقظ ثم اشتد بها الامر الى أن صار يعتريها نهارا وليلا وكان بصرها يتغير عند حدوث هذا الحال تغيرا لم يعهد أغرب منه فتقرأ أدق الحروف فى الظلام الحالك وعيناها مغمضتان قال وهذه القصة وفق ما يعتقده اتباع محمد عليه السلام من أن الابصار بمحض خلق الله تعالي كما أن بقية الاحساسات كذلك وأن الشروط التى للابصار وغيره انما هي شروط عادية وأقول ان فعلها في النوم اعمال المستيقظ يدل على صحة ما قدمنا من أن الافعال الاختيارية كلها مخلوقة لله تعالى * فنسأله عز وجل التوفيق * والهداية لأقوم طريق * وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين * والحمد لله رب العالمين * انتهى الجزء الاول من الدليل الصادق * على وجود الخالق * وبطلان مذهب الفلاسفة ومنكري الخوارق * ويليه الجزء الثانى أوله قوله تعالي ولقد كرمنا بنى آدم

تم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

﴿ بيان الخطأ والصواب الواقع في الجزء الأول من كتاب الدليل الصادق ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٤	على العوالم	الى العوالم
٧	١٥	علم فيه يبحث	علم يبحث
١٠	٩	أعظم	عظم
١٢	١٨	القائل	القابل
١٥	٩	المحابسي	المحاسبي
١٧	١٣	عليها	عليهما
٢٣	٧	جمامة	جماعة
٢٧	٢	نقول	تقول
٢٨	٣	نقبل	تقبل
٥٤	١٩	على الامام	عن الامام
٦١	١٤	قات	فات
٧٣	١٦	الوجود	الموجود
٧٧	٢	نزاعمكم	نزاعكم
٩٦	١٨	الا مقتضي	الا على مقتضى
٩٧	٥	لوجود	الوجود
٩٩	١٣	للعني	للمعنى
١٠٢	١٧	لواحد	الواحد
١٠٣	١٥	يتأنى الخلق	يتأتي الخلق
١٠٤	١٨	فر	فسر
١١٢	١٤	انتزاع	انتزع

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١١٨	١٢	من كراهته	مع كراهته
١٣٦	١٨	فنلفى	فنفي
١٤٤	١٣	بهم	منهم
١٤٥	٨	ولما	قال ولما
١٥٠	٥	بالقب	بالقلب
١٥٤	١٥	المريض	المرض
١٥٥	١٦	كنص	كنقص
١٦٠	١٢	يفارق	يقارف
١٦٠	١٢	اذا	اذ
١٦٣	١٤	يشكون	تشكون
١٦٥	١٧	على من	من
١٩٦	٨	وسـ	وسلم
١٩٧	١	اتخذ	اتخذوا
٢٠٥	٦	اذكرنى	اذكروني
٢٠٧	٤	التى كانت	التى ما كانت
٢١١	٣	فلوبهم	قلوبهم
٢١٢	٩	(ودين) الحق	(ودين الحق)
٢١٣	١٤	عيهم	عليهم
٢١٥	٢	فل	قل
٢٢٢	٢٠	بترك	يترك
٢٢٤	٤	لاضمحلال	الاضمحلال

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢٢٤	٧	فكارهم	أفكارهم
٢٢٤	١٩	والانسانية	الانسانية
٢٢٥	٢	حياتهما	حياتها
٢٣١	١٨	ببن	بين
٢٣٢	١٠	يعد	بعد
٢٣٢	١٦	محالة	لا محالة
٢٣٣	١٨	لذة	أن لذة
٢٣٤	١٧	فتترك	فيترك
٢٤٢	٢٢	طرقهم	طريقهم
٢٤٧	٤	يتبعوه	يتبعون
٢٥٠	٢٠	عنه	عنهم
٢٥١	٢١	أن يريدون	أم يريدون
٢٥٣	٩	وأنهم	أنهم
٢٥٣	٢١	أناث على زعمهم	على زعمهم أناث
٢٥٤	٣	الاغنياء	الاغناء
٢٥٥	١٠	على	من
٢٦٢	١٢	الفرض	الغرض
٢٦٤	١	بالطبيعية	بالطبيعة
٢٦٤	٤	بالطبيعية	بالطبيعة
٢٦٤	٧	بخصر	يخصر
٢٦٤	١٧	حقيقتها	حقيقتهما

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٢٧٠	٢١	من ملكه	فى ملكه
٢٧٥	٦	الحارة	الحار
٢٨٧	٦	يقبل الاول	يقبل الا الاول
٢٨٨	٤	وأن	أو أن
٣٠٢	٥	من ذلك	ذلك
٣٢١	١٠	والغلط	والغلظ
٣٣٠	٢٢	يجتذ	يجتذب
٣٣٢	١٦	بصب	بصب
٣٣٤	١١	تسوفي	تستوفي
٣٣٩	١	يجدب	يجذب
٣٤٠	٥	بطبعة	بطبعه
٣٤٤	٢	اجراء	أجزاء
٣٤٥	٨	معاشة	معاشه
٣٤٥	١٢	بالسواب	بالسراب
٣٤٦	٣	وكيمايون	وكيماويون
٣٤٦	١٢	اتحدت	تحدث
٣٤٧	٢	على نترك	على م نترك
٣٤٧	٢	انتفع	تنفع
٣٤٩	١	الجسيمة	الجسمية
٣٥١	٩	بزدرد	يزدرد
٣٥٢	٢٠	فلم يلد	فلم لم يلد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٣٥٧	١٦	متعكس	منعكس
٣٥٨	٨	يرجع اليوم الدم	يرجع الدم
٣٦٥	٣	يشاء ويربتها	يشاء ويركبها
٣٦٥	٢٢	ولو	ولولا
٣٦٦	١	ولا اشتبه	ولاشتبه
٣٧٠	٣	فالتخيص	فالتخصيص
٣٧٣	٦	ممكن بالوجود	ممكن الوجود
٣٧٧	٢١	مستحف	مستخف
٣٨١	٤	ورق	ودق
٣٨١	١٦	يتوقف وجوده	يتوقف عليه وجوده
٣٨٢	١٠	والكفر أن	والكفران
٣٨٤	٢١	الكاملة	الكامل
٣٩٢	١٠	الفتاة	القناة
٣٩٩	٢٢	البربة	البرية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

﴿ فهرست الجزء الاول من الدليل الصادق ﴾

صحيفه

٧ المقدمة في الفلسفة والحكمة والحكم وفيها مبحثان
٧ المبحث الاول في الفلسفة * وفيه مطلبان
٧ المطلب الاول فى معني الفلسفة وأقسامها وآفاتها
١٤ المطلب الثاني في أسباب اشتغال الامة الاسلامية بالفلسفة وفى حالهم من قبل ومن بعد
٣٠ المبحث الثانى فى الحكمة والحكم * وفيه مطلبان
٣٠ المطلب الاول في معنى الحكمة والحكم
٣٢ المطلب الثانى في أقسام الحكم
٤٤ المقصد الاول في الالهيات وفيه مقدمة وثلاثة مباحث
٤٤ المقدمة في المعرفة وذكر الصفات وأضدادها وأنواع المنافاة * وفيها ثلاثة مطالب
٤٤ المطلب الاول فى معنى المعرفة
٤٩ المطلب الثانى فى وجوب المعرفة
٦٥ المطلب الثالث في ذكر الصفات الواجبة له تعالى وأضدادها من المستحيلات وذكر أنواع المنافاة
٧٠ المبحث الاول في الصفة النفسية وفيه مطلبان
٧٠ المطلب الاول في معني الصفة النفسية
٧٢ المطلب الثاني فى الوجود
٨٦ المبحث الثانى في الصفات السلبية وفيه خمسة مطالب
٨٧ المطلب الاول فى القدم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صحيفة

٦٩ المطلب الثانى في البقاء
٩١ المطلب الثالث فى مخالفته تعالى للحوادث
٩٨ المطلب الرابع فى قيامه تعالي بنفسه
١٠٦ المطلب الخامس فى الوحدانية
١١١ المبحث الثالث فى صفات المعاني والمعنوية وفيه سبعة مطالب
وقع في الاصل المبحث الرابع وهو خطأ والصواب ماهنا
١١١ المطلب الاول فى المراد بالمعانى والمعنوية
١١٢ المطلب الثانى في القدرة
١١٧ المطلب الثالث فى الارادة
١٢٠ المطلب الرابع في العلم
١٢٦ المطلب الخامس فى الحياة
١٢٧ المطلب السادس فى السمع والبصر
١٢٩ المطلب السابع في الكلام
١٣٣ المقصد الثاني في النبوات * وفيه مبحثان
١٣٣ المبحث الاول في نبوة الانبياء * وفيه مطلبان
١٣٣ المطلب الاول فى معنى النبوة والرسالة والرد على منكرها
١٣٩ المطلب الثانى في الطريق الى اثبات نبوة الانبياء
١٦٠ المبحث الثانى فى رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفيه مطلبان
١٦٠ المطلب الاول فى كيفية الاستدلال على رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
١٩٦ المطلب الثانى فى الاستدلال على رسالة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم
مقتضى ما تدل عليه الآيات القرآنية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صحيفه

٢٢٩ المقصد الثالث في الطبيعيات * وفيه مقدمة وثمانية مباحث
٢٢٩ المقدمة فى معرفته تعالي من حيث انها ألذ الاشياء وأشرفها وأظهرها وفى سبب قصور أفهام الخلق عنها واتباعهم للاوهام في كيفية تكون الاجسام وفيها مطلبان
٢٢٩ المطلب الاول في معرفته تعالي وسبب قصور الافهام عنها
٢٤٢ المطلب الثاني في اتباع الفلاسفة للظنون والاوهام فى كيفية تكون الاجسام
٢٤٣ المبحث الاول في ما يقوله الفلاسفة من تأثير العلة والطبيعة فى الاكوان وفيه ثلاثة مطالب
٢٦٣ المطلب الاول فى الفرق بين الفعل بالعلة والفعل بالطبيعة والفعل بالاختيار
٢٧١ المطلب الثاني فى شرح مذهب الفلاسفة فى كيفية تكون العالم بالعلة أو الطبيعة
٢٨٢ المطلب الثالث فيما قالوه فى المادة وما بنوه على ذلك من النشوء والاستقاء
٣٠٩ المبحث الثاني فى النظر في الانسان * وفيه مطلبان
٣٠٩ المطلب الاول فى كيفية النظر فى الانسان للاستدلال على مبدعه بالقدرة والاختيار
٣١٢ المطلب الثانى فى التفكر في الانسان على مقتضي ما تدل الآيات القرآنية

٣٠/٥ س
اسف ٢٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

Converted by Tiff Combine - unregistered

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com